الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم العلوم الإنسانية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط

العلوم الدينية في المغرب الأوسط

(من القرن2هـ-8هـ/8م-14م)

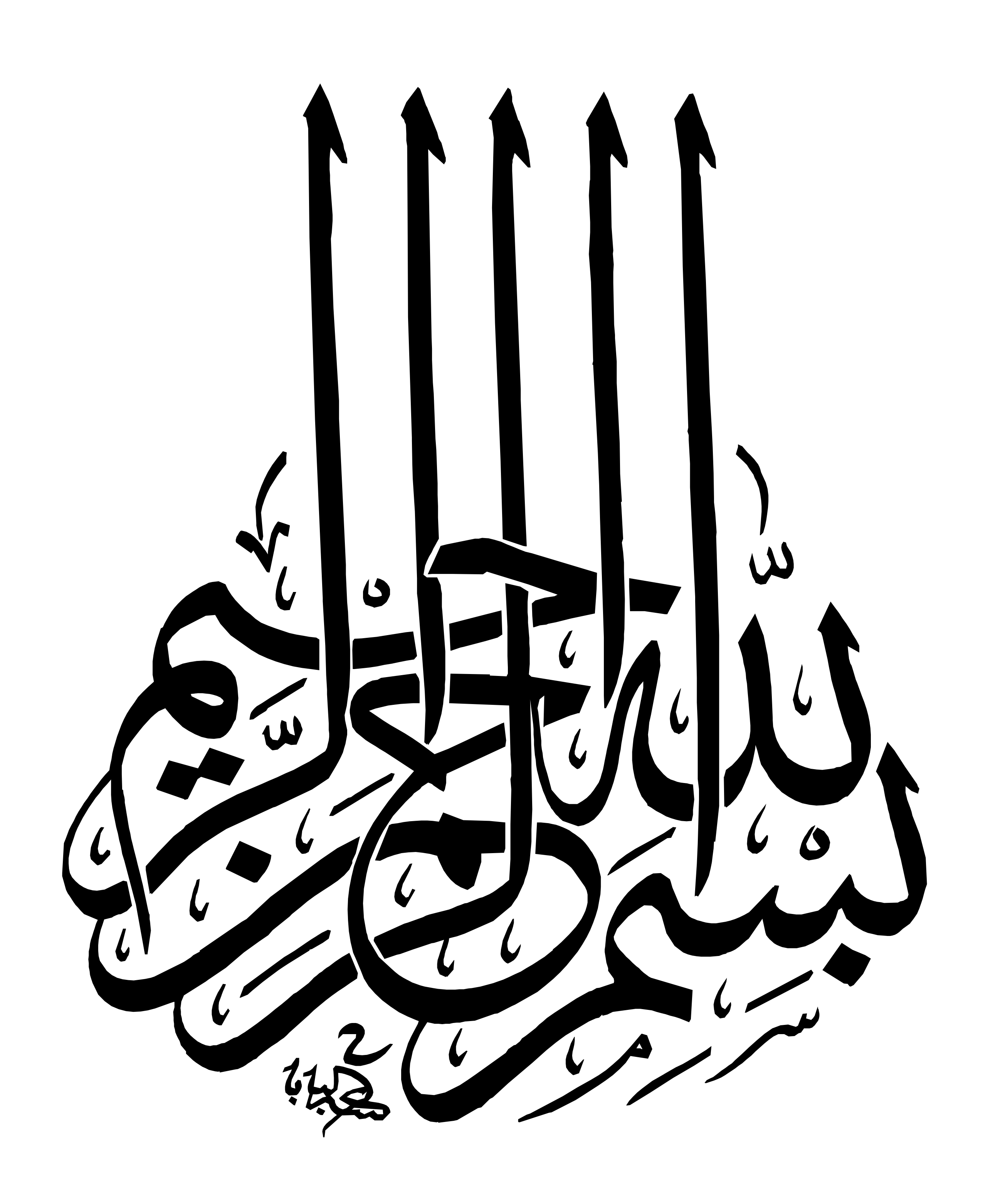
إعداد الطالب : هادي جلول

تحت إشراف أ. د: بلعربي خالد

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د/ شخوم سعدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيساً
أ.د/ خالد بلعربي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفاً ومقرراً
د/تيزي ميلود	أستاذ محاضر-أ-	جامعة سيدي	مناقشاً
د/ قدور وهراني	أستاذ محاضر-أ-	جامعة تلمسان	مناقشاً
د/بكاي هوارية	أستاذة محاضرة-أ-	جامعة تلمسان	مناقشة
د/إدريس بن مصطفى	أستاذ محاضر-أ-	جامعة سعيدة	مناقشاً

السنة الجامعية:1436 - 1437هـ / 2015 - 2016م.


بسم الله الرحمن الرحيم

شكـر وعـرفـا ن

الحمد الله الذي بفضله، ومنه تتم الصالحات حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، الذي أنعم علينا بأن أرشدنا لطريق الهداية ودلنا على طريق العلم وسخر لنا رجالاً منهم نأخذ قبس العلم والمعرفــة.

أتقدم بجزيل الشكر، مع كل التقدير والامتنان إلى الأستاذ الفاضل، الدكتور بلعربي خالد، على ما أولاه من رعية واهتمام بهذا البحث....

والى أعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا مشقة قراءة هذا البحث وتصويبه

هـا دي جـلـو ل

إهـداء

- إلى التي تقصر في حقها الكلمات، وتكبوا الأقلام عن بلوغ مداها، خلد الله ذكرها في القرآن يتلى إلى يوم الدين، جعل الجنة تحت قدميها، حملتني وهن على وهن، قاسمتني الآمال، والآلام، الأفراح، و الأفراح، كان بطنها لي وعاء، وثديها لي سقاء، وحجرها لي غطاء فهي أولى الناس بي ...إلى أمي التي كان لسان حالها الدعاء لي بالتوفيق

أسأل الله سبحّانه وتّعالى أن يطيل في عمرّها على الطاعة وأن يمنحها الصحة والعافية، وأن يجعل عافيتها جنة عرضها السموّات والأرض، وأنّ يكتب هذا العمل المتوّاضع في ميزان حسنّاتها يوم العرّض على رّب العّالمين...

وإلى روح والدي رحمة الله عليه

- وإلى جميع أفراد أسرتي الذين كانوا لي خير سند: زوجتي، وأبنائي: محمد الأمين، وهبة، وسارة.
- وإلى جميع الأحبة، والأصدقاء، والذين قدموا لي يد المساعدة.
- وإلى أعضاء اللجنة المناقشة.

هادي جلول

مقدمة

يعتبر موضوع دراستي الموسوم: **العلوم الدينية في المغرب الأوسط من القرن2هـ الى 8هـ/8م الى 14م،** من المواّضع الهّامة في حقل الدراسّات التاريخية المتعلقة بتاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، وعلى الرغم من أهميتّه هذه إلا أنه لم يلق عناية من قبل البّاحثين، فعلى الرغم أن الرسّائل الجامعية في الجزائر، والدراسّات التي تناولت الجانب الحضّاري للمغرب الأوسط، إلا أنها لم تسمح لنا بالتعرف على ما تركه أهل المغرب الأوسط من إسهامات فكرية وثقافية خلال هذه الحقبة التي حددنا بها الاطار الزمني لموضوعنا هذا.

قد بقيت العلوم الدينية في الساحة المغربية منسجمة في مجملها ونقية في معظمها من البدع المذّهبية والفكرية التي مزقت وحدة المشرق وذهبت بانسجامه السياسي والعقدي والمذهبي عكس بلاد المغرب الذي ظّل يحتفظ بوحدة المذهب المالكي، وريادته في البيئّة المغربية، والأندلسية، حتى صارت الفئة المتعلمة، والحكام، وطبقات المجتمع المختلفة، لا تعمل في مجال الفقه إلا به، وتعتبر أقوى وأهم ركائز الحضارة فكان أول من دعي إليها الإسلام ،فقد نزلت أولى آيات القرآن الكريم مشيرة الى العلم وفضله :" **اقْرأْ بإِسمِ ربِكَ الذّي خَلقْ، خَلقْ الإنسانُ من عَلقْ، اقرأْ وربُكَ الأَكْرمْ، الذّي عَلمَ بِالقلمْ، عَلمَ الإنسانُ ما لمْ يَعلم** "[1]، كما وضح هذا المعنى في العديد من لآيات التي تشير بدورها الى فضل العلم والى مكانة العلماء ،مثل قوله عزّ وجل : **أمّن هوُ قانت إناء الليل ساجداً، وقائماً يحذر الآخرة ويَرْجُوا رّحمة ربِه، قُل هَلْ يَسْتوِي الذّين يعلمُون والذّينَ لا يعْلمُون إنمَا يتذكرُ أولُوا الالبَاب**[2].

مازالت مثل هذه الدراسة التي تهتم بالعلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال طول هذه الفترة الطويلة من الزمن تحتاج لنفض الغبار عن انتاجها والتعرف على واقعها وعلى علمائها الذين أفنوا أعمارهم من اجل العلوم والمعرفة نبغوا فيها وتقديمها للأجيال من بعدهم، وأن هؤلاء العلماء لم تنصفهم الدراسات، والأبحاث التاريخية، لهذا يمكن القول موضوع بحثي هو محاولة في هذا النوع من البحوث التي تخص بلادنا، لذا لقيت علوم القرآن من تفسير، وقراءات، وحديث، وفقه، وتصوف اهتمام أهل المغرب الأوسط.

كثر المشتغلون بها لأنها تُعد من العلوم المحمودّة المفروضّة على كل مسلم ومسلمة، لذلك نجد أحد الفقهاء يقول:" الناس يحتاجون إلى العلم في الدين ،كما يحتاجون إلى الطعام

(1)- سورة العلق، الآية 1-5.

(2)- سورة الزمر، الآية 9.

والشراب[1]،وبما أن الشرق العربي هو مهبط الوحي والقبلة التي كان المغاربة يولون وجوههم شطرها في الحل والترحال ليأخذوا منها قوتهم و يقتبسون منها طريق الرشد والمعرفة الصحيحة كي يقوموا سلوكهم وينهجوا الطريق المستقيم التي رسمها لهم أساتذتهم في العلوم الدينية على الخصوص ألم يكثروا من الرحلة الى هذا الشرق رغم المشاق والخسائر التي كانوا يتكبدونها للأخّذ عن هؤلاء الأساتذّة والرجوع الى بلادهم وهم مزّودون بأقوى سلاح، فكان طبيعيا أن يتأثر سكان المغرب الأوسط بما كان يجري في المشرق، بل كان حتمياً أن يتأثر به نظرا لنفوذه المعنوي وزعامته الدينية وسلطته الروحية التي ظل يستمد منها تعاليمه، وقيمه الى عصور متأخرة.

أحاول في هذه الدراسة معرفة واقع العلوم الدينية في المغرب الأوسط والدوافع التي جعلت غلبة وسيادة هذه العلوم على بقية العلوم الأخرى؟ ،كل هذه التساؤلات فرضت علي الخوض في الموضوع ومعالجته معالجة علمية مسترشدين في ذلك بتراثنا الثقافي والحضاري الذي خلفه لنا علماؤنا مُفرقاً في عدد من الكتب، و مما سبق يتضح أن هذه الدراسة لم تكن هينة وسهلة نظراً لكثرة إشكالياتها ومباحثها بالإضافة الى أن مادتها مبعثرة ومشتتة ما بين كتب التاريخ والتراجم والطبقات، ومُيول أصحابها المتعددةّ و المتباينة، ولذا كان لزاماً علي أن ألتقط ما يُفيدني في دراسة الموضوع حتى أخرج بصورة أَّملُ أن تكون واضّحة وتَبّين لي ما كانت عليه الاتجّاهات الفكرية والثّقافية في بلاد المغرب الأوسط في فترة موضوع الدراسة.

فقد ارتأيت أن أقتصر في بحثي هذا حتى يستفاد منه كل من بدأ يلتمس خطواته نحو البحث والاطلاع وأنه نقطة انطلاق لفتح أفاق على أشياء تكاد تكون مجهولة لديه ثم يرتكز عليها الباحث ليسير في طريق التعمق والتفصيل، وترددت كثيرا في بداية الطريق وخشيت من مغبة رُكوب صِعاب هذا الموضوع وخوض غماره لطوله وتشعبه وعلى الرغم من هذه الشُكوك عزمت على البحث والتنقيب وجمع المادة من بطون الكتب المختلفة ومن ثنايا المصنفات العديدة التي تمكنني من الاطلاع عليها في المكتبات.

مهما يكن الأمر فلا أريد الحديث عن صعوبة المهمّة وإنّما يمكن التّعرّض إلى مشكلة يعاني منها الباحث المتخصّص في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط وهو توقّف المصادر عند التّاريخ السّياسي وقلّة تطرّقها ومعالجتها للجوانب الحضاريّة، وبالأخصّ في الفترة الّتي أدرسها، لهذا توجّب علي الرّجوع إلى مصادر أخرى غير تاريخيّة، تفاوتت حظوظها من حيث القيمة التاريخيّة

[1] - القاضي عياض، الغنية، تحقيق ماهر حرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص56.

والعلميّة، واستفائها لمختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية...وخاصّة الثقافيّة، وهي تكمن في الكتب: الجغرافيّة والرّحلات، والكتب الفقهيّة والتراجم وكذلك المعاجم اللّغويّة...

- وتعود أسباب اختياري لموضوع البحث إلى ما يلي:

أولا: عدم وجود دراسات عميقة خاصة ومستقلة حول الموضوع خلال هذه الفترة، وإن وجدت فهي تتحدث بصفة عامة في ثنايا الحديث عن تاريخ المغرب الإسلامي.

ثانيا: أهمّية الموضوع، ورغبتي في كتابة التاريخ الفكري والحضاري لمغرب الأوسط بطريقة ترقى إلى تبيان دور العلوم الدينية في جمع أركان المجتمع عبر مختلف حكم إمارات المغرب الأوسط.

ثالثا: انسياق أغلب المؤرّخين لدراسة التّاريخ السّياسي والاقتصادي والاجتماعي وإهمالهم الشبه الكلّي للجانب الديني والحضاري، ويمكن أن نرجع ذلك إلى الخوف من السلطة، أو الخوف من التاريخ، أو لأمور أخرى يخبرنا بها يوماً ما أهل التاريخ.

رابعا: الإشارة إلى الدور الذي قام به علماء وفقهاء هذ الأرض الطيبة في إشعاع نور العلم والمعرفة في ربوع المغرب لأوسط وغير من البلاد الإسلامية.

- وقد انتهجت في صياغة هذه الأطروحة: المنهج التاريخي التحليلي الذي يفسر الأحداث ويناقشها، وفق رؤية علمية نزيهة، لأني أتعامل مع اتجاهات وإيديولوجيات ثقافية وفكرية وعلمية مختلفة، ومع مذاهب كانت منتشرة (السنة، الشيعة، الإباضين، المعتزلة.... وغيرها)، كما حاولت أن أحدد المنطقة الجغرافية للموضوع لكل منطقة من مغربنا حسب كل فترة حسب ما تفتضيه الدراسة...

بفضل المادّة التاريخيّة التي تمكنت من جمعها قمت بدراسة الموضوع ولمِّ شتاته في:

مقدّمـة اشتملت على أسباب اختياري للموضوع، إطاره الزمني والمكاني، وإشكالية، وتحديد خطّة البحث والمنهج المتّبع، وعرض أهمّ المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، و مدخل خصّصته للأوضاع السياسية التي شهدتها منطقة المغرب الأوسط، وكما خصصت الفصل الأول العوامل التي ساهمت في ازدهار العلوم الدينية في المغرب الأوسط من العهد الرستمي إلى الزياني، تطرقت فيها إلى طبيعة أنظم الحكم التي كانت سائدة أنداك والتي لعبت دور جد مهم في نشر الثقافة العربية الإسلامية بين القبائل العربية والبربرية، كما حاولت في هذا العمل تبيان دور الأمراء في تشجيع العلم والعلماء وذلك بالجلوس إليهم وتوفير الجو الملائم لهم لنشر المعرفة بأنواعها، ودور الرحلة في طلب العلم، والفصل الثاني: خصصته للعلوم الدينية من العهد الرستمي إلى العهد الحمادي، فكان علي أن أتطرق إلى العلوم التي انتشرت في هذه الظروف التي شهدها المغرب الأوسط كعلوم القرآن

الكريم، من قراءات، وتفسير، وفقه، وحديث، وإلى فقهاء ذيع صيتهم وبرعوا في الكثير من التخصصات بهذه الأرض،والفصل الثالث إلى العلوم الدينية من العهد المرابطي إلى العهد الزياني، حاولت أن أتطرق مرة أخرى لأهم العلوم الدينية التي شهدتها هذه المرحلة في المغرب الأوسط والفصل الرابع: خصصته لذكر نماذج لبعض علماء المغرب الأوسط الذين ذكرت ترجمتهم في الكثير من المصادر التاريخية، فما كان علي أن اخذ نموذج أو نموذجين من كل فترة حتى يتسنى لي التعريف بهؤلاء العلماء الكبار الذين خلدوا أسماؤهم من ذهب في صفحات التاريخ، وخاتمة، فقد حوصلت فيها النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، وتبعتها بملاحق لها علاقة بموضوع البحث فهرس للأعلام والأماكن، وقائمة للمصادر والمراجع، وفهرس لعناصر الموضوع.

- لا يخفى على أحد أن الباحث في هذا المجال الفكري والثقافي للمغرب الأوسط يتعرض لعدة صعوبات منها عملية إحصاء لا نتاج العلماء المتفرق هنا وهناك عبر المكتبات سواء داخل الوطن أو خارجه، خاصة مازال إنتاجهم غير محقق او مطبوع أو منشور، وهذا راجع كذلك الى ندرة المصادر التي اهتمت بهذا الجانب المهم من تاريخ أمتنا، وضياع بعض الذي كُتب عن هذه المرحلة من تاريخنا والبعض راجع ربما كذلك راجع إلى نفور الباحثين وتفاديهم مثل هذه الدراسات خلال الفترة المذكورة.

لا ينفي أنه لا توجد دراسات اهتمت بهذا النوع من الدراسات الفكرية والحضارية للمغرب الأوسط، ولو لم تكن ما حوى فهرس هذه الرسالة التي بين أيدينا هذه المصادر والمراجع والرسائل الجامعية والمقالات التاريخية، والتي تدل على أن هناك مؤرخين ساهموا بالكثير من أجل التعريف عن الحضارة العريقة التي شهدتها جغرافية المغرب الأوسط منذ القرن الثاني الهجري، الموافق للقرن الثامن للميلاد، بباعث من هذه الأهمية التي يكتسيها البحث في مثل هذه الدراسات.

-عرض وتحليل لمصادر البحث:

لقد اعتمدت في انجاز هذه الاطروحة على العديد من المصادر المهمة منها: مصادر أولية، كتب الرحلة والجغرافيا، كتب الأنساب، والطبقات، والتراجم، ودواوين الشعر، الملل والنحل، وكتب التاريخ العامة والخاصة بالمغرب، والمراجع الحديثة عربية أو أجنبية والدوريات والمذكرات.

1-كتب الجغرافيا والرحلات:

تعدّ كتب الجغرافيين والرحالة من أهم المصادر التاريخية التي تعطيني فكرة عن بعض الجوانب الهامة في تاريخ المغرب الأوسط خاصة في القرون الأولى للإسلام، ومن الجوانب الهامة فيها تلك

الإشارات التي حفلت بها وتمس الجانب الجغرافي كذكر المناطق والمدن وبعض المظاهر الطبيعية وتحديد المواقع.

كما أشارت هذه المصادر إلى جوانب اقتصادية وأخرى سياسية، ومن أهم المصادر الجغرافية المعتمدة في هذه الدراسة:

- " **كتاب البلدان** " لليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح (896-284 هـ) الذي زار المغرب الأوسط في الفترة ما بين (276-263هـ)، وأعطاني فكرة واضحة عن الوضع السياسي في المغرب الأوسط في القرن الثالث للهجرة خاصة فيما يتعلّق بالإمارات العلوية، كما أشار إلى جوانب مختلفة ذكر فيها القبائل، والأماكن والحدود وجوانب اقتصادية أبرزها في مجال الزراعة.

- كتاب "**صورة الأرض**" للجغرافي أبي القاسم النصيبي المعروف بابن حوقل(ت368هـ- 978م)، و الذي زار المغرب حوالي سنة (330/ 942م).

- كتاب" **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**" للإدريسي، أبو عبد الله محمد الملقب بالشريف الإدريسي (ت558هـ/1162م).

- كتاب" **الاستبصار في عجائب الأمصار**" لمؤلف مجهول عاش خلال الفترة الموحدية وأحد رجالاتها، مدنا بأهم تفصيلات عن جغرافية مدن المغرب، وأفادنا في التقسيمات الجغرافية بالنسبة للمغرب الأوسط وكذا التعريف بأهم حواضره.

- كتاب "**الروض المعطار** "للحميري(ت727هـ/1327م) الذي أفادنا في التعريف بأهم الحواضر الثقافية في المغرب الأوسط.

- كتلب "**رحلة القلصادي** " لأبي الحسن علي القلصادي (ت891هـ/1486م)، وتسمى بتمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، وأهميتها تكمن في أنها مثال رائع في الرحلات العلمية، وأفادنا في التعريف بمدن ومشايخ المغرب الأوسط.

- كتاب " **وصف افريقيا** " للحسن الوزان المدعو بليون الافريقي(توفي بعد 957هـ/1550م) وتعتبر رحلته هذه جزءا من كتابه" الجغرافيا العامة " الذي ألفه(سنة933هـ/1526م)،قم لنا تعاريف حول مدن وحواضر المغرب الأوسط.

- **كتاب** " **افريقيا** "لمارومول كربخال (تـ أواخر ق10هـ/16م)، هو الآخر أفادنا بالكثير حول حواضر المغرب الأوسط.

2-كتب الطبقات والتراجم:

تحوي كتب التراجم على معلومات وافية حول شخصيات مهمة في المغرب الأوسط وأهم منجزاتها، ومؤلفاتها ورحلاتها، لذا اعتمدت عليها نظراً لطبيعة الموضوع حيث أبرزت لي حياة ونشاط الكثير من الفقهاء والعلماء وأهل التصوف ورصدت لنا مخلفاتهم ومن أهمها:

- كتاب "**سير الأئمة و أخبارهم** " لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني (471هـ)، الذي يعطينا فكرة عن التطورات السياسية في الدولة في الدولة الرستمية، كما تحدث عن انتشار الإباضية ببلاد المغرب والفتن التي عاشتها.
- كتاب" **طبقات المشايخ بالمغرب**" لأبي العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني (توفي حوالي سنة 670هـ) وهو كتاب جامع لسير مشايخ المغرب، يعطي فكرة عن جوانب مختلفة من الحياة العلمية عند الإباضية من خلال تراجم العلماء أو المشايخ.
- " **كتاب السير للشماخي** " أبو العباس أجمد بن سعيد (ت928هـ).

- ركّزت في هذا الجانب على المصادر ذات الطابع الثقافي التربوي واستفدنا منها كثيرا في توسيع الفهم لحركة التعليم في المغرب الأوسط والتي هي في أساسها امتدادا لتطور حضاري شامل في العالم الإسلامي، تعتبر الإباضية جزء لا يتجزّأ منه:

- كتاب" **أخبار الأئمة الرستميين**" لابن الصغير (ق3هـ)، يعد كتاب ابن الصغير أهم و أول مصدر في تاريخ الدولة الرستمية وصل إلينا، عاش ابن الصغير في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة و سكن عاصمة الرستميين تاهرت و ترك لنا رواية تاريخية فيها الكثير من الملاحظات والإشارات ذات الاتجاهات المختلفة في السياسة و الاقتصاد و الثقافة، والاجتماع يمكن توظيفها بأشكال مختلفة لدراسة واقع المغرب الأوسط في هذه الفترة، وهذا ما قمنا به بالفعل هذه الدراسة،و تعدّ المصادر الإباضية القاعدة الأساسية لأي بحث يتناول تاريخ الدولة الرستمية أو المغرب الأوسط في القرن الثالث للهجرة تمدنا بمعلومات متنوعة حول الجانب السياسي وحتى الاقتصادي والاجتماعي، كما تحتوي على معلومات هامة في مجال الحياة الثقافية من ذكر للعلماء والعلوم والمؤلفات الإباضية.

- أما المراجع المعتمد عليها في البحث فقد كانت متنوعة منها التاريخية، والثقافية، والدينية، والتربوية، أملتها طبيعة الموضوع الذي دفعني إلى معالجة قضايا ذات اتّجاهات فكرية مختلفة:ومن أهم هذه المراجع أذكر كتاب "**الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**"

لبحاز إبراهيم بكير والذي أفاد البحث في جميع مراحله، ثم كتاب" **الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلام خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي**"، لصاحبه بشير رمضان التليسي من جامعة محمد الفاتح، بليبيا، وهو كتاب مفيد لفهم اتجاهات الحياة الثقافية في الغرب الإسلامي عامة، وهناك كتب مختلفة الاتجاهات أفادت البحث في جميع جوانبه لا يسمح المجال لذكرها جميعاً والتعريف بمساهمتها في البحث.

- كتاب " **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار ابي العباس السبتي** "، لأبن الزيات التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحي (ت617هـ/1220م)، فيه تراجم لـ 297 متصوف من بينهم استوطن بجاية وتوفي بها.

- كتاب "**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** " لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (تـ704هـ/1304م)، من تحقيق: رابح بونار، طبعة جزائرية، وطبعة لبنانية أخرى من تحقيق: عادل نويهض، هذا المصدر يحوي على تراجم لعلماء بجاية في مختلف التخصصات،وعليه كانت استفادتنا منه كبيرة في ترجمة لبعض اعلام بجاية خلال القونين 6 و7هـ.

- كتاب " **أنس الفقير وعزّ الفقير** " لأبن قنفد القسنطيني أبو العباس أحمد بن الحسن بن علي بن الخطيب(ت810هـ/1407م)، هذا المصدر من تحقيق: محمد الفاسي، أدولف فور، تضمن تراجم أعلام المغرب الإسلامي والأندلس.

عادل نويهض، هذا المصدر يحوي على تراجم لعلماء بجاية في مختلف التخصصات، وعليه كانت استفادتي منه كبيرة في ترجمة لبعض اعلام بجاية خلال القونين 6 و7هـ.

-كتاب" **نيل الابتهاج بتيريز الديباج** "لأحمد بابا التنبكتي (تـ 1036هـ/1621م)، وهو كتاب يترجم لفئة من الناس تجمعها صفة الاهتمام بالدراسات الدينية والعربية ،وتتميز تراجم هذا الكتاب بدقة الوصف على إيراد التفاصيل في تراجم من عاصرهم المؤلف، وتضمن ترجمة لثمانمائة واثنتين من علماء وفقهاء المذهب المالكي خاصة أولئك الذين برزوا في بلاد المغرب الإسلامي مع ذكر بعض علماء بلاد المشرق ، وقد أورد هذا المؤلف ترجمة مستفيضة لعلماء المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة.

- كتاب " **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**"، لأحمد بابا التنبكتي، وهو اختصار لنيل الإبتهاج اقتصر فيه على مشاهير الائمة، ومنهم علماء المغرب الأوسط.

– كتاب" **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** "لابن مريم التلمساني وهو كتاب يترجم لعدد هام من العلماء الذين أنجبتهم مدينة تلمسان وكذلك العلماء الذين استقروا فيها والذين قدموا إليها من بجاية وفاس وبلاد الأندلس، وهو كتاب يترجم لعدد هام من علماء المغرب الأوسط والذين كان لهم نشاط ملحوظ في الحياة الثقافية والفكرية في بلاد المغرب الإسلامي، خاصة أولئك العلماء الذين رحلوا إلى مدينة فاس.

– كتاب" **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**" لأبن مرزوق الخطيب(تـ781هـ/1379م)، ألفه في حق السلطان أبي الحسن المريني وقد عرف هذا الأخير باهتمامه بالعلم فشيد المدارس والمساجد في أرجاء دولته ومنها مدينة تلمسان التي استولى عليها، كما ضم مجلسه كبار علماء المغرب الأوسط.

– كتاب " **نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**"،لأبن العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (تـ1041هـ/1631م)، وهو عبارة عن موسوعة تراجم لأدباء وفقهاء المغرب والأندلس.

–.كتب" **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، لأبن زكريا يحي بن خلدون(تـ780هـ 1378م)،وقد افادنا الجزء الأول الذي يعتبر مصدراً مهماً من خلال سلسلة الاعلام التي قدمها.

– ومن كتب التراجم التي اعتمدت عليها كذلك كتاب" **وفيات الونشريسي**" لحمد يحي الونشريسي، وكتاب " **شرف الطالب في اسنى المطالب** " لأبن قنفد القسنطيني، و "**درة الحجال في أسماء الرجال** "لأبن القاضي (تـ1025هـ)، وكتاب " **جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس** " لنفس المؤلف، وكتاب" **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**" لأبن العماد الحنبلي (تـ1089هـ/1678م)، وكتاب " **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** " لمحمد بن محمد مخلوف المالكين وفيه تراجم لعلماء المالكية في مصر والشام والحجاز، والمغرب الإسلامي.

وكتا" **التكملة لكتاب الصلة** "لأبن الأبار، و" **وفيات الأعيان وأنباء الزمان** " أبي العباس احمد بن خلكان، وكتاب" **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**"،لأبن عبد الملك المراكشي،وكتاب " **تعريف الخلف برجال السلف** " لأبي القاسم محمد الحفناوي(تـ1365هـ/1942م)،وهي سيرة ذاتية لمشاهير أقطاب العلم بالجزائر من القرن4هـ/10م إلى غاية القرن14هـ/201م،وكتاب " **معجم أعلام الجزائر**" لعادل نويهض، وقد جاء بتراجم مختصرة من صدر الإسلام إلى الوقت الحاضر.

3– كتب التاريخ:

- كتاب "**البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب**" لأبي أحمد بن عذاري المراكشي (ت712هـ/1312م)، تناول فيه تاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح، والدول التي نشأت في هذه الفترة كالمرابطين والموحدين والمرنيين، ورغم أن الدولة الرستمية لم تحظ بالتفعيل الواسع الذي حظيت به دول المغرب السُنية المعاصرة لها إلا أن هذا المؤلف وصف تاهرت وذكر أئمتها ابتداءا من مؤسها عبد الرحمن بن رستم حتى سقوطها بشكل موجز.

-كتاب "**الملل والنحل**" **للشهرستاني(تـ 548هـ)**،يعتبر هذا المؤلف من أهم المصادر التي درست نشأة الفرق والمذاهب الإسلامية وتطورها وكذا الأفكار والمبادئ التي قامت عليها هذه المذاهب.

-كتاب " **الكامل في التاريخ**" **لأبن الاثير(تـ630هـ/1231م)**، ويصنف هذا الكتاب ضمن المصادر التاريخية العامة، تناول تاريخ المشرق الإسلامي، وقد خصص جانباً منها لبعض الاحداث التاريخية في المغرب بشكل قليل.

- كتاب " **رسالة افتتاح الدعوة**، للقاضي النعمان، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس (د.ت)، والتي تعد قصة متكاملة عن الحركة الإسماعيلية، لاسيما في دورها المغربي، والتي تطورت إلى نظام خلافة، وفي هذا المؤلف، إشارات عن تنظيمات الداعي أبي عبد الله الشيعي، وعن أحداث المنطقة، وردود الفعل المختلفة من انتشار الحركة الإسماعيلية، خلال فترة الدراسة، كما يتضمن تفاصيل عن توقير العلم والعلماء خلال الفترة المدروسة.

- كتاب "**المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، وابراهيم شبوح، ومحمد اليعلاوي، الجامعة التونسية، تونس1978م، ان هذا الكتاب يعد وثيقة هامة لمعرفة الدور المغربي للخلافة الفاطمية...

- كتاب " **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**"، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: جمال الدين الشيال، الجزء الأول، الطبعة الثانية، القاهرة،1996، قدم الكثير عن الدولة العبيدية خلال وجودها بالمغرب الإسلامي، ومصر واستفدت منها.

- كتاب "**أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، لأبي عبد الله محمد بن علي بن حماد، تحقيق: التهامي نقرة، وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة.

- على الرغم من تقدم الدراسات التاريخية التي تبحث في تاريخ الخلافة الفاطمية من الناحية السياسية والاجتماعية والدينية إلا أن معظمها تناولت تاريخها بمصر، وتظل دراسة العلوم الدينية والفكرية لهذه الدولة في مرحلتها المغربية (المغرب الأوسط)، لم تنل قسطاً وافراً من البحث والتنقيب

ومازال ينتابها بعض القصور وان وجد من الباحثين المعاصرين من تناول الدراسة من بعض جوانبها، وتعد محاولة جادة.

استندت هذه الدراسة الى مجموعة من المراجع العربية والأجنبية التي لا غني عليها بالنسبة لموضوعنا نذكر منها: كتاب " **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي،** لمرمول محمد الصالح، وكتاب" **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**"، لموسى لقبال،الدولة الفاطمية (صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي)، علي محمد الصلابي، وكتاب "**تاريخ الدولة الفاطمية(في المغرب، ومصر، وسورية، و بلاد العرب)** "، حسن إبراهيم حسن ، وكتاب " **الدولة الفاطمية(قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر الى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش)**"، لعبد الله محمد جمال الدين، 1991م، كغيرهم من المراجع التي اعتمدنا عليه في انجاز هذا العمل.

- كاتب " **نهاية الأرب في فنون الأدب،ج24(الجزء 22 من تصنيف النويري)**"، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، قم لي معلومات حول نشأة الدولة الحمادية والمرابطية والموحدية وإشارات بسيطة حوا إنجازات زعماء ومؤسسي هذه الإمارات على أرض المغرب الأوسط،وكتاب" **الأنيس المطرب يروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،** لأبن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي ت714هـ/1340م).

–كتاب " **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ابن خلدون ،أبوزيد عبد الرحمن ،(732هـ–808هـ/1332م–1406م)،ج3،وكتابه " **المقدمة**" لما قدماه لي من معلومات غزيرة حول أهم العلوم التي كانت منتشرة بالمغرب الإسلامي عامة ، والمغرب الأوسط خاصة، وكتاب " **الإحاطة في أخبار غرناطة**" ، ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ/1374م)، خاصة الجزء الأول، والثالث،وكتاب " **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**"، لأبن فرحون المالكي، قدمت لنا تراجم لأشهر فقهاء المغرب الأوسط.

قد وردت بعض أخبار الدولة متفرقة عن الفترة الحمادية في بعض المراجع القديمة، ومن بينها كتب الحوليات، وكتب الرحلات والجغرافية، والكتب التي تناولت المغرب ككل، والكتب التي أرخت للدول المعاصرة للدولة، لا سيما دول المغرب والأندلس، ولم تفرد المراجع القديمة للدولة بضع صفحات–فيما أعلم – سوى ما قام به ابن خلدون، وابن الخطيب ، ولم يكن حظّ الدولة في الدراسات

التاريخية الحديثة أفضل كثيرا من حظها في الدراسات القديمة، باستثناء بعض الكتب التي تناولت تاريخ الجزائر العام منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، وأعطت الدولة– وسط هذا الحشد من القرون– بضع صفحات، يغلب عليها عدم الدقة باستثناء هذه الكتب لا نجد ما يستحق الذكر سوى ما كتبه (جورج مارسيه)،والكاتبان الجزائريان(مبارك الميلي، وعبد الرحمن الجيلالي)وما كتبه متناثراً (عثمان العكاك)، وأحمد بن محمد أبو رزاق، ويحي بوعزيز ،وإسماعيل العربي، رشيد بورويبة، وعبد الحليم عويس وغيرهم، ممن أعطى ولو القليل حول التاريخ الحضاري والثقافي للدويلات أو الإمارات التي تأسست على هذه الأرض الطيبة، وبهذا القدر ينتهي هذا العرض الملخّص للمصادر والمراجع على اختلاف درجة استغلالها، وإن لم يأتي ذكر مصادر ومراجع أخرى في هذا الحيّز فإنّ ذلك لا يعني إغفالها، أو تجاهلها، وآمل أن تكون مرجعاً لمن يريد البحث في هذا الموضوع، ويودّ الغوص فيه أكثر، وأعتقد أنّها من التّنوّع والثّراء ممّا ييسّر الدّراسة أمام الباحثين المهتمّين بهذا النّوع من المواضيع، إلّا أنّه ما تجدر الإشارة إليه، وما يستخلص بعد التّعريف بمصادر ومراجع البحث جملة، وتفصيلا أنّها كانت مستفيضة حول بعض الجوانب، وشّحيحة إلى درجة السّكوت أحياناً حول البعض الآخر في الفترة الّتي شملتها الدّراسة، وبالتّالي فلهذا البحّث انّعكاس حقيقّي لذلك إلى حدّ كبير، وفي الأخير أمل أن نكون بهذا العمل المتواضع قد أسهمن بجديد في حقل تاريخ المغرب الإسّلامي الوسّيط، وشكرين كلّ من يقف على أخطائنا وتقصيرنا وهفواتنا أن يرشدنا إلى الصّواب ويعيّننا على تجنّب الزّلل، وأدعو الله أن يعدّ جهدنا هذا من العمل الصّالح ،وهو المُوفّق والهادّي إلى سّبيل الرّشاد، وقد كان الدافع لهذا الاختيار– بالدرجة الأولى– هو التعريف بأمجّاد الماضي، وأعّلام الجزائر للوقوف على أصالة التراثّ الجزائري خصوصاً، وإحياء التّراث الإسلامي عموماً، وما تركه أسّلافنا العلماء عبر التاريخ من ذخائر لا سيما في المجال الحضاري والثقافي ،وأثراء للمكتبة وخدمة للعالم الإسّلامي المتطّلع إلى معرفة آثار الأقدمين والوقوف على ثمرات أفكارهم.

مدخل

كان المغرب الإسلامي في القرّون الهجّرية الثّلاثة الأوّلى مسّرحاً للعديد من الأحداث السّياسية والاقتصادية والثّقافية تعرض إلى تحوّلات وتغّيرات عميقة في شّخصيته وأنّ الفتح الإسّلامي لبلاد المغرب لم يكن سهلاً بالنسبة للفاتحين إذ كلف الخلافة الإسّلامية كثيراً من النّفقات والرّجال والوقت وبعد جهّود وبلاء حسّن قام به العرب المسلمون في هذّه البلاد، تّم تحرير المغرب وفتحه، ودخل المغاربة في الدين الإسلامي، وحسن إسّلامهم بتركهم دياناتهم النّصرانية ،واليّهودية وغيرها ،وهذا أول تحول عميق يمس الشّخصية المغربية، ويؤثّر فيها[1].

رأى البربر أنّ القّاتحين للمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة أنهم لأول مرّة في تّاريخهم اعتبروا سّادة ولم يعتبروا عبيداً، ورأوا أنهم بواسطة المسّاواة الإسلامية يمكنهم أن يحقّقوا كل رغبّتهم فأقبلوا على الإسلام يدخلون في دين الله أفواجاً، وقد أرسل لهم الخلفاء من يُفقهم في الدين ويُعلمهم العربية، فلم يمض وقت وجيز حتى أصبح البربر من أحسن النّاس إيماناً، وأشدهم إخلاصاً للدين القويم، وبقوا على ذلك إلى يومنا هذا[2].

تمكن العرب بواسطة الإسلام من توحيد المغرب الإسلامي وجمع كلمة البربر حول راية القرآن الكريم، وتمكنوا في سنوات قليلة من عمل مالم يستطيع الرومان عمله في ستة قرون، واسّتمر تدّاول الولاة العرب ولكل منهم سيّاسة خاصة إلى أن جاء دور تأسيّس الدول الإسّلامية البربرية[3]،هذا لا ينفي الدور الذي قام به البربر في توحيد الصف والترحيب الذي قُبل به العرب الفاتحين من طرف شيوخ القبائل وزعمائها من حسن المعاملة، وكان بُعد الأطراف عن مراكز الخلافة سبباً في استقلال الكثير من البلاد الإسلامية ،وتأسيس ممالك محلية تتبع الخلافة في بعض الأحيان اسماً وتخرج فيها أحياناً أخرى[4].

لعبت الرسّالة المحمدية دوراً بارزاً في توحيد عدةّ شعوب تحت راية الإسلام بعد فترة طويلة من الحروب والفتن التي شهدها العالم الإسلامي في ظل الشّرك والظّلال، وكان للمغرب الإسلامي نصّيب من هذّا الفتح الذي سيرى فما بعد دويلات أو إمارات شّهدت توسعاً في جميع الميادين بسبب التيّارات الفّكرية والثّقافية والمذّهبية التي أتت من المشّرق الإسلامي لتجد لها مناخاً مناسباً يسهل

[1]- إبراهيم بحاز بكير،الدولة الرستمية،160-296هـ/777-909م،دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية،ط 2- 1414هـ/1993م،نشر جمعية التراث،القرارة،ص9.

[2]- أحمد توفيق المدني،كتاب الجزائر، المطبعة العربية،(د.ت)،ص19.

[3]- نفسه، ص19.

[4]- أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1956، ص55.

عليها نشّر تعّاليم الدين الإسلامي السّمحة بين شعوب القبائل التيّ كانت موجودة ،وعلى أرض المغرب الأوسط في العصر الوسيط والتي هي مجال للدراسة والبحث عن انتشار وتطور العلوم الدينية بين مختلف القبائل في هذه البلاد.

- الدولة الرستمية: 160هـ-296هـ/776-909م.

شّهد المغرب الأوسط في منتّصف القرن الثّاني، وعلى امتدّاد القرن الثالث الهجري، الموافق للقرن الثامن والتاسع للميلاد قيام الدولة الرستمية[(1)]، الإباضية[(2)]، وعاصمتها تاهرت[(3)]، هذه الدولة التي امتد نفوذها الديني والمذهبي والسياسي على أكبر مساحة منه.

[(1)]-الدولة الرستمية: نسبة إلى مؤسسها عبد الرحمن بن رستم وهو أول إمام ظهور في المغرب الأوسط لدى الإباضية، وأحد حملة العلم الإباضي الخمسة إلى المغرب الأوسط ،ينظر: عبد الرحمن الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ج1،مكتبة الشركة الجزائرية،منشورات دار الحياة،بيروت،(د.ت)،ص221،وعوض محمد خليفات، نشأة الحركة الإباضية ، عمان،1978،ص168.

[(2)]- الإباضية: فرقة من الخوارج أتباع عبد الله بن اباض، وكانوا من قبل شيعة الإمام علي وجنده ثم انشقوا عنه بعد قبوله للتحكيم في معركة صفين، ينظر: ناصر بن عبد الكريم العقل ،الخوارج،أول الفرق في تاريخ الإسلام، مناهجهم وأصولهم وسماتهم قديما وحديثا وموقف السلف منهم، ط1،(1419هـ/1998م)دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ص59-68.

[(3)]-تاهرت: أو تيهرت، مدينة المغرب الأوسط في القرون الأولى للإسلام بناها عبد الرحمن بن رستم وأتباعه في المذهب الإباضي، أصبحت عاصمة الدولة الرستمية من (160 – 296 هـ)، ينظر :أبي عبيد الله البكري،487هـ،المغرب في دكر بلاد افريقية،والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك،القاهرة،دار الكتاب الإسلامي،ص68،وابن عذاري المراكشي ،البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب،ج1،حققه وراجعه :ج. س.كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط2،بيروت،1980، ص196.
Amar DHINA, Cites Musulmanes D'orient Et D'occident, Edition, Entreprise ; nationale du livre, Alger, 1984 .PP73, 77.

بل تعدّاه إلى منطقة الجريد[1] وجبل نفوسة[2] بالمغرب الأدنى[3]، فقامت في المغرب الأوسط الذي يمثّل جزءاً من كلمة عامة وهي المغرب، وقد أطلق العرب كلمة المغرب على تلك المساحات الواسعة التي تلي مصر غرباً حتى المحيط الأطلسي[4]،ومما يسّجله التاريخ لأمة المغرب الأوسط أنها كانت أول أمة حقّقت استقلالها ضّمن دائرة الإسلام ،فأول ممّلكة إسّلامية مسّتقلة نشأّت بمدينة تاهرت سنة169هـ أسسّها عبد الرحمن بن رستم[5]،وتمت مبايعّته بالإمارة حسّب المبادّئ العامة للإباضية، فإنه تّعين في منصبه عن طريق الانتخّاب وكان هذا أسلوب بنو رستم في تعيين أمراءهم وولاتهم.

وأطلق عليه اسم الإمام لأن الإباضيين لا يؤمنون بالورّاثة في الخلافة[6]،وبعد وفاته تّرك الوضّعية في سبعة محققاً بذلك أحد أهم مبادئ الخوارج[7]،وهكذّا دّامت دولة الرستّميين أزيد من قرن

---

(1)-منطقة الجريد: يمتد هذا الإقليم من تخوم بسكرة الى تخوم جزيرة جربة، ويعد جزء منه عن البحر المتوسط، ينظر: الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج2،ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي، ومحمد الأخضر،ط2 دار الغرب الإسلامي ،بيروت، 1983،ص142،ومارمول كربخال،افريقيا،ج1،ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي،ومحمد زنيبر،عمرالأخضر،أحمد التوفيق،أحمد بن جلون،مكتبة العارف للنشروالتوزيع،الرباط، ص42.

(2)-جبل نفوسة: هو سلسلة جبلية صخرية تمتد من الغرب إلى الشرق، وهو جزء جبال الاطلس، ينظر: الطاهر أحمد الزاوي،تاريخ الفتح العربي في ليبيا ،دار المدارالإسلامي،ط4،2004،بيروت،ص59،وعوض الشرقاوي،التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة،في القرنين(2،3)،منشورات مؤسسة توالت الثقافية،سلسلة الأبحاث التاريخية،2011،ص21 وما بعدها،وأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي،معجم البلدان ،ج5 دارصادر،بيروت، 1397هـ/1977م، ص296، ومسعود مزهودي،جبل نفوسة منذ الفتح الإسلامي الى هجرة بني هلال الى بلاد المغرب(21-442هـ /642- 1053م)،رسالة دكتوراه عير منشورة، جامعة قسنطينة،1996 ، ص3 وما بعدها،وأبي عبيد البكري، المصدر السابق، ص9.

(3)-المغرب الأدنى: يمتد هذا الإقليم من طرابلس شرقاً حتى مدينة بجاية، عاصمته القيروان، ينظر: يوسف أحمد حواله، الحياة العلمية في افريقية " المغرب الأدنى " منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس_الهجري(90هـ-450هـ)_،ج1، ط1، 1421هـ/2000م،جامعة أم القرى، السعودية، ص46.

(4)-ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص5.

(5)-عبد الرحمن بن رستم: لا خلاف بأنه فارسي، بويع أول بالإمارة ثم بالإمامة بعد سنة60هـ كان عالماً متواضعاً، يجلس في المسجد للأرملة والضعيف، ينظر: أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: طلاي إبراهيم، ج1،ص19،وابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق: محمد ناصر، وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1986،ص17.

(6)-عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية1962، ط1، 1997، دار الغرب الإسلامي، الإسلامي، بيروت، ص33.

(7)-الخوارج: تعود بداية ظهور المذهب الخارجي الى عهد علي بن أبي طالب-كرم الله وجهه- وبالتحديد أثناء وقعة صفين(محرم 37هـ)،أي حين رفضت فئة من المقاتلين نتيجة التحكيم فخرجوا على صف علي وفارقوا صفوف أنصاره مُعلنيين العصيان، فاعتبرهم أهل السنة خارجين عن الصف وسموهم بالخوارج، وارتبط ظهورها وانتشاره في بلاد المغرب بعاملين أساسين: **أولا:** التطور السياسي

وثلاثين سنة والتي بلغت شأناً آنذاك، خّارجية ذّات نظام وراثّي طابعها بدّوي صّحراوي حدّودها غير مستّقرة[1]،ورغم المكاسب التي حققتها الإباضية في بناء أول دولة إبّاضية مستقّلة عن سلطة الخلافة السُنية إلا أنهّا خلفت روّاسب سلبية خّطيرة لعلّ أبرّزها التخّلي عن نظام الشّورى الإسلامي في اختيّار الإمام، علماً أنّ هذّا المبدأ هو الأسّاس في ظهور حرّكة الخوّارج في التاريخ الإسلامي[2] .

قامت تجربة سياسية جدّيدة في تاريخ المغرب والإسلام وهي تجربة إقامة دولة على أساس احترام الحريات وحسن الجوّار في ظّل أمراء أحسّنوا تسير شُؤونها وهذا ما تذّكره الكتابات التّاريخية التيّ أرخت للشّأن الإباضي في المغرب الأوسط منذّ القرن الثاني للهجرة، الموافق للقرن الثامن للميلاد، لذّا توّافد الناس على تاهرت من كل ناحية فكُبر وعُظم أمرها، وكانت سياستها المتمثّلة في حسن الجوار مِنهاجاً لها في علاقاتها مع القوّى الخّارجية والدّاخلية أيضاً وهو أمرُ لم يعرف له المغرب مثيلاً في تاريخه.

كلفت تلك السّياسة للمغرب أن يكون مركز الدّائرة للنشّاط الإسلامي الوّاسع، استطاع أن يسهم منذ فجر كيانه السياسي الإسلامي في حمل الوحدة بين أرجاء الدولة الاسلامية[3]،يمثل قيامه في بلاد المغرب ظاهرة لها أهميتها الحيوية في تاريخ تلك المنطقة من العالم الإسلامي، فهذه الدولة قامت نتيجة الجهود التي قام بها الخوارج الإباضية، وقد تميزّت حركتهم بالتقّوى والورّع والتمسّك بالمبدأ بصرّامة، لهذّا جاء الرفض قوياً وعنيفاً للتوجه الجديد والذّي حول نظّام الإمامة الشّوري إلى

الذي حدث للخوارج في المشرق الإسلامي في القرن الأول للهجري ،بعد فشل ثوارتهم و اضطرارهم الى اتباع أسلوب الدعوة والتنظيم السياسي و**ثانيا:** ملاءمة الأحوال السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب في هذه الفترة وبداية القرن الثاني الهجري ،ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب__الفقهية، دار الفكر العربي للطبع والنشر ،القاهرة،1997،ص61،وأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، الملل والنحل،ج1،تحقيق:محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ،بيروت، لبنان،ص114،والامام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد،الكامل حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: محمد أحمد الدالي،المجلد4، ،مؤسسة الرسالة،55، وعبد الرحمن بن خلدون ،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ج3،ضبط المتن:خليل شحاذة، ومراجعة:سهيل زكار،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،1421هـ/ 2000م،ص178.

[1]–سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، من دول الأغالبة والرستميين والمدرارين حتى قيام الدولة الفاطمية،ج2،منشأة المعارف بالإسكندرية،(د.ت)، ص479.

[2]–بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص 117، **نقلاً** :عن محمد الثميني، مفهوم الشورى والديمقراطية في التاريخ العربي لدى الرستميين والجماعات المحلية بوادي ميزاب بالجنوب الجزائري، أعمال المؤتمر البرلماني العربي الثاني، الجزائر من 8 إلى 12آذار 1981 م، ص 8.

[3]–محمد عيسى الحريري،_الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي،حضارتها وعلاقاته الخارجية بالمغرب والأندلس160–296هـ ،ط3–1408هـ/1987،دار القلم للنشر والتوزيع، ص6.

نظّام حكم ورّاثي، ولا أدّل على ذّلك من الخطاب السيّاسي الذّي عبرت عنه حركة المعارضة الإبّاضية ممثلة في حركة النّكار بزعامة ابن افندين[1]،وتمرّد خلف بن السمح[2] الذي وجد مبررّاته في تحويل نظّام الإمامة إلى نظام حكم ورّاثي[3]،ولكنها انهارّت بسبب تحامل قادة الشّيعة على جميع الحكومات الإسّلامية التيّ تعتبر في نظرهم مغتّصبة للخلافة من آل البيت.

وان أكبر عامل في سقوط هذّه الدّولة هو اخّتلاف الكلمة بين الحكومة والشعب وما انتّشر عن ذّلك يومئذّ من الفتّن والاضّطرابات التيّ اضعفت من هيبة الحكومة أمام رّعيتها فضّعفت بفقد جندها الحامي مع اهمالها لتقوية الجيش[4]،ولم يكن سقوط الدولة الرستمية حدثاً عفوياً بقدر ما كان نتيجة حتمية لما وصلت اليه الأمور من تدهور وانحطاط لعب الرستميون دوراً رئيسياً فيه بسياستهم،فقد لاحظنا أن الحماس للمذّهب الذي كان على عهد جدهم عبد الرحمن قد ضعف وانحرفواعن مبادئ المذهب[5]فافتقدوا العصبية المذهبية،وأصّبح الاعتماد على العنصرالفارسي[6] وأهمل العنصرالبربّري والعربي وبذّلك أهمّلوا المسّاندة والتأيّيد من القوّى التيّ تمثل العصّبية وتقوي الدولة الرستّمية وتحافظ على ملكها أكبر فترة ممكنة[7]،ويّبدوأن المجتمع التّاهرتي قد بلغ دّرجة من التعفن والانحطّاط الاخلاقي[8]مما فتح المجّال أمام المعّارضة التيّ تدعمت بالانقسّامات وبدّل أن وينصروا مذّهيهم لم يلتزموا به فعجلوا بذّلك في إسقاط دولتهم ودخلت البلاد في طاعة عبيد الله المهدي[9]،وبزّوال نّجم هذا الدولة انفتّح الباب على مصرّاعيه أمام الجيوش العبيدية لبسّط نفّودها على ترّاب المغرب الأوسط لتصبح جزّء من الدولة العبيدية تأتمر بأوامر الخليفة.

---

[1]- ابن أفندين: أحد الرجال السبعة الذين عهد إليهم عبد الرحمن بن رستم بأمر الشورى بعده، وقد أنف من بيعة عبد الوهاب،ينظر:أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني،المصدر السابق ،ج1، ص47 وما بعدها.

[2]-خلف بن السمح : أبي عبد الأعلى ابن السمح جدّه كان أول إمام ظهور لدى الإباضية ببلاد المغرب،ينظر: عوض خليفات ،النظم الاجتماعية والتربوية،عند الإباضية في افريقية في مرحلة الكتمان،طبعة،مجدلاوي، (د.ت)،ص103.

[3]-أبو زكريا يحي ،كتاب سير الأئمة وأخبارهم، حققه: إ سماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1984،ص121.

[4]-عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص176.

[5]- زكريا بن خليفة المحرمي، الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ،ط1-1426هـ/ 2005 م، مكتبة الغبيراء،سلطنة عمان.

[6]-ابن تاويت، دولة الرستميين: صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، مدرية 1957،ص106.

[7]-جودت عبد الكريم يوسف،العلاقات الخارجية للدولة الرستمية،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر ،1984، ص 70.

[8]-بكيربن سعيد أعوشت،الاباضية في مرآة علماء الاسلام قديماً وحديثاً،المطبعة العربية،غرداية،1955،ص84.

[9]-عبيد الله المهدي:هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله،ابن ميمون القداح،الذي استولى على المغرب، تّسمى بعبيد الله،ينظر:ابن الأثير،الكامل في التاريخ، من سنة 218هـ لغاية 318هـ،راجعه:محمد يوسف الدقاق،المجلد6،دار الكتب العلمية،بيروت،ص 450،وعبد الرحمن ابن خلدون،المصدرالسادس،ج4،ص34 وما بعدها.

فقد سّاهمت عدة أمور في غرس جذّور التشيع بتاهرت عاصمة المغرب الأوسط في تلك الحقبّة التّاريخية التي كان بنّي عُبيد يحضرون لها بشتّى الطرق حتى يتسنّى لهم جلب الناس إلى مذّهبهم كالاضطرّابات السيّاسية والأزمات الاقتّصادية وضُعف شخصية بعض السلاطين الذّين تولوا حُكم الدولة الرستمية لفترة طويلة من الزمن،وأصبحت أسرة بني رستم متعددة ومنقسمة على نفسها بسبب المحن والحروب وهو ما ساعد على إضعاف سلطة الحكام،و أصبحت القبائل تملك سلطة مصيرالحكام الذين أصبحت تعينهم كما تشاء،وبهذه الصفة تمّ طرد أبي حاتم[1]من المدينة والتجاءه إلى قبيلة هوارة[2]،دفعته هذه الظروف أن يصف تاهرت بأنها ليست بدار قرار[3]،وكذلك طرد المتحالفين معه لحرب عمه يعقوب بن أفلح[4]،الذي عُين إماماً خلفاً له استطاع عزله بدوره وبمساعدة القبائل استرجع الحكم،واستطاع الفرار من تاهرت إبان سقوطها في شوال296هـ ويلجأ إلى مدينة ورجلان[5] مع ولده سليمان[6]خوفاً من ما سيُلاقيه من بني عبيد ومن سنّ سننهم في الدين والمذّهب وحفاظاً على الذين يرافقونه في مثل هذه الظروف التي يشهدها أي حاكم عن نهاية حكمه.

كانت نهايته القتل من طرف أخيه اليقظان[7]أومن طرف أبناء هذا الأخير،وبويع بعد ذلك أميراً ولم يتمتع بالملك طويلاً حيث غمرته الفتن السياسية والأحوال المتدهورة،وزحفت عليه جيوش الشيعة العبيديين ،فقتلته في طائفة من أفراد أسرته،وبقتله انقرضت الدولة من تاهرت.

---

(1)-أبو حاتم: كان واسع الإحسان محبوبا لدى العامة،ينظر:رابح بونار،المغرب العربي،تاريخه وثقافته،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1968،ص37.

(2)-قبيلة هوارة: تنسب الى هوارين اوريغ بن برنس جد البرانس،ينظر: وأحمد بن أبي يعقوب،المعروف باليعقوبي،كتاب البلدان،طبع في مدينة ليدن المحروسة،بمطبع بريل بريل سنة1830 المسيحية، ص140، الطاهر أحمد الزاوي،المرجع السابق،ص26.

(3) – جودت عبد الكريم، المرجع السابق،ص69.

(4) – يعقوب بن أفلح:كان يطمع في الإمامة بعد وفاة أخيه ،محمد بن أفلح ولما بويع ليوسف بن أخيه،أنقطع يعقوب عنه ورحل إلى زواغة،وعندما ثار أهل تاهرت على يوسف وأخرجوه منها،أرسلوا الى يعقوب، فجاءهم وبايعوه بالإمامة في سنة 284هـ،ينظر:ابي العباس الدرجيني،المصدرالسابق،ج1،ص105،وابن عذاري المراكشي،المصدر السابق،ج1،ص197.

(5)-ورجلان:كانت في القرن 2-3هـ،مركزاً هاماً من مراكز الاباضية في المغرب الأوسط،ينظر:ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج5، ص371،وابن سعيد المغربي،كتاب الجغرافية،تحقيق:اسماعيل العربي ديوان المطبوعات الجامعية،ط2، للجزائر 1982 ص126.

(6) – ابن الصغير، المصدر السابق ، ص26.

(7) – اليقظان بن أبي البقظان:294هـ/906م-296هـ/908م،تولى الإمامة وأيام دولته ذاهبة والحكومة مضطربة،ينظر:سليمان بن الشيخ الباروني،النفوسي،كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية،ج2 مطبعة الأزهار البارونية،(د.ت)،ص291، 292،وعبد الرحمن الجيلالي،المرجع السابق، ص299، وإبراهيم بحاز،المرجع السابق،ص127.

الدولة العبيدية : 296هـ - 361هـ /909م-972م:

قامت الخلاّفة العبيدية[1]على أسّاس النحلّة الإسمّاعيلية[2]،وهي احدى طوّائف الشيّعة العلّوية اللذين ثارّوا سنة 122هـ/740م على الخليفّة الاموي هشام بن عبد الملك[3]،بقيّادة زيد بن علي زين العابدين بن الحسن بن علي بن ابي طالب[4].

اجتّمع حوله العلّويون بالكوفة لكن جماعة من رؤّوسهم اختّلفوا معه في الحكم على إمامة الشيخين أبي بكر وعمر،ذّلك أنهّم سأّلوه عن رأيه فيهما فأجّاب قائلاً: "رحمّهما الله وغفّرلهما،وما سمعت أحد من أهل بيتي يتبرّأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيرّاً قالوا فلم تطلب إذّا بدم أهل هذّا البيت إلا أن وَثباً على سلطانكم فنزّعاه من أيديكم فقال لهم زيد إنّ أشّد ما أقول فيما ذّكرتم أنَّ كُنا أحق بسلطان رسول الله-صلى الله عليه وسلم-من النّاس أجمعين وأنّ القوم استأثّروا علينا ودفعونا عنه ولم يبلغ ذّلك عندنا كُفراً قد ولو فعّدلوا في الناس وعملوا بالكتّاب والسّنة قالوا فلم يظّلمك هؤّلاء إذكان أولئّك لم يظّلمو،ففّارقوه ونكثّوا بيعته[5]،وبقي في جماعته أصّحابه مكونين فرقة شّيعية جديدة أصبحت تسّمى الزّيدية[6] نسبة إليه،أما المنشّقون فقد تبّرأوا من الشّيخين لأّنهما في نظّرهم،لم يقدما علياً

---

[1]-الخلافة العبيدية: هي من جملة الدول الإسلامية التي قلدت الدولة العباسية في نظام حكومتها وسائرشؤونها،إلا ما يتعلق منها بالدين فأنهم ايدوا كل ما يوافق مذهب الشيعة من إيثار العلويين وتقديمهم والعمل بأقوال ائمتهم،ينظر: جورجي زيدان،تاريخ التمدن الإسلامي،ج4،راجعها وعلق عليها:حسين مؤنس،دارالهلال،(د.ت)،ص232، وأيمن فؤاد سيد،الدولة الفاطمية في مصر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،2007،ص100.

[2] -النحلة الإسماعيلية: فرقة من فرق الشيعة أخذت أصولها المذهبية عن الأصول الشيعية التي وجدت قبل ظهورها،ينظر:أبي الفتح أحمد الشهرستاني،المصدر السابق، ص191،ومحمد كامل حسن،طائفة الإسماعيلية (تاريخها-نظمها-عقائدها)،ط1،مكتبة النهضة المصرية للنشروالتوزيع،1959،ص3،ومحمد حسن الأعظمي ،عبقؤية الفاطميين (أضواء على الفكروالتاريخ الفاطميين)،منشورات دار مكتبة الحياة،ص13، واحسان إلهي ظهير،الإسماعيلية تاريخ وعقائد،إدارة ترجمان السنة،لاهور باكستان،1941 -1987م،ص593 .

[3]-الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك: بن مروان أبو الوليد القريشي الأموي الدمشقي،عهد يزيد أخيه له بالخلافة من بعده،وكانت خلافته في شعبان 156هـ،ينظر:أبي الحسن بن الأثير،المصدرالسابق،ج4،ص370.

[4]- زيد بن علي زين العابدين: ظهر بالكوفة خارجاً على هشام داعياً للكتاب والسنة والى جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين،ينظر:عبد الرحمن بن خلدون،المصدر السابق،ج3،ص122،وأبي الحسن بن علي المسعودي، (ت346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج3، أعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط1-1425هـ/2005م، ص170،وابن الأثير،المصدر السابق،ج4،ص452.

[5]-ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص452 وما بعدها، وابن خلدون،المصدر السابق ،ج3، ص124.

[6] - الإمامة الزيدية: نسبة إلى صاحب المذهب وهو زيد بن علي بن الحين السبط،ينظر:عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحاذة، ومراجعة: سهيل زكار ،دار الفكر للطباعة والنشر،1431هـ/2000م،ص248،و سيف الدين القصير،ابن حوشب والحركة الفاطمية في_اليمن،دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، ص18.

وبياعاه،كما تقتّضيه النّصوص التي عينه بها النبّي عليه الصّلاة والسّلام والتّي تدل على تعين علي–رضي الله عنه–وتشّخيصه،وسميوا الإمامية[1] ،ويسوقون الإمامة في أبناء فاطمة–رضي الله عنها – بالنّص عليهم واحداًبعد واحداً[2]،وقد سّاقوها في أبي جعفر محمد بن علي[3]،أخي زيد"وكان قد هلك،وكان ابنه جعفر بن محمد [4]، حياً فقالوا جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه.

سّماهم زيد الرّافضة[5]، فالإمامية إذاً سّاقوا الإمامة، بعد الإمام علي"إلى ابنه الحسن[6]بالوصية ثم الى أخيه الحسين[7]ثم الى ابنه علي زين العابدين[8]، ثم الى ابنه محمد الباقر[9]، ثم الى ابنه جعفر الصادق[10]،ثم اختلفوا بعده في الأولا ثم اختلفوا بعده في الأولاد،وانقسموا إلى عدة فرق من

---

(1)–الفرقة الإمامية: هم القائلون بوجوب الإمامة والعصمة ووجوب النص وانما حصل لهم هدا الإسم في الأصل لجمعها في المقالة هذه النصوص ،فكل من جمعها فهو إمامي، وهي كذلك علم على من دان بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان،وأوجب النص الجلي،والعصمة والكمال لكل إمام ينظر:خالد بن أحمد الزهراني،موقف الطاهر بن عاشور في الإمامة الإثني عشرية،تقديم:صالح مقبل العصيمي التميمي،ط1–1431هـ/2101م،مركز المغرب العربي للدراسات والتدريب،ص68.

(2)–عبد الرحمن بن خلدون،االمقدمة، ص247.

(3)–أبو الفتح الشهرستاني،المصدر السابق،ج1، ص191.

(4)–هو أبو عبد الله جعفر بن محمد،توفي بالمدينة سنة148هـ،ينظر:ابن الأثير ،المصدرالسابق،ج4،ص452.

(5)–الرافضة: قيل انهم سموا رافضة لتركهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب–رضي الله عنهم–فقد كانوا بايعوه أولا ثم أرادوا امتحانه ليروا هل هو موافق لهم في معتقداتهم في الصحابة عموماً،وفي الشيخين على وجه الخصوص،ينظر:أبي الحسن الأشعري،مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين،ج1،تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،ط1، 1329هـ/1950م،مكتبة النهضة المصرية للنشروالتوزيع، ص87.

(6) – أبو محمد الحسن بن علي بن ابي طالب–رضي الله عنه: بويع له يوم مات ابوه–رضي الله عنه–وكان اشبه الناس برسول الله ،صلى الله عليه وسلم، ينظر: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي،اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة_الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، ج1، ط2، 1416هـ/ 1996، ص،65، وابن الجوزي، صفوة الصفوة، تحقيق: خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، لبنان،1433هـ/2012م، ص276.

(7) – المقريزي ، اتعاظ...، المصدر السابق،ج1،ص5.

(8) – زين العابدين:هوأبو الحسن علي بن الحسين،أحد الأئمة الإثنى عشر ،ولد سنة 38هـ،توفي سنة94هـ،ودفن بالبقيع في قبر عمه الحسن بن علي،ينظر:ابي نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني،ت430هـ ،حلية الاولياء وطبقات الاصفياء،ج3،مكتبة الخانجي،دارالفكرلطباعة للنشر والتوزيع،ص229.

(9) – محمد الباقر:هوالإمام الخامس من الأئمة الإثني عشر ولقب بالباقر لنبوغه في العلم وتوسعه فيه،ينظر:عادل أديب،الأئمة الإثنى عشر،دراسة تحليلية،ط1، 1405هـ/1985م،منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت،ص155.

(10) – جعفر الصادق:هو الإمام السادس عند الشيعة،أحد الائمة الإثني عشر،على مذهب الإمامية، ينظر:أبومحمد عبد بن مسلم بن قتيبة،المعارف،تحقيق:ثروت عكاشة،طبع دار المعارف بمصر،ط2، 1969، ص215،وابن خلكان،وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان،ج1،حققه:احسان عباس،دارصادر،بيروت،ص327.

بينها الموسوية[1]، والإسماعيلية،حسب بعض المؤرخين، أوأنهم انقسموا الى هاتين الفرقتين حسب البعض الآخر [2].

كان ظهور الدعوة الشيعية في المغرب الأوسط ، حوالي 279هـ /892م بواسطة الدُعاة المنبّثين في الأقطار المرسلين الى المغرب وكان ظهورهم أول مرة بناحية قسنطينة،سوجمار [3]ما بين أرض مجانة[4]،وسبيبة[5]،ثم ظهر بكتامة[6] أبوعبد الله الصنعاني[7] ،والذي استطاع بذكائه وحزمه النادر في استمّالة القوم اليه بدعوّى التحرير من السلطة الأغلبية والانتصار للدين حتى أمتلك قلوبهم واكتسب مودتهم فاجتمعوا عليه وكثر عددهم حوله فأخذ حينئذ في تأسيس مدينة- ايكجان قريباً من سطيف فجمع بها أنصاره وسماها(دار الهجرة) ومنها زحف الى ميلة[8] ودخلها سنة290هـ-902م[9]،خاض خلالها حروب طاحنة ووقائع شديدة فتغلب ودخلها ونشر المذّهب الشيعي ثم تظاهر أمام أهلها بالتقشف والتمسك بالكتاب والسنة وانتهاج مناهج العدل والاستقّامة فتثبت به القوم ورغبوا في توليه عليهم.

لم تّستطيع هذه الدّولة العبيدية أنّ تحافظ على وحدة هذه الأقاليم لعدة أسباب:

---

[1]-الموسوية: فرقة واحدة قالت بإمامة موسى بن جعفر نصاً عليه بالاسم، حيث قال الصادق -رضي الله عنه-سابعكم قائمكم، وقيل صاحبكم قائمكم،ينظر :أحمد الشهرستاني،المصدر السابق،ص168.

[2]-عبد الرحمن بن خلدون،المصدرالسابق، ص247، 248،والشهرستاني، المصدرالسابق،ص 146-190.

[3]-سوجمار :أرض بكتامة،نقطة انطلاق الدعوة الأسماعيلية،ينظر :القاضي النعمان،افتتاح الدعوة، تحقيق:_فرحات الدشراوي،الشركة التونسية للتوزيع،تونس،ديوان المطبوعات الجامعية،ط2، الجزائر ، ص29

[4]-مجانة:مدينة أزلية قديمة بافريقية، ينظر :البكري،المصدر السابق،ص49-145.

[5]-سبيبة:من أعمال افريقية،ينظر :الإدريسي،المغرب أرض السودان ومصروالأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،طبع في مدينة ليدن المحروسة،بمطبعة بريل،1899،ص 119.

[6]-كتامة: لعبت دوراً بارزاً في نصرة الحركة الإسماعيلية وترسيخ افكارها ببلاد المغرب وتجسيد مبادئها ميدانيا وشكلت العصب العسكري للدعوة الفاطمية ،ينظر :رضا بن النية،صنهاجة المغرب الأوسط،من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين،مصر (80هـ-699م/362هـ-973م)،دراسة اجتماعية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط،جامعة منتوري،كلية العلوم‌الإنسانية والاجتماعية،قسم التاريخ،السنة الجامعية 1426- 1427هـ/2005-2006م، ص93.

[7]-أبو عبد الله الشيعي الصنعاني:مؤسس الدولة العبيدية،اعتنق تعاليم الشيعة وأعلن ولاءه للائمة العلويين والاسماعيليين،ورأى أحقية العبيديين في تولي الخلافة،فعاش حياته كلها من أجل تحقيق آرائه وأفكاره،وكافح وناضل سنوات طويلة حتى خرج بها الى النور وجعلها حقيقة تاريخية واقعة، ينظر :تقي الدين المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار،المعروف بالخطط المقريزية،ج2، ط2،الناشر مكتبة الثقافة الدينية، ،1987، ص10.

[8] -ميلة: مدينة صغيرة بأقصى افريقية ،ينظر :ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج5، ص244.

[9] - عبد الرحمن الجيلالي،المرجع السابق،ج2، ص216 .

أولا: إنها فرضت على السكان مذهبها الشيعي الجديد الذي لم يستعيبوه ولم يرحبوا به عن إيمان وعقيدة.

ثانياً: إنها حكمت بأسلوب العصبية القبلية فاعتمدت في بداية أمرها على قبيلة كتامة التي ينتشر أفرادها في معظم جهات البابور الى الأوراس التي يرجع إليها الفضل في إقامة هذه الدولة،ثم استمالت إليها قبيلة صنهاجة.

ثالثاً: منذ ظهورها كان اتجاهها شرقياً[1]...وهذّا الاتّجاه نحو الشرق جعل الدولة العبيدية لا تولي اهتماماً كبيراً للمغرب الإسلامي الذي يظهر أنه اتخذته معبراً فقط وممراً الى أهدافها الأساسية بالمشرق الإسلامي.

الدولة الزيرية: 362هـ - 543هـ/972-1148م.

تنتسّب هذّه الدّولة لحماً ودماً إلى عاهل صّنهاجة[2] وزّعيمها الأكبر زّيري بن مناد[3] وكانت هذّه القبيلة مرغّمة على الخّضوع للخّلافة العباسية،والإذّعان للإمارة الأغلبية،وذّلك بموجب كونهّا علوية بالوّلاء، فلما استّتب الأمر لدّولة بني عبيد بهذّه البلاد انقّلبت على العباسيين،فكانت بجانب العبيديين،ولماّ أخذّ المعز[4] في الرّحلة إلى المّشرق وصرف اهتمّامه إلى ما يتخّل ورّاء ظّهره من الممّالك والعمّالات"،نظّر فمن يوليه أمر افريقية والمغرب ممن له الغناء والاضطلاع،وبه الوثّوق من صدق التشّيع ورسّوخ القِدم في درّاية الدّولة.

وفي ظّل الظّروف التيّ بدأت تشهدها هذّه الدّولة التي لم يدم عمرها طويلاً بالمغرب الأوسط،من ثورات ترّفض الوّجود الشّيعي،سعت للرّحيل باتّجاه مصر التيّ لقيت ترحاباً من أهاليها،ومحاولة البحث عن قائد أوحاكم يدير شّؤون هذّه الدّولة لفّترة عير محدّودة،فعثّر اختياره على بلكين بن زيري بن مناد ،ولاه أمرافريقية، وسّماه يوسف بدلاً من بلكين، وكنّاه أبو الفتوح، ولقبه سيف الدّولة،ووصله

---

[1]-يحي بوعزيز،موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب،ج1،دار الهدى،عين ميلة،2009،ص37.

[2]-صنهاجة:تحتل قلب المغرب الأوسط،ينظر:ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص201.

[3]-**زيري بن مناد:** ما أن ولد حتى بدت عليه إشارات تؤكد صحة ما تنبأ به له الزائر المغربي، ينظر: محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني،المعروف بابن أبي دينار،كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية وحاضرتها المحمية 1286،ص71-76،وابن خلكلن،المصدر السابق،ج1، ص286.

[4]-الخليفة المعز:هو معد بن إسماعيل المنصور،وكنيته أبو تميم،وعهد له والده بالخلافة سنة 341هـ، ينظر: أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة، وعبد الحليم عويس،دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة،(د.ت)،ص83.

بالخلع والأكسية الفّاخرة، وحمله على مقرباته بالمراكب الثّقيلة، وأنفذ أمره في الجيش والمال وأطلق يده في الأعمال،وأوصّاه بثلاث: "..أنّ لا يرفع السّيف على البربر، ولا يرفع الجباية على أهل البّادية، ولا يُوّلي أحد من أهل بيته،وعهّد إليه أنّ يفتح أمره بغزّو المغرب لحسّم دائه،وقطع علائّق الأموية منه وارتحل يريد القاهرة سنة اثنين وستين وثلاثمائة[1]،وكان الخليفة يريد من ورّاء ذّلك التّخلص من أعدّاءه من أي مكان.

قال ابن أبي الضياف:" إنما أوصّاه بعدم المسّامحة في الجباية التيّ هي من الأموّال لا بالظّلم،وأما البربر فان سيوّفهم لم تزّل بادية للبغّي والقتل لكثّرة قبائلهم وعصّائبهم والشّر يدفع بمثله إذا أعياك غيره فالقتل أنفى للقتل،أما تقديم إخوته وبنيه فقد ذكر سببّه،وأما وصيّته بالمدن فلتثّر في الوجود" [2].

وقد قرر تعيينه حتىّ لا يضّيع المغرب من العبيدين في ساحة تنافس الخلاّفة العباسية بالمشرق مع الدولة الأموية بالأندلس،وقال له:" تأهّب لخلافة المغرب فأكبر يوسف ذّلك وقال:" يا مولانا،أنت،وآباؤّك الأئّمة من ولد رسّول الله–صلى الله عليه وسلم–،ما صّفا لكم المغرب،فكيف يصفو لي،وأنا صنهاجي بربري؟ قتلتنيّ يا مولانا بلا سيف ولا رمح ،وأمر سائر النّاس بالسّمع والطاعة،وفوض إليه أمور البلاد[3]،بعد أنّ قضوا نحو ستيّن سنة في بلاد المغرب، يوسّعون رقعة أملاّكهم وينشّرون دعوّتهم.

وقد ترّكوا أمر هذّه البلاد لبني زيري فرسمّوا خطاهم في منّاضلة أعدّائهم من الأمويين والزناتيين من ناحية،وإعلاء كلمة المذهب الإسماعيلي من ناحية أخرى[4]،واستّمال خلفاء الدولة العبيدية القبائل البربرية الصنهاجية واستبّدلوها بدلاً القبائل الكتامية واسندوا إليها الأمور المهمة، وأرتفع نجم الصنهاجيين في زمن عائلة بني زيري فأهداهم العبيديون حكم افريقية والمغرب[5]، خلف ذّلك حُروباً واضطرّابات عبررُبوع المغرب الإسّلامي عامة، والمغرب الأوسط خّاصة لما لهذّه المنطقة من خصّوصيات جعلت الكثير من القبائل أنها تتقاتل فيما بينها من أجل البقاء والسيّطرة على الأمور

---

[1]–شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب،ج24، تحقيق: عبد الحميد توحيني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 93.

[2]–احمد ابن أبي الضياف،إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج1،طبعة تونس،1963، ص132.

[3]–رابح بونار، المرجع السابق، ص176.

[4]–حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، ومصر، وسورية، وبلاد العرب، ط3،مكتبة النهضة المصرية،1964،القاهرة ، ص332.

[5]–علي محمد الصلابي، الدولة الفاطمية،مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة،1427هـ/2006م، ص93.

وإدّارة شؤون هذّه الدّولة التيّ قامت على أكتّافهم فظهر على مسّرح الأحدّاث الحكومة الصّنهاجية التي دّامت نحو مائة وثمانيين سنة .

حاولت أنّ توّحد المغرب فعجزت عن ذّلك لمنّافسة قبائل زناتة لها،وقد كانت هذه القبائل تطيعها بعض الطّاعة في عهد قوتها،ولما ضعفت قليلاً تمرّدت عليها وانشّقت عن حكومتها ونّتج عن ذلك توزع المغرب بين دول متعددة فكانت افريقية والمغرب الأوسّط إلى أول القرن الخامس الهجري تحت حكم بني زيري[1]،ولعل السيّاسة التيّ سلكها بني عبيد من قبل، في إيثّار قبيلة على قبيلة أخرى وفي اصطنّاع زعماء وترك آخرين،كان له تأثّير على انشّقاق الوحدة القومية بشّمال افريقية وتوجيّهها نحو التعصّب للرّوح القبلية ومازّال آثار ذلك الصرّاع قائمة إلى يومنا هذّا،رغم القراءات الحديثة لإعادة قراءة التاريخ من جديد بصورة تختلف كما كانت عليه من قبل العديد من المؤّرخين والبّاحثين في هذا الشّأن من القضّايا المذّهبية والعقائّدية ومازّالت تثير الكثير من المشّاكل بين الأوساط المثقفة وغير المثقفة،وأصبحت حدّود العبيديين بالمغرب تكاد تكون هي حدود شّمال افريقية من طرابلس إلى المغرب الأقصى، ولكن سلطتها التامة لم تكن تتجاوز افريقية وطرابلس ونصف المغرب الأوسط، وكان هذا الأخير تحت حكمها وكانت العلاقة بين الإمارة الزيّرية بين الدولة العبيدية في مصر في أوّج صفائها في عهد أبي الفتوح يوسف بلكين بن زيري.

عند ما خلفه ابنه أبو الفتح المنصور [2]،ورّاح هذا يعدُ العدّة للانفصال عن الدولة العبيدية،وإبقاء تبعية الدولة الصنهاجية إسمية،وعبر عن هذا الطُموح لشيُوخ القبائل الذين حضروا إلى القيروان لتهنئته بالإمارة عندما قال لهم:"إن أبي وجدي أخذ الناس بالسيّف قهراً،وأنا لا آخذّهم إلا بالإحسان،وما أنا في هذا الملك ممن يولي بكتاب ويعزل بكتاب، لأنني ورثته عن آبائي وأجدادي الذين ورثوه عن آبائهم حمير"[3]،وهنا إشارة على البدأ في التفكير في عملية الإنفصال على بني العبيد، وسياستهم بين القبائل،وعندما رحل العبيديون الى مصر تركوا أمر بلاد المغرب لبني زيري الصنهاجيين،بعد أنّ تأكدّوا ولائّهم على الاستمرّار في تأييّد الإتجاه السيّاسي الذّي حدّده العبيديون وسارّوا عليه من قبل،فهل كان الزيريون صورة طبق الأصل للعبيديين واتجاههم السياسي في بلاد المغرب؟ والواقع

---

(1)-رابح بونار، المرجع السابق، ص189.

(2)- أبو الفتح المنصور :ولى الإمارة 374هـ -386هـ /984م-996م، فكانت مدته اثني عشر سنة،ينظر:ابن عذّاري المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص239،وعبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص207.

(3)-ابن عذاري المراكشي،المصدر نفسه،ج1، ص240،والنويري، المصدر السابق،ص97.

ان الزيريين قد انتهجوا نفس السياسة التي انتهجها العبيديون من قبل وعلى الأقل في بداية ولايتهم حتى يتطمئن العبيديون على اختيارهم[1].

فقد عمل بلكين بن زيري على القيام بحملة في بلاد المغرب هزم فيها الثوار الذين اعتقدوا أن الفرصة مواتية للتحرر من سلطان القيروان في بجاية وتاهرت،كما هزم زناتة قرب تلمسان،وكان يشعر بقوته ومكانته،فبدأ يستعمل سلطاته كأمير مستقل دون أن يقييم وزناً للترتيبات التي وضعها العبيديون للحد من سلطاته،ثم سعى بعد ذلك للتخلص من عمال العبيدين وعيونهم الذين كانوا يمثلون جهاز متابعة لمراقبة تصرفات الزيريين وسياستهم في بلاد المغرب[2]،فكانت بداية محاولة الزيريين لتأكيد استقلالهم واتجاهاهم السياسية في أرض المغرب عن العبيديين.

ولما بلغ الخليفة العبيدي العزيز بالله[3]عمله على الانفصّال سخّط عليه ورّاح يحيك المؤّامرات ضده وأوفد شخصاً يدعى أبو الفهم الخرساني[4] سنة ست وسبعين وثلاثمائة للهجرة الى قبائل كتامة[5] يحّرضها على العصيان،وأحس العزيز بالله أن هذا الأسّلوب لا يجدي مع الصنهاجيين فغيرالتعامل مع المنصور بأن أرسل له سنة اربع وثمانيين وثلاثمائة للهجرة هدية فاخرة من بينها فيلُ مستّأنس واستمرّت علاقاتهم بالزبيريين الطيبة في ظاهرها المريبة في جوهرها،حتى نصير الدولة باديس الذي اتّضحت نواياه أكثر في الاستقلال عن الخلافة العبيدية،ومن هنا يمكن القول أنّ الصرّاعات ظّلت قائّمة لسنّيين عدّيدة بين القبائل البّربرية من أجل البقّاء، وفرض السيّطرة بشّتى الوسائل والطرق،وهذّا أثر بشكل أو بآخر في الحيّاة الفكرية في كل المجتمعات التيّ كانت قائمة

---

[1]- بشير رمضان التليسي،الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي، خلال القرن الرابع الهجري، العاشر للميلاد، ط1، 2003، المدار الإسلامي،بيروت، لبنان،ص166.

[2]-نفسه، ص166.

[3]-الخليفة العزيز بالله:هو نزار ابو المنصور،ولي العهد يوم الخميس العاشر من ربيع الثاني سنة366هـ، سنة366هـ،**أنظر**:ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص65.

De lacy o'leary-d.d ; a short history of the Fatimid khalifa,London, kegan paul trench,trubner&.co.ltd,new York,e.p dulton &co.1923.p115 .

[4]-أبوالفهم الخرساني:قدم في سنة ستة وسبعين وثلاثمائة من مصر من قبل نزار فأنزله يوسف بن عبد الله وأجرى عليه جرايات جليلة واعطاه أمولاً وبره وأكرمه، ينظر:النويري، المصدر السابق، ص100.

[5]-عبد الرحمن ابن خلدون،المصدرالسابق، ج6 ص200.

آنذّاك،وبعد خلف أبنه المعزّ [1]،الذي ستعرف الإمارة خلال فتره حكمه نوع من الهدوء النسبي من أجل الإستمرارية والبقاء.

وحاول خلفاء بني زيري في الكثير من المرّات التخلص من الوّجود الشّيعي،الذّي لم يعد يتمّاشى وحياة وعادّات المجتمع البرّبري والعربي في تلك الفّترة الحرجة من حياة بني زيري الذّين كانوا موّالين للعبيدين لفترة من الزّمن في تاريخ المغرب الأوسط، ولّعل رفض البربر لمذّهب الشيّعة أكبر دليل على عرُوبة البربر التيّ مكنتهم من فهم القرآن الكريم، فقد أوجد الرستميين في اعتّدال بني زيّري المذّهبي استّحساناً في نفوسّهم التي فهمت الإسلام فهماً صحيحاً.

فقد تأثر الخليفة العبيدي كثيراً لهذا الحادث الخطير وهذا الإنقلاب الديني السياسي العظيم الذي وقع بافريقية،فعظم عليه خُروج المغرب عن الإمبراطورية العبيدية وانقراض دعوة الشيعة به فكتب المستنصر بالله[2] العبيدي الى المعز بن باديس كتاباً يتهدّده فيه ويقول:" هلا اقتفيت آثار آبائك في الطاعّة والوّلاء.".فأجابه المعز قائلاً:"..ان آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن يملكه أسلافك ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم[3]

وهذّا ردٌ صريح من قبل أمير يتطلع إلى الإمارة بهذه الشِّدة والقوةّ ضد قوة عسكرية بسطت سلطانها على منطقة المغرب الإسلامي في تلك الفترة من حكم بني العبيد،لذا بقيت الدولة الزيرية قائمة كأقوّى دولة بربرية في المغرب لحين زحف القبائل العربية[4]، ثم ظهور قوة المرابطين[5] في منتصف القرن الخامس الهجري،الموافق للقرن الحادي عشر الميلادي[6]. كانت هذّه الدولة تتّحكم الى حدّ

---

[1] الخليفة المعز:تولى الأمر بعد وفاة ابيه بادس الذي مات سنة 387هـ،ينظر:ابن خلدون، المصدر السابق، ،ج6،–ص210،و Hady Roger Idris, La Barbarie Oriental sous les zirides xe, XII siècle ,librairie Amérique et orient. Adrien–Maisonneuve ;paris6ep207

[2]–المستنصر بالله: بويع بالخلافة سنة427هـ،ينظر:المقريزي،اتعاظ ...،المصدر السابق،ج2،184، ص

[3]–عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج2، ص259.

[4]–: P.M.HOLT ,the Cambridge ,History of Islam ;vol 2A ;the indian sub–continend south– east asia–africa,and the musulman–west,combridge university,press;1970,p221.

وحسين مؤنس،معالم تاريخ المغرب والأندلس،دار الرشاد ضمن مشروع مكتبة الأسرة،1992،ص166.

[5]–المرابطون: وينتسب الملثمون الذين عرفوا فيما بعد بالمرابطين الى قبيلة لمتونة أحدى بطون صنهاجة أعظم قبائل البربر ،ينظر:حمدي عبد المنعم محمد حسين،التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين،1997،دارالمعرفة الجامعية،مصر ،ص37،وأحمد بن خالد الناصري،كتاب الاستقصا لأخبار_المغرب الأقصى،ج1 ،تحقيق: جعفر الناصري،و محمد الناصري،دار الكتاب،الدار البضاء،1954، ص98.

[6]–عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري،ط2، 1411هـ /1991م ،دار الوفاء–دار الصحوة للنشر والتوزيع–القاهرة ، ص71.

بعيد في السّياسة الخارجية لدولة بني حماد،فقد بقيت الممّثل الأقوى للمغرب مع العبيديين الى إعلان خرّوجهم عن المذّهب الشّيعي سنة 440هـ/1049[1] ،وانقسمت الدولة الصنهاجية الزيرية الى دولة شرقية عاصمتها القيروان،ثم المهدية ،وإلى إمارة غربية قاعدتها قلعة بني حماد، ثم بجاية[2].

الدولة الحمادية : 408هـ -552هـ /1017م-1157م:

شّهدت أرض المغرب الأوسط حرُوباً عدّيدة كاستمرّار زناتة[3] على تمرّدها ضد السّلطة فأوكل باديس لعمه مُهمة القضاء على حركة زناتة واخماد ثّوراتها فاقتّحم حماد[4] هذّه الفرصة ليحقّق أغرّاضه في الملك والرّئاسة فاشّترط على الأمير أنه انّ نجح في زّحفه على زناتة انّ يُوليه المغرب الأوسط وأنّ له جميع ما يملكه في غزوته لهذه من البلاد، وأنّ تكون له الحرية في اخّتيار مكان اقامته بالبلاد.

وما كانت ثورات زناتة في حقيقة أمرها إلا ضغينة وحقد لحقها من خيبتها ،إذ لم يكن لها في هذه الدولة من الحكم والرياسة نصيب فاندّفع حماد[5] بعد انتصاره على زناتة يتّجول في انحاء المغرب الأوسط ثملاً بخمرة ٱلظهوروالغلبة على خُّصومه وهو في ذلك يرتّاد مكاناً حصيناً يتخذّه مركزاً لسلطانه ويحتّاط فيه لنفسه، وقف إلى جبل منيع مطل على بحيرة الحضنة يعرف بجبل كياتة المسّمى بجبل "معديد" وهناك شرع حماد في وضع قلعته وتأسيّس عاصمته التي قدر لها أن تكون حيناً من الدهر عاصمة المغرب الأوسط[6]، وتمثل مرحلة قلعة بني حماد، المرْحلة المُهمة في تّاريخ الدولة الحمّادية[7]، بل يرجع ذلك الى أن بنائها واختيارها كعاصمة ارتبط ارتباطاً وثيقاً باستقلال شخصية الدولة الحمادية وبتأسّيسها كدّولة مستقلة و فضلاً عن الدور الذي لعبته القلعة في حماية الدولة.

---

(1)-نفسه، ص72.

(2)-رابح بونار ،المرجع السابق، ص191.

(3)-زناتة: وهم فرع من البربر البتر،ينظر:ابن حزم الأندلسي(384هـ-456هـ)،جمهرة أنساب العرب، ،تحقيق:عبد السلام محمد هارون، ،ط5،دارالمعارف، ،القاهرة،ص295.

(4)-عبد الرحمن الجيلالي،المرجع السابق،ج2، ص254.

(5)-حماد:كان شجاعاًعالماً في الفقه والجدل،ينظر:لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر_الوسيط،القسم الثالث من كتاب اعمال الأعلام،تحقيق وتعليق:أحمد مختار العبادي،ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء،1964، ص85، وكتاب الاستبصار، ص168، 170.

(6)-نفسه، ص254.

(7) -Le conte de Mas Latrie, relation et commerce de l'afrique septentrionale avec les nations chrétiennes au mayen âge ,Paris-Librairie de Firmin,didot etcir ;1886;p32.

قد استّطاع حماد وابن اخيه باديس[1]بعد هذا الشرط بوسائل متعدّدة وفي هذّه الفّترة أنّ يبرز نفسه كرجل جدير بقيادة دولة ينفرد بها وحده،وتكون لأبنائه من بعده،وقد فرضت شخصيته على دولة الزيريين أنّ يستعنّوا به في القضّاء على مشّاكلهم الدّاخلية والخارجية[2]،وفي ظّل التحدّيات التيّ كان يقابلها الزّيريون،استّطاع أنّ يفرض شّروط معاهدة تقضّي بتأسيّس دولة له ولبنيه، قد نجّح في الحصول على المعّاهدة التيّ تقضي بإنشّاء دولته كدولة متميزّة لها حدودها المادّية وشخصّيتها المعنوية[3]،وهي إحدّى القوّى السيّاسية التيّ قامت في المغرب الأوسط،ضّمن الجزء الذّي تبّلور إدارياً منذّ القرن الثالث الهجري،الموافق للقرن التاسع للميلاد،للدلالة على القسم الغّربي من الدّولة الإسّلامية ومنه يحدّد إطاره الجغرّافي بين بجاية شرقا إلى وادي ملوية وراء تلمسان غرباً[4]،لتعْرِف هذّه الحدّود اتساعاً اشمل في العهد الحمادي ممتدّة من مدينة بونة شرقاً-كحد فاصل بين المغربين الأوسط والأدنى-الى مدينة تلمسان وما والاها كفاصل بين الأوسط والأقصى[5].

شّيد من بنيانها واسوّارها واستكثّر فيها المسّاجد والفنادق ،فاستبّحرت في العمارة وانسّعت في التّمدن،ورحل إليها من الثغّور والقاصّية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها، ونجد هذا تقريباً في جميع المؤلفات التاريخية التي تحملت عبء كتابة تاريخ نشأة هذ الإمارة على أرض المغرب الأوسط،ولا تكاد تختلف في انها شملت أطياف من الاجناس جعلوها قبلة للعلماء وطلاب العلم من مكان في تاريخ المغرب الإسلامي.

وقد انقسم تاريخها من التأسيس حتى السقوط الى ثلاث فترات هي:

1-الفترة الأولى:(443-405هـ /1014-1051م): انطلاقاً من إنشاء حماد لقلعته سنة 398هـ /1007م مرورا بنجاح حركته الاستّقلالية سيّاسياً ومذّهبياً عن الدولة الزّيرية، والخّلافة العبيدية

---

(1)-باديس: 386-406هـ/996-1016م، عندما ارتقى الى العرش كان عمره لا يتجاوز عشرة سنة، واسمه الكامل هو أبو مناد باديس ناصر الدولة، ينظر:ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص246،وعبد الرحمن بن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص229،وشهاب الدين النويري،المصدر السابق، ج24، ص102.

(2)-عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، ص47.

(3)- نفسه، ص47، 48.

(4)-رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي (من الفتح الى بداية العهد العثماني)، وزارة الثقافة والسياحة ،ط 1984م ، ص13.

(5)-ابن أبي دينار، عبد الله محمد القيرواني، المصدر السابق، طبعة تونس، ص95.

ومذّهبها الشّيعي وإعلان ولائه للدولة العباسية واعتنّاقه للمذّهب السُّني ابتداء من سنة 405هـ/1014م[1]،مما نتّج عنه صرّاع دّموي بين أبناء الأسرة الصنّهاجية الواحدة.

2-الفترة الثانية:(481-443هـ/1051-1089م): شهدت فيها الدولة الحمادية أوج عظمتها[2]،اتساعاً وحضارة وثقافة نتيجة للدور المعتبر الذي قام به الملك الناصر بن علناس[3]،ومنها تحويله لعاصمة الدولة من القلعة الى بجاية سنة 460هـ/1067-1068م[4]،في محاولة منه لعزل الهلاليين،وفتح آفاق جديدة لدولته واحتياطاً من زوال ملكه على غرار ما حصل لبني عمومته الزيريين بأفريقية.

3-**الفترة الثالثة:(481 -547هـ/109-1152م)**:وفيها تقلص نفوذهم تدريجياً،رّغم نشاطهم البحري الكبير في صد النورمان المسيحيين بقيادة ملكهم"روجر الثاني "ووضع حد لتواطئ حكام افريقية معهم.

من خلال حملات"العزيز بن المنصور"[5]وخليفته" يحي"[6] على المهدية وماوالاها[7]، نشأت الدّولة الحمادية وترعرعت في ظّل الصّراع والموّاجهة سواء مع القبائل المجاورة،خاصة بطون زناتة غرباً، أو بني عمومتهم الزيريين شرقاً، أو مع الروم المسيحيين على الواجهة البحرية المتوسطية شمالاً، مما جعل الحية السياسية العامة تطبع بالطابع العسّكري من خلال استعدادها الدّائم للحرب، وتعدّد حجم المواجهات مع غيرهم[8]، ولعل افتّكاكهم لاستقلالهم بالقوة الحربية، وصدهم لهجمات الملثّميين المتحالفين مع قبائل زناتة، وتمكنهم من الوصول الى مدينة

---

(1)- إبراهيم أحمد العدوي، بلاد الجزائر،تكوينها الإسلامي والعربي،ط1،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،1970 ، ص173.

(2)-إسماعيل العربي،دولة بني حماد،ملوك القلعة وبجاية،الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر،1980، ص138.

(3)-الناصر بن علناس بن حماد: قد أرتقى الى العرش سنة454هـ /1062م، ينظر: رابح بونار،تاريخ بني حماد للسان بن الخطيب(ت776هـ)،مجلة الاصالة،العدد 19، ص89، Général .L. de Beylie ;Kalaa des Beni Hammad ,une capitale Berbère de l'Afrique du nord ;au xi siècle ;paris ;Ernest leroux,editeur1909 ;p9.

(4)-داود بن يوسف سليمان، حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، مطبعة أبو داود،الجزائر-1983، ص83.

(5)-العزيز بن المنصور: بويع بالملك بجيجل آخر سنة 498هـ/1105م،ينظر:محمد الطمار،المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010،الجزائر، ص125،عبد الرحمن الجلالي،المرجع السابق،ج2، ص148.

(6) - يحي بن عبد العزيز :آخر ملوك بن حماد،ينظر:رشيد بورويبة،الدولة...،المرجع السابق، ص91.

(7)-ابن عذاري المراكشي،المصدر السابق،ج1،ص321.

(8)-موسى هيصام، الجيش في العهد الحمادي(547-405هـ/1014-1152م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط،كلية العلوم الإنسانية،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2000-2001م، ص2.

فاس في قلب المغرب الأقصى، ويؤّكد جلياً مكانة هذه الدولة في عمق التاريخ المغاربي العام[1] ورّغم سّلبيات التمزق السياسي لوحدة المغرب الإسلامي عقب رحيل العبيديين عنه خلال القرن الرابع الهجري،وقيام الدولة الزيرية ثم الحمادية في نهاية القرن الرابع الهجري، وبداية القرن الخامس الهجري إلا أن إيجابيات ذلك كانت معتبرة إذ عدت منعرجاً تاريخياً هاماً في تاريخ المغرب الأوسط خصوصاً،وبلاد المغرب كله عموماً[2].

وراجت بين القبائل فنون العلم والمعرفة وفي مختلف الميادين، والتخصصات التي أستفاد منها المجتمع الحمادي طيلة وجود الإمارة وأمرائها الذي كانوا يولون الاهتمام بها من جميع النواحي، وذلك للاعتبارات التالية:

1–ان الحماديين اعادوا للمغرب ارتباطه التقليدي بالمشرق الإسلامي بعد القطيعة التي أحدثها الفاطميون بزعامة أبي عبد الله الشيعي الذي مكنته قدرته الخطابية،ودهاؤه السّياسي وفعاليته على الحركة في استمّالة قبيلة " كتامة "ومن والاها في احتضان هذه الدعوة في خضم حبهم المفرط لأسرة آل البيت وطبيعة الخطاب العبيدي الذي استغل ذلك الجانب لتحقيّق أغراضه السيّاسية بعيدة المدى[3].

كان للحماديين السبق في نبذ طاعة العبيديين والخرّوج عن مذّهبهم الشيّعي باستغّلال البعد الجغرافي،وعدم الاستّقرار السيّاسي لدى خلفائهم بافريقية ليعلنوا عن استقّلالهم من جانبين: سياسي عن الزيريين كدّولة والغبيديين كخلافة ومذّهبي بنبذّه للمذّهب الشيعي،والأخذ بالمذّهب الُسني،والولاء للخلافة العباسية[4]،مما يبرّز دورها تّاريخياً في إرسّاء قواعد الوحدة المذّهبية التي لايزال المغرب الإسلامي يعتز بها الى يومنا هذا،أشارت إليه مؤرخينا في العديد من الإصدارات في السنوات الأخيرة في ظل التشجيع لكتابة تراث وتاريخ بلاد المغرب الأوسط.

---

[1]–لسان الدين ابن الخطيب،المصدر السابق، ص86.

[2]–موسى هيصام،المرجع السابق، ص2.

[3]–لقبال موسى،دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ،منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري ،الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر،1979، ص241، **ومقاله:**___أهداف الدعوة الإسماعيلية،"مجلة المؤرخ العربي،العدد1،المكتبة الوطنية،بغداد،1975،ص221 ،والقاضي النعمان،المصدر السابق،ص48.

[4]–ابن عبود،تاريخ المغرب،دار الكتاب، الدار البضاء،ج1، ط3، المغرب،1961،ص77، والفرد بل،الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي،ط2، بيروت،1981، ص207.–Gaid Mouloud ;Histoire de B egaia et de sa region–2eme édition– Mimouni,Alger ;1991 ;p62.

2-الموقع الوسطي الذي تبوأته الدولة الحمادية كخط تماس، ورقعة فصل بين نطاقين متباينين: الخلافة العبيدية والعباسية شرقاً والخلافة الأمويةغرباً،جعلها محط أنظّار الأطراف المتصارعة المتصّارعة في محاولة لاستّمالتها،أوالدخول في مواجهتّها،وهوماقاد الى صّراع مرّير مع جيرّانها،من خلال محاولة الزيّريين عمال العبيديين في استرّجاع ما فقدّوه في المغرب الأوسط أو محاولة قبيلة زناتة عمال الأمويين على الجهة الغربية في صراعها مع قبيلة صنهاجة،وسعي كل طرف لفرض سيّادته على الآخر[1].

وكان الطابع الغالب على تنظيمها هو الطابع الحربي نظراً لما كان يحيط بها من أخطار دائمة[2]، شكلها السياسي ملكي وادارتها حُرة مستّقلة تحت إشّراف رئيسها الأعلى الأمير أو الملك،ولقد كان للمملكة عاصمتان: القلعة أولا ثم بجاية،وأعضاء الدولة يومئذ هم الوزراء والعمال المنبثون في أهم مراكز المغرب الأوسط[3]،وقد كان عصر الحماديين عصراً زاهراً نشطت خلاله الحركة التجارية والحياة العمرانية والفلاحية والثقافية،بالإضافة الى اسطولها الضخم الذي لعب دوراً بارزاً في التجارة العالمية[4]،وأنها شاركت بقدر كبير في التطور الحضاري لهذه البلاد،فقد عمرت الدولة الحمادية قرناً وتسعة وثلاثين عاماً،ومر تاريخها بمرحلتين اثنتين رئيستين هما:مرحلة مدينة القلعة من عام 1014م الى عام 1067م،ومرحلة بجاية من عام 1067م الى عام 1153م،تاريخ سقوط هذه الدولة في يد الموحدية[5].

الدولة المرابطية:472-539هـ/1079-1145م:

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن دعوة المرابطين وخطابهم المثمر عن دولة عظيمة بالمغرب الأقصى والأوسط والأندلس، أن نعرف بأصول هذه الدولة، وذلك لا يتأتى إلا بالحديث عن قبيلة صنهاجة التي تعتبر إحدى قبائل البرانس من البربر[5]،لا يكاد قطر من أقطار المغرب يخلو من بطن

---

(1)- موسى هيصام،المرجع السابق، ص3.

(2)-عبدالله شريط،محمد مبارك الميلي،مختصر تاريخ الجزائر،السياسي والثقافي والاجتماعي،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985،ص91.

(3)-عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج2، ص276.

(4)-صالح فركوس،المختصر في تاريخ الجزائر،من عهد الفنقيين الى خروج الفرنسيين (814ق.م-1962م،دار العلوم للنشر والتوزيع،2003،ص67.

(5)-يحي بوعزيز ، موضوعات ...،المرجع السابق، ص39.

5-أبو العباس أحمد بن خالد الأنصاري، المصدر السابق،ج2، ص159 .

من بطونهم في جبل أو بسيط،إلا أن ابنَ خلكان ذهب إلى أن أصلهم من حمير:"والذي وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبأ"[1].

وعندما ظهر المرابطون بالمغرب الإسلامي اتخذّوا الرباط في البداية للتعبد، ونشّر مبّادئ الإسلام الصّحيحة،ومقاومة البدّع ثم انطلقوا من رباطهم إلى باقي أنّحاء المغرب للغزو والتوسع وكان المغرب يعاني من تفكك سّياسي بين أمراء بنو وانودين الزناتين،وبنو خزرون بسجلماسة[2]، وأمراء مغراوة وبني يفرن بالغرب[3]وقبائل غمارة وبرغواطة وزناتة[4]،فكثّرت المظّالم وتدّهورت الأخلاق بالإضافة إلى ضعف العامل الديني[5]، فساهم كذلك التنوع والإختّلاف المذّهبي كالمذّهب الأوزاعي[6]،والثوري[7]،والداودي[8]،إلى التفكك السيّاسي والانقسام المذّهبي،ومنها إلى تدهور الوضع الاقتصادي،وهذا ما أدى إلى سوء المعيشة ومعاناة السكان،وكانت حركتهم التجارية اتجاه الكثير من المناطق المجاورة لحدود دولتهم سبب إلى الإعلان على الجهاد في سبيل الله ونصر الحق،وكان زحفهم عاملاً في تكوين دولة لها تاثير عظيم في توجيه الحياة الاقتصادية في اطار الشريعة الإسلامية في كل المدن التي وطأت أقدامهم فيها.

انتشرت ظواهر اللُصّوصية وغيرها من الآفات الاجتماعية،بالإضافة إلى الاحتكار التجّاري الذّي ولد الصّراع بين صنهاجة وزناته التيّ سيطرت على القرّى والمدن التي كانت تصل إليها القوافل

6- أبو العباس ابن خلكان،المصدر السابق ،ج7، ص: 128.

(2)- سجلماسة: مدينة من مدن المغرب،وهي على طرف الصحراء،بنيت سنة140هـ،ينظر:حسن الوزان، المصدر السابق،ج2، ص125، والحموي، المصدر السابق،ج3، ص191.

(3)- رابح بونار، المرجع السابق، ص236

(4)- عبد الواحد ذ نون طه،دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي،ط 1،بيروت،دار المدارالإسلامي، ،2004م،ص189 .

(5)- عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي بافريقيا إلى قيام الدولة الزيرية،تحقيق: علي الشابي ،الدار التونسية للنشر،1975، تونس، ص32.

(6)- الأوزاعي:عبد الرحمن بن عمرو بن يجمد السيباني،إمام الشام،صاحب المذهب،ينظر:أبي زكريا محمد الدين بن شرف النووي،ت676هـ، تهذيب الأسماء واللغات،ج1،من القسم الأول،دار الطباعة المنيرية،دار الكتب العلمية،بيروت، ص298.

(7)- الثوري:هوعبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق،ولد سنة سبع وتسعين،ويعتبر من تابع التابعين،ينظر: شمس الدين بن عثمان الذهبي،مناقب الإمام الأعظم ابي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، تحقيق: قسم التحقيق بالدار ،دارالصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع،ط1، طنطا،1413هـ/ 1993م ،ص20.

(8)- الداودي: هو الإمام شيخ السُنة،ولد سنة 202هـ بسجستان،ينظر:أبي داود سليمان بن الأشعت السجستاني ،ج1،**سنن أبي داود**،حققه:شعيب الأرنؤوط،ومحمد كامل قرة بللي،ط1، 1413هـ/ 2009م،ص5.

من إفريقيا الغربية والتي كانت تهدد تجارة صنهاجة[1].وفي ظل هذه الظروف قامت نتيجة تظافر جهود كل من عبد الله بن ياسين ويوسف بن تاشفين[2] في إطار نشر الدين الإسلامي والقيام بحركة إصلاحية، فعملوا على الجهاد لإحياء الدين ونشر الفضيلة والقضاء على الفساد، ورفع راية العدل في جميع أنحاء المغرب[3].

زحف يوسف بن تاشفين في سنة 474هـ على المغرب الأوسط وأستّولى على مدينة وجدة[4] ثم على تلمسان[5] ووهران[6]وجبال ونشريس[7] وأعمال شلف[8] بأجمعها .

استمر في سيره حتى تونس واستّولى بذّلك على سائر شواطئ المغرب وثغّوره الشّمالية، وقضى على سلطان سائر الامرّاء المحليّين الذّين كانوا يقتّسمون المدن والثغّور يومئذّ، وشّمل سلطانه جميع الأقطار المغربية[9]،قد أحسن تنظّيم دولته الوّاسعة التيّ أمتّدت من المغرب الأوسط، الى المحيط ومن طنجة الى سجلماسة،وكان تنظيمه لها قبلياً خالصاً،أي أنه أعتمد في إقرّار الأمن وجبّاية الأموال

---

(1)-محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين،الإسكندرية:مؤسسة شباب الجامعة، 2004م،ص109،و محمد ولد داداه،مفهوم الملك في المغرب،من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع،دراسة في التاريخ السياسي، ط1، بيروت،لبنان،دار الكتاب اللبناني،القاهرة، دار الكتاب المصري،1977م، ص102.

(2)-يوسف بن تاشفين: بن ترجوت بن ورتانطن بن منصور بن مصالة ابن امينة ابن وانمالي الصنهاجي، ،ينظر :مؤلف مجهول أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري،الحلل الموشية في ذكر الأخبارالمراكشية،حققه: سهيل زكار ،عبد القادر زمانة،نشروتوزيع دارالرشادالحديثة،دارالبيضاء ،ص121.

(3)-إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت، دار الطليعة،1998م،ص63.

(4) -وجدة: مدينة قديمة أزلية كثيرة البساتين والجنان،تقه على الطريق المار من بلاد المشرق الى بلاد المغرب وسجلماسة وغيرها، بناها الأفارقة في سهل فسيح على بعد 40ميلا جنوب البحر المتوسط،ينظر :الحسن الوزان،المصدر السابق،ج2، ص12، كتاب الاستبصار ،ص177،والبكري،المصدر السابق، ص87، الإدريسي،المصدر السابق، ص56.

(5) -تلمسان: مدينة قديمة فيها آثار كثيرة أزلية،كانت دار مملكة زناتة،وقاعة المغرب الأوسط،ينظر :كتاب الاستبصار ،ص176، والبكري،المصدر نفسه،ص76، والحسن الوزان،المصدر نفسه،ج2،ص17 وما بعدها.

(6)-وهران: مدينة على ضفة البحر بناها جماعة من الاندلسيين،ينظر :الحموي،المصدرالسابق،ج7،ص 385، وابن حوقل،المصدر السابق،ص79،والبكري،المصدر نفسه،ص70.

(7) -جبال ونشريس:هذا الجبل شاهق تسكنه قبائل توجين النزاتيون حاربت ملوك تلمسان عدة مرات دامت أكثر من ستين عاماً بسبب مساندة ملوك فاس،ينظر : حسن الوزانالمصدر السابق،ج2، ص45.

(8) - شلف: مدينة ذات صور حصين ونهر وشجر ،ينظر :_ابن حوقل،المصدر نفسه،ص89.

(9)-محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني،دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،الناشر مكتبة الخانجي،القاهرة، ص313.

على القبائل الصّنهاجية السّائدة في النوّاحي واعتبرها مسؤّولة عن ذّلك، وارسل لها القُضاة واجتّهد في القضّاء على كل محاولة للزناتين في استِعادة السلطان في أي ناحية من نوّاحي المغرب[1].

عرفت بلاد المغرب الأوسط في عهد المرابطين استقراراً نسبياً،لم يكدر صفوه الا في مناسبات قليلة،ناتجة غالباً عن تحرك بعض قبائل العرب نحو بلاد الزّاب وما يليها من المناطق،وما نتج عن ذلك من ضغط على قبائل زناتة التي كانت تقطن تلك النواحي سايقاً. اضطرت الى النزوح الى جنوب المغرب الأوسط بحثاً عن أرض جديدة، فاصبح بعضها يحتل مكانة هامة على مسرح تاريخ هذه المنطقة،مثل بني ومانو وبني يلومي، والظاهر ان المرابطين لم يولو كل عنايتهم لقضاياه واكتفوا بالتحالف مع هذه القبائل الزناتية،واستعمالها للدفاع عن حدودهم الشرقية،وذلك أنهم قد أخذوا على عاتقهم حماية الأراضي الإسلامية بالأندلس،وتطلب منهم جهود جسيمة جعلتهم يرسلون اليها معظم قواهم،وينفقون عليها مما أضعف سلطة المرابطين في كثير من مناطق المغرب الأوسط[2].

إنّ الضيق الفكرى الذى أصاب فقهاء المرابطين وحجرهم على أفكار النَّاس،ومحاولة إلزامهم بفروع مذهب الإمام مالك وحده،وعملوا على منع بقية المذاهب تعصبًا لمذهبهم، اسهموا بقسط وافر في تذمر الرعايا واضعاف شأن الإمارة، وعاشوا حياة البذخ والرفاهية،وكان ذلك سببًا فى إيجاد ردة فعل عنيفة عند أفراد المجتمع المرابطي.

الدولة الموحدية: 524-668هـ /1130-1269م

تأسّست الدّولة الموّحدية على يد محمد بن عبد الله المعروف باسم ابن تومرت[3]،بين أحضان قبائل مصّمودة[4] بالمغرب الأقصى في شكل حرّكة دينّية سياسية،وكان ذّلك في القرن السادس الهجري،الموافق للقرن الثاني عشر للميلاد هدفها إقّامة خلافة إسّلامية،مُركزة على الدّعوة إلى التّوحيد الخالص،لذّلك أطلق على أنصاره إسم "الموحدين"، قام بثورة عنيفّة غير التاريخ في المغرب الإسّلامي والأندلس وبعث الحيّاة في الحضارّة الإسلامية بما بما أدخّلته من الدّعوة إلى الأصول الجامعة وترك الفروع المفرقة والآرّاء الممزقة،وحمل معه منهجاً جديداً في الفهم، فقد أرّاد أنّ يدعوا

(1)- عبد الواحد المراكشي،وثائق المرابطين والموحدين،تحقيق:حسين مؤنس، ط1، 1997، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة ص29.

(2)- رشيد بوروبية وآخرون،المرجع السابق، ص297 ، 298 .

(3) - ابن أبي دينار، المرجع السابق،ص107، ليفي بروفنسال،الإسلام في المغرب والأندلس ،ترجمة: السيد محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي،مطبعة نهضة مصر ،ص265.

(4)-مصمودة:هم من ولد مصمود بن يونس،فهم أكثر قبائل البربر ،ينظر :ابن خلدون،المصدر السابق، ج6،ص274.

إليه وأنّ يغيّر أسلوب الحيّاة العقلية الإسّلامية على أسّاس من الأصول والتأّويل العقلي[1]،على طريقة الأشّاعرة[2] تّارة وعلى طريقة المعتّزلة[3] أخرى.

وقد عاين معها اختصّار الخلافة العبيدية أيضاً بمصر،وإنما ذاهبة إلى السقوط والانهيار،كما لُوحظ يومئذّ أمم أوربا ودولها تعمل على جمع شتّاتها وتوحيد كلمتها استّعداداً لإعلان حروبها الصّليبية على المسلمين وغزّو بلادهم[4] ،فرتأى وجوب القيام بإنشاء دولة إسلامية تحافظ على عظمة الخلافة الإسلامية وكيانها الطبيعي.

فقد كانت قاعدة هذّه الدولة طيلة تمّلكها على المغرب الإسلامي هي مدينة مراكش[5] ورئيسها الأعلى دائما هو الخليفة الملقب بأمير المؤّمنين،دستورها الكتّاب والسُّنة من غير انتماء الى أي مذّهب من المذّاهب الإسّلامية،ولقد عمّ سلطانها كله من البحر المحيط غرباً إلى شرقي طرابلس[6]وبرقة[7]،ومن جبال الشارات " البرانس" بأقصى شرق بلاد الأندلس إلى نحو الصحراء افريقية الكبرى،فهو أكبر سلطان وأعظم مملكة شاهدها الإسلام في المغرب، أقبل الناس أرض المغرب الأوسط على الأعمال الفلاحية والصناعية،وانتشرت فيها العلوم والآداب انتشاراً واسعاً خلال مدة السبعين سنة[8].

ويرجع الفضل لهم في توحيد المغرب الإسلامي لأول مرة في التاريخ، وذلك بضم كل من المغرب الأوسط– المغرب الأدنى–المغرب الأقصى تحت سلطة مركزية واحدة تابعة لهم،هذا إلى جانب تمكنهم من القضاء على الفتن التي كان يعيشها سكانها وحمايتهم من الاستعمار النورماندي

---

[1]–محمد بن تومرت،أعز ما يطلب،تقديم وتحقيق:عمار طالبي،الجزائر عاصمة الثقافة العربية2007،ص5.

[2]–الأشاعرة: جماعة منتسبون الى أبي الحسن علي بن إسماعيل الاشعري في الإعتقاد،وهي فرقة كلامية ،ينظر: خالد بن علي المرضي الغامدي،نقض عقائدالأشاعرة والماتريدية،ط1، 1430هـ/2009م،دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع،الرياض، ص21.

[3]– المعتزلة: لفظ أطلقه أهل السُنة عليهم للتدليل على أنهم انفصلوا عنهم،وتركوا مشايخهم القدامى،واعتزلوا ،ينظر:عرفان عبد الحميد،دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية،جامعة بغداد،طبعة(د.ت)،ص84.

[4]–عبد الرحمن الجيلالي،المرجع السابق، ج1،ص3، 4.

[5] –مراكش:هي اليوم حاضرة بلاد المغرب ودارمملكتها،أسسها يوسف بن تاشفين سنة405هـ/1067م،ينظر: الإدريسي،المصدر السابق، الحموي،المصدر السابق،ج5، ص94.

[6]–طرابلس:أول مدن افريقية على الساحل،ينظر:البكري،المصدر السابق،ص7، والإدريسي،المصدر السابق، ص121.

[7] –**برقة:** مدينة كبيرة قديمة وهي في حراء حمراء التربة والمباني، ينظر: الحموي ،المصدر السابق،ج1، ص388، 389، والاستبصار، ص143 ، والبكري،المصدر السابق، ص5.

[8]– أحمد توفق المدني ،كتاب...،المرجع السابق، ص28

الذي كاد ان يحتل أرضيهم ودورهم الفعال في الدفاع عن الأندلس التي كانت وشيكة السقوط في أيدي النصارى في بداية العهد الأول للفترة الموحدية.

توحد المغرب الإسلامي سياسياً و مذهبياً،وأصبح ذّا ثقافة واحدة وعقيدّة واحدة هي الأشعرية و مذّهب في الفقه واحد وهو مذهب الإمام مالك،ما عدا جماعة الإباضية التي بقيت متمسكة بآرائها الفقهية و العقائدية والتي هي ليست بعيدة عن عقيدة أهل السنة ،وهذا في ظل حكم الدولة الموحدية التي تعد أول دولة بربرية أدعت الخلافة،ويبدوأنها لم تكن مغربية مراكشية وحسب،بل كانت دولة الغرب الإسلامي،فلا يستقيم الحكم النهائي عليها إلا في الإطار الواسع[1].

توخّت عقيدة ابن تومرت التوحيد،بكل معاني الكلمة لكنها زادت الأمة افتراقاً واختلافاً،جاءت متأخرة في عالم إسلامي أعياه التحزب والتعصب وتهيأ نفسياً وذهنياً للإلتفاف حول راية السُنة،لم يكن التوحيد ممكناً، بعد توالي الفرق وتعددها،إلا على أساس إجماع العلماء لا على أساس إمام أو مهدي معصوم[2]، وتعتبر معركة العقاب[3] من بوادر سقوطها وترتجع قوتها،وذهبت قوة المسلمين بالاندلس من تلك الهزيمة ولم تنصر لهم راية.

الدولة الزيانية: 633-707 هـ/1235-1307م

شهد المغرب الإسلامي خلال القرن (7هـ/13م) إنهيار أكبر قوّة سياسيّة وعسكريّة حكمته، تمثّلت في دولة الموحّدين،وقد أدّى هذا الوضع إلى قيام دويلات جديدة مستقلّة وهي:دولة"بني أبي حفص"[4]بإفريقيّة سنة 625هـ/1227م،عاصمتها تونس،ودولة "بني عبد الوّاد"[5]بالمغرب

(1) -عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب،2، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،بيروت، ص175.

(2) - عبد الله العروي ،المرجع السابق، ص175.

(3) -معركة العقاب:حول تفاصيلها :ينظر:علي ابن أبي ورع الفاسي،الأنيس المطرب بروض القرطاس في_أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس،دار المنصورة للطباعة والوراقة،الرباط،1972،ص240،ومحمد عبد الله عنان،عصر ...،المرجع السابق،ص284.

(4) -دولة بني حفص: نسبة إلى أبي حفص عمر الهنتاتي،من قبيلة هنتانة إحدى بطون المصامدة،ويعد أبي زكرياء يحيى الأوّل مؤسّس الدّولة الحفصيّ،ينظر:محمد العروسي المطوي،السلطنة الحفصيّة تاريخها_السّياسي ودورها في المغرب الإسلامي،دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1926، ،ص85

(5) -دولة بني عبد الواد:أو الدّولة الزّيانيّة نسبة إلى زيّان والد يغمراسن، وأوّل من سمّاها بهذا الإسم أبو حمّو موسى الثّاني،عند إحيائه للدّولة،ينظر:عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزّياني،ج1،موفم للنشر،الجزائر، ،2002،ص30.

الأوسط،عاصمتها تلمسان سنة 633هـ/1235م،ودولة"بني مرين"[1]بالمغرب الأقصى سنة668 668هـ/1269م،عاصمتها فاس[2].

وتمكّن"بنو الأحمر[3]"من تشّييد دولتهم بالأندلس سنة 629هـ 1231م،وكانت غرناطة[4] قاعدة لها.لم تقتنع كلّ دولة من هذه الدّول بالمناطق الّتي اقتطعتها لنفسها والّتي تأسّست عليها،بل حاولت ضمّ التّركة الموحّديّة بأيّ طريقة من الطّرق،سواء بإدّعاء أنّها تمثّل الشّرعيّ الموحّديّة ومحاولة استمرارها[5]،وهذا ما رفعت رايته الدّولة الحفصيّة،أو رغبة في التّسلّط والزّعامة على الملك وعرش زناتة، كما هو الحال للدّولتين المرينيّة والزّيانيّة[6].

لم يسّتول بنوعبد الوّاد على تلمسان إلا بعد حدّوث اضطرّابات وأحدّاث خّطيرة بها[7]، ودخلوها 627هـ/ 1230م،فكانت هذّه الخطوّة الأولى نحو تأسيّس دولتهّم،وانتّهى الملك إلى يغمراسن بني زيان[8]،سنة 633هـ /1236م الذّي يعتبّر التّاريخ الرّسمي لقيّام المملكة،وبقى الأمر متوّارثاً في أبنائه من بعده[9].

---

[1]-دولة بني مرين:ينتمون إلى بني واسين إحدى بطون زنانة البربيّة، أسقطوا مرّاكش عاصمة الموحّدين، ينظر:محمد إبن مرزوق،المسند الصّحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن،تحقيق:ماريا خيسوس بيغيرا،الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر،1981، ص107.

[2] -فاس:مدينة مشهورة على بربر المغرب،وهي حاضرة البحر،ينظر: الحموي،المصدر السابق،ج4،ص 230، والبكري،المصدر السابق، ص115، والإدريسي،المصدر السابق،ص 75.

[3]-بنو الأحمر:نسبة إلى يوسف بن نصر،حكموا الأندلس حتّى سقوط غرناطة، ينظر:لسان الدّين بن الخطيب ،الإحاطة في أخبارغرناطة،ج1،مطبعة الموسوعات، مصر، 1901، ص348.

[4] -غرناطة: أقدم مدن كورة ألبيرة من أعمالالأندلس وأعظمها،ينظر:الحموي،المصدر السابق،ج4، ص195.

[5]-شوقي ضيف،عصرالدول والإمارات، الجزائر–المغرب الأقصى–موريتانيا–السودان،ط1،دار المعارف،القاهرة، ص40.

[6]-الدولة الزيانية: نسبة إلى بني عبد الواد، ودولة يغمراسن بإعتباره أوّل مؤسّس لها، وكذلك نسبة إلى زيّان والد يغمراسن، وأوّل من سمّاها بهذا الإسم أبو حمّو موسى الثّاني،عند إحيائه للدّولة.ينظر:عبد العزيز فيلالي، تلمسان...،المرجع السابق،ج1، ،ص30. Sid Ahmed Bouali, « les démêles Merinides Abdelwadides à la veille du grand sièges de Tlemcen », Bullet in de la société de la géographie et d'Archéologie d'oran, l'imprimerie IBN Khaldoun, .Tlemcen, 1980, P15

[7]-أبو زكر يا يحي بن محمد ابن خلدون (ت780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد_الواد، ج1، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1980، ص199.

[8]- يغمراسن بن زيّان: بن ثابت بن محمد،أوّل ملوك الدّولة الزّيانيّة، أنظر:عادل نويهض، معجم أعلام الجزائرمن صدرالإسلام حتّى العصر الحاضر، مؤسّسة نويهض للثّقافة،بيروت، ط2، 1980،ص354-355.

[9]-لخضرعبدلي، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 1428هـ ./2007م، ص100.

وقد اتّخذ من تلمسان عاصمة له جعلها داراً لملكه[1]، والذّي أستطّاع منذّ تولّيه قيّادتها أن يبرّز نفسه من خلاّل الاحدّاث كرجل جدير بقيّادة هذّه الدولة وتأمين حدّودها التيّ كانت عرضة لهجومات الجّارتين، قام بتنّظيم دولته الفتيّة سيّاسياً وعسّكرياً،ولقب نفسه بأمير المسّلمين وعين الوزراء الوزراء والحجُّاب والكُتاّب، وأصحّاب الأشّغال والقُضّاة وقوّاد الجيش،وائمة المسّاجد ووضع السّكة ونصب الولاة على مختّلف مناطق المملّكة في المغرب الأوسط إلى أنّ زّالت دولته[2]،وبنو عبد الوآد هُم أحد بطون قبيلة زناتة البربريّة البتريّة[3]،كانت مضّاربهم في نوّاحي المغرب الأوسط.

كانوا يجبون الصحرّاء الواقعة بين سجلماسة غرباً ومنطقة الزّاب شرقاً،وفي عهد المرّابطين انتقلوا الى سواحل المغرب الأوسط وهي منطقة لم تتأثر بغزّوات بني هلال[4]،ولم يعرف المجّال الجغرافي لدولة بني زيان طوال مُدّة حكمهم[5]،نتيجّة لوّجود بني مرين في الغرب وبني حفص في الشّرق،الذّين كانوا يهاجمونها من حين لآخر،وبهذا بقيت حدّودها في مدّ وجّزر حسّب الظروف السّياسية والعسّكرية، فقد كانت أحياناً تمتد من حصن تاوريرت غرباً،إلى تخوم بجاية شرقاً[6]، كما كانت تتقلص أحياناً أخرى فلا تشّمل إلا حاضرة تلمسان وضواحيها[7] .

ومن هنا يمكن القول أنّ الصرّاع الشّديد الذي ظّل قائماً في المشرق الإسلامي ،نتج عنه بروز الفرق والمذاهب الإسلامية المختلفة التي وجدت مناخاً مناسباً بأرض المغرب الإسلامي عامة،والمغرب الأوسط خاصة والتي ساهمت بدورها منذ القرن الثاني للهجرة، ،الموافق للقرن الثامن للميلاد حتى القرن الثامن للهجرة،الموافق للقرن الرابع عشر للميلاد في ظهور دويلات أوأمارات أختلف نمط نظامها أو أسلوب حكمها من دولة إلى أخرى، ومن فترة إلى أخرى،إضافة إلى التنوع

---

(1)- عبد الرحمن بن خلدون،المصدر السّابق،ج7،ص162؛ Sid Ahmed Bouali, les deux grands sièges de Tlemcen, ENAL, Alger, 1984, P26

(2)- عمورة عمار،موجز في تاريخ الجزائر،ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع،2002، ص85.

(3)- يحي بن محمد ابن خلدون، المصدر السابق،(ط1980)، ص186.

(4)- عبد العزيز سالم، المغرب الكبير العصر الإسلامي ،دراسة تاريخية وعمرانية واثرية، ج2،دار النهضة العربية، بيروت 1981، ص872.

(5)- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط،1968، ص147.

(6)- DHINA Atallah ,le royaume Abdelouadid à l'époque d'abiu Hammou Moussa ;1er et d'Abou Tachfine,O,P ,U ,Alger(sans Date),p17.

(7)- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص147.

الفكري والثقافي الذي حملت لوائه الحواضر او المركز العلمية طول فترة قيام هذه الدول إلى يومنا هذا.

الفصل الأول:

عوامل ازدهار العلوم الدينية في المغرب الأوسط من العهد الرستمي حتى الزياني.

- طبيعة الحكم السائدة
- تشجيع الأمراء للعلم والعلماء
- الرحلة إلى طلب العلم.

يُعد تاريخ المغرب الأوسط في هذه الفترة التي تطرقنا إليها من خلال هذا العمل من أهم المراحل التي عرفها طول تاريخه نظراً لما تميز به من أحداث سياسية وعسكرية وثقافية والتي شكلت لنا أرث حضاري خلال ثمانية قرون.

كان قادة الفتح الإسلامي يحملون الدّعوة الإسلامية إلى الشعوب والأقوام شّرقاً وغرباً، وكانوا يحملون المصحف أولاً والسيف ثانيا وكانوا (دُعاة) بالدرجة الأولى،(ومحاربين) بالدرجة الثانية[1]،ومع قادة الفتح وجنوده كان جيش آخر من الفقهاء والمحدثّين والعلماء والقرّاء، وكان هؤلاء يعتبرون الدّعوة من الجهاد الأكبر، ويعتبرون القتال من الجهاد الأصغر، وكانوا يؤمنون بأن تعاليم القرآن الكريم، والتَّفقُه في الدين ونشّر الإسلام (عبادة) من أجَلْ العِبَّادات وأرفعها قدراً[2]،في كل بقاع العالم الإسلامي، وبفضل جهود هؤّلاء التابعين وغيرهم تعلم المغاربة أُصول الإسلام فقرأوا القرآن الكريم وعرفوا اللغة العربية، كما شهد حينها المغرب الأوسط ما بين القرن الثاني الهجري الى القرن الثامن الهجري، الموافق للقرن الثامن الميلادي الى القرن الرابع عشر للميلاد ازدهاراً كبيراً في الكثير من العلوم وفنون المعرفة خاصة في مجال العلوم الدينية، و يعود ذلك الازدهار إلى عوامل كثيرة اختلفت باختلاف السيّاسات التي انتهّجتْها الدول التي تعاقّبت على حكم هذه الرقعة الجغرافية عبر العصور.

-طبيعة أنظمة الحكم السائدة

ساهم عبد الرحمن بن رستم وأحفاده من بعده في نشر الأمن والسلام بين أفراد المجتمع منذّ الإعلاّن عن تأسيّس الدولة من خلال ربط علاقات مع الدول التي تشارك رؤّى بني رستم في انشّاء دول إسّلامية على أساس حضّاري في ظّل جَّو من الطمأنينة، وكانت تاهرت مقصدُ الرحلات ومركز الهجرات لِما شَّاع من عدلِ عند أئمة الإباضيين في الرّعية وحُسن سيرتهم والطاعة والتمسك بالدين[3]، ففتحت أبوابها لكلّ من طرقها من الخارجين عن الدّولة العباسية ومن ضاقت نُفوسهم بتعسّف خلفاء بني العباس واستبدّادهم[4].

بفضل تسامح الأئمة أستطاع علماء أهل السُنة القُدوم لجِدال علماء الإباضية في كل مسائل العقيدة والشريعة، وربما رَّاودَ هؤلاء الآخرين الأمل في أن يُقنعوا علماء أهل السُنة باعتنّاق نِحلة

---

[1]-محمد شيت خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، دار القلم، بالقاهرة،(د ت) ص 476، 477.

[2]-محمد شيت خطاب، قادة فتح المغرب ... ، المرجع السابق، ص166.

[3]-لخضر سيفر، المرجع السابق، ص77.

[4]-عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص243.

الإباضية، ومن هذه الناحية كانت شأنها شأن القيروان[1]وتونس[2]حاضرتي العلم على مذهب أهل السُنة ومدرسة لشَّحنِ رُوح الجِدال وحُبْ المناقشة وأخذّ شيوخ البربر في تلقي العلم بحماسة، وأسّسوا مدرسة هم بدورهم[3]،قائمة على المذهب الإباضي.

كان هذا شأن كل مُلوك الدول بدُون استثّناء منحت بعض مواطني الدول التي تختلف معها سياسياً ومذهبياً حق الإحتماء والإلتجاء وأعطتهم كل ألوان الحماية، فإنها لم تكفل مثل هذا للخارجين على الدولة الأموية، ولم تسمح لهم بالقيام بأي نشاط ضد خلفائهم الأمويين بالأندلس، وقد منحت حق الاستيطان والإقامة لكل أندلسي وفد إليها للتجارة أو العمل دون الإضرار بالعلاقات المتوطدة بين الدولتين[4]،ومما لاشك فيه أن تعدد المذاهب والفرق الإسلامية في المغرب الإسلامي في هذه الفترة من عمر الإمارة لم يكن عاملاً للفتن والصراعات والتي حددت العلاقة بين أتباع هذه المذاهب والخلافة في المشرق بل كان له اثر إيجابي في الحركة الفكرية، وأن حرية الفكر والتسامح المذهبي عنصران امتاز بهما أئمة الدولة الرستمية ضف إلى ذلك تمسك الرستميين بالتفتح الفكري والدليل على ذلك هو عقد مجالس للمناظرة وتشجيعاً على طلب العلم وإقبال عليه في جو يسوده التنافس العلمي[5]،في الكثير من مجالات العلوم والمعرفة ،مما أسفر على حركة التأليف فكثُر وضع الكتب للرّد على المخالفين ومما زّادها نشاطاً كذلك كثرة العلماء، وان موقع تاهرت الوسطي في المغرب الإسلامي جعلها مُلْتقاً تِجارياً وعِلمياً ومذهبياً، فقد توافد عليها عدد كبير من الناس إما لغرض الإقامة الدائمة أو ارتحالاً طلباً للعلم، كما كانت التجارة وما توفره من مكاسب عاملاً مهماً في الترحال إليها.

فقد سكن تاهرت أهل المشرق والقيروان ومن الأندلس فضلاً عن بعض المسيحيين وحتى اليهود[6]،وبما أن أصول الدول التي تأسست في المغرب كانت عربية، حرص أمرائها وأئمتها على

---

[1]-القيروان: مدينة عظيمة بإفريقية، أسسها عقبة قائد الجيوش الجزيرة العربية الصحراوية التي أرسلها الخليفة عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين– رضي الله عنهم–ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2،ص87،الحموي، المصدر السابق،ج4، ص420، والادريسي، المصدر السابق، ص110.

[2]-تونس: مدينة عظيمة بينها وبين القيروان مسيرة 3أيام وبين البحر أربع أيام، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص60، والإدريسي، المصدر السابق، ص111،وابن حوقل ،المصدر السابق،ص70.

[3]-ألفرد بل، المرجع السابق، ص149.

[4]-محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص218.

[5]-جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص109.

[6]-محمد عليلي، الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين2 –3هـ/8–9م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الأوسط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان2008/2007،ص60.

تنشيط حركة التعريب[1]،وقد واكب انتشار اللغة العربية التعريب الجنسي[2]،وهو يعني استقرار القبائل العربية في المدن وبناء مدن حديثة انصهر فيها العنصر العربي والبربري في مجتمع واحد ولاءه للعقيدة أو المذهب الديني الذي ينتمي إليه[3].

وان ازدهار التجارة في المدن ترتب عنه تحول في البنية الاجتماعية وذلك بانتقال قبائل بدوية إلى المدن يعني هذا زيادة فرص تعلم العربية بين القبائل ،وكان هذا في جو من الأمن والاستقرار الذي شهدته الإمارة في ظل حكم بني رستم، وحيث رئيس الدولة أو الأمير من اختيار الشعب فهم الذين انتخبوه وبايعوه في حرية كاملة وبرضا تام ورفعوه على أعناقهم إلى عرش الرئاسة، فصار خادمهم يرعاهم ويعطي نفسه لمصالحهم وكان يتمسك في سياستهم وفي كل أموره بكتاب الله وسنة رسول الله–صلى الله عليه وسلم–،وبحكم الشورى ويعدل فيهم، ويحسن كل الإحسان إليهم ويحمل بحزمه وبراعته في السياسة كل الأمم تحبهم، وترهب جانبهم، فلا عدو خارجي يطمع فيهم لضعفه[4]،في حين ازهرت العلوم النقلية والعقلية وبرز العلماء والفقهاء في مختلف ميادين المعرفة ما بين القرنين الثاني والثالث للهجرة، الموافق للقرن الثامن والتاسع للميلاد، وقد أتاح تعايش العلماء على اختلاف مذاهبهم وافكارهم [5]في تاهرت عاصمة الرستمين الفرصة لتكوين مدرسة لها معالمها الخاصة وسماتها الواضحة المتميزة في تاريخ الفكر الإسلامي في بلاد المغرب.

بسطت الدولة العبيدية نفوذها من طرابلس إلى المغرب الأقصى فوحدت بذلك هذه القبائل التي تفرّق شملها منذ القرن الثاني والثالث للهجرة، الموافق للقرن الثامن والتاسع ،وكان نفوذها يختلف قوة وضعف باختلاف الجهات[6]،وقد قوي هذا النفوذ بعد اخفاق ثورة ابي يزيد صاحب الحمار [7]،وكان المغرب الأوسط هو الجناح الغربي لولايات الدولة العبيدية وأهمها ،وقد اعتنت به

---

[1]–عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية،ط1، بيروت،1984، ص77.

[2]–شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ،دار العلم للملايين ،ط5، بيروت،1981،ص157.

[3]–عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص77.

[4]–محمد علي دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه،1963، ج3، ط1، دار احياء الكتب العربية–الجزائر ، ص418.

[5]– محمد عيسى الحريري ،المرجع السابق، ص238.

[6]– رابح بونار ، المرجع السابق، ص184

[7]–أبو زيد صاحب الحمار : هو مخلد بن كيداد اليفريني ينتسب إلى قبيلة مغراوة، نشأ في مدينة توزر من بلاد الجريد وهو من قبيلة زناتة ظهر بجبال الاوراس، ينظر : الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص194–196، وعبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق ،ج2، ص221،المقريزي،المصدرالسابق،ج1، ص75.

الخلافة فاختارت له وُلاة حازمين يحكمون تاهرت والجهة الغربية منه وانتخبت أسرة بني حمدون[1] للجهة الشرقية منه وقاعدتها المسيلة[2]ووُفِقتْ في هذا الاختيار[3]نال المغرب الأوسط وافريقية والمغرب الأقصى راحة وأمناً وعاد إليها ما فقدته أيام السالفة من الازدهار والرفاهية ونشطت حركتها التجارية مع السودان وغيرها[4].

ارتقت الآداب والعلوم وتقدمت الصنائع من تجارة وحدادة وزركشة وبناء وغيرها، كما ازدهرت التجارة براً وبحراً لاتساع رقعة الدولة العبيدية اتساعاً عظيماً[5] فانتشرت تيارات فكرية كالدعوة إلى التشيع وتثبيت فكرة المهدوية إلى النفوس، كما عملت الحكومة على تنظيم الدعايات الدينية والسياسية تنظيماً دقيقاً، وإحداث مناصب هامة كداعي الدُعاة وأعوانه وتعزيز ذلك ببيت الحكمة ومحاولة القضاء على المذهب السُني لإحلال المذّهب الشّيعي الإسماعيلي محَّله ودراسة تفاريق النِحَّل وغيرها[6].

تمكنت من بسط حضارتها بهذه الأقطار ونهجت في سيرها نهج الدول المثقفة التي تسعى لتوطيد ملكها وتثبيت حكمها بأساليب الحكة والعدل وهي في ذلك تنافس دولة العباسيين بالمشرق والأمويين بالمغرب، ويبدو أن الدولة العبيدية عملت على نشر الثقافة الإسلامية وخدمة العلم[7]، قال الخليفة المعز لدين الله في كتاب كتبه لأحد قواد القرامطة[8] عام362هـ/972م:" وما من جزيرة

---

(1)-أبو علي جعفر بن علي بن أحمد بن حمدون الأندلسي: صاحب المسيلة وأمير الزّاب من أعمال افريقية، كان سخياً كثير العطاء مؤثراً لأهل العلم، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص360.

(2)-المسيلة: أسسها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله سنة313هـ، وكان المتولي لبنِائها علي بن حمدون ،ينظر: البكري، المصدر السابق ،ص59،60،وإسماعيل العربي ،المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، ،1984،ص163، والحسن الوزان، المصدر السابق،ج2، ص52.

(3)-احمد توفيق المدني، كتاب...، المرجع السابق، ص23.

(4)- رابح بونار، المرجع السابق، ص184.

(5)- نفسه، ص185.

(6)- نفسه، ص185.

(7)-عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج2، ص230.

(8)- القرامطة: اختلف المؤرخون في نشأة هذه الحركة وموطن انطلاقها الأول، كما اختلفوا حول مؤسسها،ومتى كانت، وما يعرف عنها هو أنهم طائفة من طوائف الإسماعيلية، ينظر: أمينة بيطار ،تاريخ_العصر العباسي،ط4،منشورات جامعة دمشق،1417هـ/1997م،ص248،وسليمان سليم علم الدين، القرامطة نشأتهم وعقائهم – حروبهم،ط1، دار نوفل،بيروت،2003، ص111.

في الأرض ولا اقليم إلا ولنا فيه حجج ودُعاة ،يدعون إلينا ويدلون علينا ،ويأخذون بيعتنا ويذكرون رجعتنا، وينشرون علمنا، وينذرون بأسنا، ويبشرون بأيامنا بتصاريف اللغات واختلاف الألسن"[1]

يمكن القول هنا أن الاستقرار الذي شهدت الخلافة في عهده عرف انتشار واسع للروح العلمية ككثرة حلق الجدل والبحث بين علماء الشيعة ومعارضيهم من أهل المذاهب الأخرى.

أنشأوا مؤسسات علمية وثقافية اسماعيلية وشجعوا علماؤهم والعلماء السنيين وغيرهم من الذين تحولوا إلى مذهبهم وساندوا حركتهم وأكثروا من فتح مدارس الدعوة لتعليم مذهبهم في القصور والمساجد وغيرها، وسطروا لذلك برنامجاً مدروساً على رأسه داعي الدعاة حيث أقيمت المعاهد العلمية في مختلف المناطق التي أخضعوها وسادها الفقه الإسماعيلي[2].

ويختلف أسلوب الدعاية الإسماعيلية قبل قيام الخلافة الفاطمية عنه بعد قيامها حيث ارتكز على الإقناع السلمي[3]لنشر المذهب تماشياً والظروف العامة، هذا زيادة عن حاجته الماسة إلى قوة عسكرية تساندها عند قيام الدولة، فما كان على هؤلاء الدُعاة إلا أسلوب دعوي يتماشى والعقلية القبلية التي كانت تسود المنطقة لفترات طويلة من الزمن، والتي كانت دائماً ترفض الاستعلاء والسيطرة من طرف الأجانب.

ومهما يكن من أمر فإن العبيدين قد حملوا معهم كل مقومات الدولة القوية إلى بلاد المغرب الإسلامي من خلال تنظيمات إدارية دقيقة ومتكاملة جندلها إطارات وموظفون عملوا في مختلف المصالح، وقد كان الفضل الكبير في وضع بعض معالمها من لدن الأغالبة حيث أبقى العبيديون بعض المصالح، وأضافوا إليها أخرى[4]، الأمر الذي شجع على ازدهار العلم والمعرفة، ونظراً للأسلوب الذي اتخذ خلفاء هذه الدولة الشيعية المذهب وهو السّرية، إضافة إلى جغرافية المنطقة وكثرة القبائل واختلاف مذاهبهم، وقف حائلاً دون معرفة بعض فقهاء وعلماء ومعرفة مآثرهم في مختلف فنون المعرفة.

سّاهمت الجهّود السيّاسية في سعي الأمرّاء الحماديين في العمل على نّشر الأمن والاستقرّار في مختلف أرجاء الدولة ويتمثل ذّلك فيما قام به الناصر بن علناس 454هـ/1062ممن إخمّاد الثورّات، ومقاومة للحركات الانفصّالية التي بدّأت تبرز كالثّورة إلى أن أشّعل فتيلها سكان مدينة بسكرة ببلاد

---

[1]-آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عهد النهضة في الإسلام،ج2، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، أعد فهارسه: رفعت البدراوي،ط5، دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،ص74،73.

[2]-رابح بونار ،المرجع السابق، ص243.

[3]–Charles (A. J) ,Histoire De L'afrique Du nord , payot , paris , 1952,p54.

[4]-المقريزي،اتعاظ،ج1،المصدر السابق، ص 66،والقاضي النعمان،افتتاح الدعوة،المصدر السابق، ص302.

الزّاب[1]عندما خلعُوا الطّاعة وارادوا الانفصال عن الدولة[2]، وتمكن المنصور بن الناصر[3] من القضاء على ثورة بني توجين الزناتيين [4]الذّين تحالفوا مع العرب الهلالية[5].

فقد اعتنّى بنو حماد بالعاصمة الجديدّة ووفروا لها الحماية والاستقرّار وشُيدوا بها المؤسّسات التربّوية والعلمية من كتاتيب ومساجد ومعاهد، وأغدّقوا على العلماء والأدباء وأهل الرياضة، والفنون، وقربوهم إلى بلاطهم، وهيئُّوا لهم الجوَ المنّاسب لانطلاق الحركة الفكريّة والعلميّة بالمدينة الجديدة[6]، وأسّسوا دولة بأتم معنى الكلمة تشمل تقريباً كل بلاد المغرب الأوسط بحدودها الحاضرة.

يُلاحظ في الميدّان الفكري والحضّاري ذّلك التسّامح الديني الوّاسع الذّي كان يسود هذّه الإمارة بعد أنْ تّمَ إلغّاء المذّهب الشيعي الذي كان يقيد الفكر ويحول دون الخلق والإبداع، وأتّاح ذّلك للحركة الفكرية والثقّافية أنْ تنطلق من عُقالها وتنمو وتزدّهر ازدهاراً واسعاً، وغدت القلعة وبجاية مركزيين هامين وجامعتين للثقافة والعلوم استقطباً عدداً لا يحصّى من رجّالات العلم والفكر"[7].

فقد أحسن المرابطين تسير شؤون دولتهم فكانت أيامهم أيام رخاء وأمن ولاسيما في عهد يوسف بن تاشفين، حتى قيل عنه:"لم يكن في عصره نفاق ولا ظلم وكانت المرأة في زمنه تسير وحدها حاملة الذهب فتجول اقطار المغرب وافريقية ولن تجد من يعترض سبيلها"[8]،وان هذه الدولة توسعت في مبدأ الجهاد بصورة لم تعهدها دول المغرب من قبل، وأن المالِكية امتازت بأنها لم تكن مذهباً فقهياً فحسب بل كانت مذهباً سلوكياً قائماً على تعظيم شأن العلم وأهله[9]،وإن اصطناع الدولة لنوع خاص من العلوم ما كان ظاهرة ملحوظة في كثير من الدول، فلم يعبْ عليها بل اعتبر من أسباب نهضة ذلك العلم ،على أن اهتمام المرابطين بعلوم الدين كان يزنه تشبعه بالروح السلفي المتسامح وعدم مجاراته للخلافات المذّهبية والبدع والأهواء التي كانت حينئذٍ تنخر جسم الوحدة الإسلامية

---

(1)- بلاد الزّاب:كورة عظيمة بأرض المغرب على البر الأعظم،ينظر: ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج3،ص 124،ومارمول كربخال، المصدر السابق،ج3، ص100،وحسن الوزان،المصدر السابق،ج1، ص138.

(2)- عيسى بن الذيب،الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر ،خلال العصر الوسيط،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،طبعة وزارة المجاهدين،2007،ص122.

(3)- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص302،والنويري،المصدرالسابق،ج24، ص98.

(4)- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص231.

(5)- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج2، ص259-261.

(6)- عبد العزيز فيلالي،دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الاسلامي،دارالهدى للنشروالتوزيع،2012،ص79.

(7)- يحي بوعزيز، موضوعات...المرجع السابق ، ص40.

(8)- عمار عمورة ،الجزائر ....،المرجع السابق، ص135، 136.

(9)- حسين مؤنس، شيوخ العصر،ط1،الدار المصرية للتأليف والترجمة،1965، القاهرة، ص16.

بالمشرق [1]،وقد استفاد المغرب الأوسط كثيراً من الناحية الحضارية والعلمية إذ أن الأندلس كانت تزخر بالعلم والعلماء، بقرطبة[2]،وتشتت السلطة السياسية أيام ملوك الطوائف[3]،فقد أدت كذلك الى هجرة كثير من علماءها الى مختلف أقطار المغرب،فكان لذلك أثر ملحوظ في تطور الحياة الفكرية[4].

كانت الحكومة حافظة لممتلكاتها حامية لنفوذها تعاهد من سالمها وتحارب من حاربها، لا تنقض عهداً ولا تخلف وعداً، كانت الحالة الداخلية على غاية الاطمئنان فكثرت الأموال وتأمنت الطرق وصلح أمر الناس في البادية والحاضرة وعم الأمن والرخاء كل هذا بعدل بني عبد المؤمن وحسن سياستهم[5]،ولقد بلغ من شدة تعصب دولة الموحدين للإسلام والدفاع عنه أن أصدرت الحكومة أمرها لجميع من يوجد بالمغرب الإسلامي من أهل الكتاب أن يختار أي الحلين شاء: إما الإسلام أو الجلاء فكان ذلك سبباً في إسلام كثير من اليهود والنصارى أو استسلامهم بالمغرب ومنهم من هاجر من البلاد وخرج عنها إلى اوروبا[6]، ومن شدّة رغبة عبد المؤمن في العلم وتعلقه بأهله واتساع أفقه لتلقي كل ما يمت بصلة إلى المعرفة أن رفع الحظر عن طائفة من الكتب التي حذر المرابطون من قراءتها وشددّوا على من وجدت عنده أو استنسخها مثل كتب الغزالي[7]، وعمل على بعث النشاط في الشعب لنشر الكتب على اختلاف مشاربها ومنها كتب الفروسية أو سيرها وكتب المغامرات وغيرها[8]،بل سمح بقراءة هذه الكتب على كراسي المساجد، وهذا نقيض ما كان

---

[1]-عبد الله كنون،النبوغ المغربي في الأدب العربي،ج1، 1380هـ/1960م،طنجة،المملكة المغربية، ص68.

[2]-قرطبة: قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها،ينظر: مؤلف مجهول، كتاب تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ص72،وابن حوقل، المصدر السابق، ص107.

[3]-ملوك الطوائف: "فترتهم ما بين 400-479هـ /1009-1086م ،لم يكونوا ملوك وإنما كانوا عمالاً على النواحي التي استبدوا بالأمر كل بناحيته، ينظر: حسين مؤنس، معالم.. المرجع السابق،ص415 وما بعدها .

[4]-محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية، في الغرب والأندلس ط1، دارالجيل،1997م، بيروت ،لبنان، ص 165.

[5]-مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق،ج2، ص308.

[6]-عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق،ج1، ص20.

[7]-الإمام أبو حامد الغزالي: احد المشهورين والمعدودين من أعلام الفكر العربي الإسلامي،ولد في مدينة طوس بمقاطعة خراسان سنة450هـ/1058م،ينظر:أبا حامد الغزالي، أيها الولد، تقديم وتحقيق وفهرسة: جميل إبراهيم حبيب، صدر عن دار القادسية (د.ت)،ص5-8،وحول حرق مؤلفاته ينظر: حسن بن علي بن محمد بنعبد الملك الكتامي، وابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، درسه وحققه: محمد علي مكي،ط1،دارالغرب الإسلامي،1990،بيروت،لبنان،ص70،وابن عذاري المراكشي، ،المصدر السابق،ج4 ،ص58-60.

[8]-يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج3، اضمحلال سيادة المرابطين في عصر القيصر ألفونسو ريمونديس وقيام مملكة البرتغال، ترجمه ووضع حواشيه: محمد عبد الله عنان، ط2،القاهرة،1377هـ/1958م، ص305..

عليه الأمر أيام المرابطين، إذ كان هؤلاء يعتبرون ذلك ضاراً بالعقيدة، ان لم يكن كفراً فكانوا يأمرون بإحراقها [1]،حاول أن يعطي انطلاقة جديدة في ظل حكمه بتوفير جو من الاستقرار والأمن وذلك بإعطاء أهمية لأهل العلم وغيره من الفنون ،ولا يكون ذلك إلا في إطار العقيدة التومرتية.

حكم بني عبد الواد تلمسان بعد ضعف الدولة الموحدية بالمغرب وولايتها شقوا عصا الطاعة ونبذوا دعوتها معلنين استقلالهم بالمغرب الأوسط متخذين من تلمسان عاصمة لمملكتهم[2]، ولا شك ان كان لها تأثير سياسي وحضاري واسع النطاق خلال العهد الزياني، الذي تطورت فيه سياسياً ونمت عمرانياً وانتعشت اقتصادياً وازدهرت فكرياً،وخاصة حينما تغلبت على فترات الضعف والهيمنة الأجنبية التي أصابتها[3].

عاش المغرب الأوسط نهضة فكرية و ثقافية لم تشهدها المنطقة إلاّ في عهد الدولة الزيانية الفتية وهذا ما أكده جل الباحثين[4]في تاريخ الدولة مستندين في ذلك إلى كثرة العلماء وزخم إنتاجهم الفكري وانتشار المراكز العلمية و الثقافية بشكل كبير، خاصة خلال القرن الثامن الهجري، الموافق للقرن الرابع عشر للميلاد، وقد نعتت هذه النهضة بأوصاف شتى لكنها في العموم تصبّ في معنى واتجاه واحد منها "الازدهار الثقافي" و"النشاط العلمي" و"الحركة الفكرية "و"النبوغ الأدبي"[5] الذي توارثه الأجيال و بقي تأثيره واضحاً على الحركة العلمية في المغرب الأوسط وخارجه طيلة قرون متتالية.

وإذ أمعنا النظر في الحروب السياسية والوقائع المتسلسلة والانهزامات المتتالية لدولة بني عبد الواد الزيانية وجدنا انه لم ينل أهلها فتور ولم يتخلل صفوف أبناءها فشل في توطيد عزمهم على تأسيس

---

(1)- نفسه، ص305.

(2)-الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995، ص73

(3)-عبد العزيز فيلالي ،تلمسان ......، ج 1،المرجع السابق ، ص5.

(4)–من الباحثين في تاريخ الدولة الزيانية ،عبد العزيز فيلالي و كتابه تلمسان في العهد الزياني ،عبد الحميد حاجيات و كتابه أبو حمو موسى الثاني،حياته و **آثاره**، ،وكذا:

Dhima (A) ,RoyoumeAbdelouadide à l'époque d'Abou Homou Moussa 1er et d'abouTochfin 1er ,O.P.U,Alger,(sans date) -Barges (IJ) ,complément de l'histoire des Beni Zyan ouvrage du cheik mohamed abd'al djalil al-tenessy,paris,ernest le roux-librairie-eduteur(sans date)إضافة إلى العديد من الدراسات و الرسائل الجامعية.

(5)-عبد العزيز فيلالي، تلمسان... المرجع السابق، ج 2 ، ص 317

دولتهم بلم شتات قبائل المغرب الأوسط، وتكوين قوة سياسية تمكنهم من استرجاع المجد الزياني، ولا يكون ذلك إلا بالاعتناء بأهل العلم من علماء وفقهاء وطلاب في مختلف فنون العلم والمعرفة.

- تشجيع الأمراء للعلم والعلماء:

قد غلب على الأئمة الرستميين طابع الزّهد في شؤون الحياة الدنّيوية وعُدلوهم عن شهّواتها وملذّاتها، حيث كان همّهم الوحيد الظّفر بمرضاة الله تعالى، إذ كانت لهم عنّاية كبيرة بأمور الدّين[1]، إضافة إلى جهود الأئمة أنفسهم في النهّضة الثقّافية والثّراء العلمي والمعرفي، فقد ألزموا طلبة العلم أن يثّبتوا في طريقهم إلى أن يرْتووُا ويكونوا علماء وفقهاء نابغين ويشعرون أن هذا واجب في الدين وفي إطار الدعوة إلى المذّهب الإباضي الخارجي على هذه الأرض التي كانت في أمس الحاجة إلى معرفة ما تحمله الرسالة النبوية إلى بني البشر.

ولما أدرك الأئّمة الرستميون أنّ الحِفاظ على الشّريعة الإسّلامية وترسيخ المبادئ الإباضية في أذّهان الناس أقوى من السّيطرة عليهم بالقّوة[2]، استطاعوا بفضل بساطتهم وتقواهم وعلمهم، وبفضل من أحاط بهم من أناس بُسطاء ومن علماء وفقهاء أن يكسبوا ثِقّة البربر واحترامهم فأحاط هؤلاء الأخرين بهم وتعلقوا بدعواهم الدّينيّة[3]،

فقد بدل الأئمة الرستّميون جهوداً جبارةً في سبيل تنشيط الحركة الفكرية والثقافية في ربوع دولتهم، من تشيد للمساجد والدّور العلمّية[4]،لذا كرّسوا حياتهم في نشر العلم في المجتمع الإباضي، وحرصوا على القيام بذلك بأنفسهم[5]،فكانوا أئمة علم كما كانوا أئمة سياسة ،يتدّارسون التفّسير والحدّيث والفقه والكلام وكان العلم شرطاً أساسياً لتولي لإمامة وكان بعضهم يقوم بالتدريس في جامع تاهرت ومسجد نفوسة ،ولم يقف الأمر بهم عند حد التعليم، وإنما شاركوا أيضاً في حركة التأليف حيث كان مؤسّسها من كبار العلماء وكان سمحاً غير متشدد في الدين.

---

(1)-رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي ،من الفتح الى بداية العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، ط 1984،ص111.

(2)-عبد الحفيظ منصور، السياسة الداخلية للإمارة الرستمية،160هـ-296هـ/909م-777م،،رسالة ماجستير جامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية ،والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ،1421-2001، ص223.

(3)-ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عن الفرنسية: عبد الرحمن بدوي،دار الغرب الإسلامي،ط3،بيروت،لبنان، ص149.

(4)-معروف بلحاج، الإنتاج الفكري الجزائري في عهد الدولة الرستمية، الفضاء المغاربي مجلة دورية محكمة، يصدرها مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي،جامعة أبي بكربلقايد،تلمسان،ص241

(5)-محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2006 ،ص237.

ويعتبر في رأي يعقوب الورجلاني[1]،من العلماء الذين أطلقوا الخناق وأوسعوا الرياق[2]،فأوسع للأمة في دينها وهو الإمام المسؤول وكان يقضي وقت فراغه في الدرس والتدريس والتأليف[3]، فألف كتاباً في تفسير القرآن الكريم[4]،وآخر عبارة عن ديوان خطب[5]،وكان المجاز من طرف شيخه بالبصرة[6]،ولم تكن مهمة الإمام تقتصر على خطبة يلقيها من على المنبر يوم الجمعة، وإنما كان دائم الاتصال برعيته يُفقها في دينها ويحثها على العلم، وان هذا الدور الذي كان يؤديه كل إمام يصل إلى الإمارة، إنما هو اقتداء بالفاتحين العرب الأوائل، أو الوافدين الى المغرب الأوسط فيما بعد من أجل نشر تعاليم الدين الإسلامي السّمحة بين القبائل البربرية والعربية آنذاك الحديثة العهد بالإسلام، وكان عبد الوّهاب بن عبد الرّحمن[7]، قد قضى في عهده سبعة أعوام بجبل نفوسة في سبيل تلقين مسائل الصّلاة، وانقضت الأعوام السّبعة وبقيت له بعض الأبواب لم يلقِ دروسها[8]،لتعمُقه في كلّ مسألة ولأهمية ركن الصّلاة في الإسلام.

ولا شكّ أنّه لم يستحدث هذه الدروس عندما كان في الجبل ،وإنمّا كان ذلك دأبه في تاهرت، وكان على دأب أبيه وهو المتخرّج من مدرسة البصرة، حيث درّس مواعظ أبي عبيدة[9]،واستمرت

---

(1)-أبوالعباس الدرجيني،المصدرالسابق،ج2 ،ص266.

(2)-أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني،ت570ه،الدليل لأهل العقول،ج2،المطبعة البارونية بطالون الحجرية،1036ه، ص18.

(3)-محمد علي دبوز ، المرجع السابق، ص372.

(4)-أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي، ت 928ه،السير ، طبع حجري،قسنطينة،1301ه، ص193.

(5)-عبد الحميد منصور ، المرجع السابق، ص220.

(6)-جاء في لسان العرب، في البصرة ثلاث لغات: بَصرة- بِصرة-بُصرة، وفي اللغة العالية البصرة،أي الحجارة البراقة، ينظر: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الإفريقي المصري، لسان_العرب، ج4،دار صادر ،بيروت، ص67،والبصرة في كلام العرب، الأرض الغليظة،ينظر: الحموي،المصدر السابق،ج1،ص430،وأبي القاسم بن حوقل النصيبي ،كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ،بيروت،ص209.

(7)-عبد الوهاب بن عبد الرحمن: نشأ في كنف والده عبد الرحمن، اخذ عنه حميد الخصال، وتعلم علوم الدين، واللغة على يديه فكان عالماً، وقد شهد فتح طرابلس، والقيروان، ينظر: ابي العباس الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص45، وأبي زكريا يحي بن ابي بكر ، المصدر السابق، ص،86.

(8)-أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ص64، وابن الصغير ، المصدر السابق، ص42-45، وبوزيان الدراجي، دور الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، وأثرها في قيام الدول وسقوطها ونشاط الحضارة وأفولها بالمغرب، ط1،ج2، دار الكتاب(د.ت)،ص68.

(9)-أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي: البصري فقيه من علماء الإباضية، أخذ المذهب عن جابر بن زيد ،ثم صار مرجعاً فيه تشد الرحال إليه ،تعلم العلوم وعلمها، ينظر: الدرجيني، المصدر السابق،ج2،ص45، ،والشماخي، المصدر السابق، ص141،وخير الدين الزركلي،الأعلام،ج7،ط10،ماي2002،دارالعلم للملايين ،بيروت،لبنان،ص222،ومحمد عوض خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية،العدد28،ط3، 1415ه /1994م،وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان،ص32 وما بعدها،

هذه الظاهرة عند الأئمة وهي تعبر فعلاً عن اهتمام الرستميين بتعليم المغاربة دينهم، وإيصال الثقافة إليهم[1]،ولم يقتصر عبد الوهاب بتلك الدروس التي ألقاها في مساجد جبل نفوسة ،وإنما ألف كتاباً يعرف عند ابن الصغير" بمسائل نفوسة الجبل" وهو عبارة عن أجوبة لمسائل أشكلت على أهل نفوسة، ويقول عنه كذلك:" أنه كان في أيدي الإباضية مشهوراً عندهم معلوماً يتداولونه قرناً عن قرن إلى أن أخذتُه عن بعض الرستميين فدرسته، ووقفت عليه"[2]،ولا يكاد يخلُو مصّدر من المصّادر التّاريخية التي أهتّمت بالمذّهب الإباضي وعن فضائّل أبناء وأحفاد بني رستم، إلاّ وَوَصفتهم بالاستقامة والفهامة في الكثير من فنون المعرفة، سكت ابن الصغير المالكي عن نقده دليل على إعجابه بالكتاب، وقد كان الإمام عبد الوهاب كثير القراءة والمطالعة، عالماً، أخذ العلم عن حملة العلم من البصرة وخاصّة منهم والده[3]،فقد دفعه شغفه للاستزادة من العلم والمعرفة بعد وفاة حملة العلم إلى إرسال ألف دينار لإخوانه بالبصرة ليشتروا له بها كُتباً، فاقتضى نظر هؤلاء أن يشتروها ورقاً وتطوعوا بالمدّاد وأجرة النّساخ والمفّسرين حتى أكملوا له ديواناً عظيماً، فبعثوه إليه فاجتهد في قراءته، ولما انتهى منه قال:" الحمد الله "إذ ليس فيه مسألة غَرُبت عني إلا مسألتان ولو سئلت عنهما لأجبت قياساً على نظائرهما ووافقت الصّواب" [4].

ويذكر أيضا الشماخي:" أنه كان من عادته إذا فرغ من صّلاة العشاء أخذ كتاباً ينظر فيه "[5]، وهذا دليل على حُب الإمام للمعلم والمعرفة شأنه شأن أبيه من قبل وليس عجباً هذا عنه، وهو الذي واجه في عهده مختلف الاتجّاهات والأفكار والمذاهب في فترة من أصعب الفترات التي شهدها العالم الإسلامي، إذن لا غرابة من أن يذكر الشماخي والدرجيني وغيرهم من العلماء والمؤرخين على أن بيت بني رستم هو بيت مختلف العلوم.

(1)-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص267، ومحمد علي دبوز، المرجع السابق،373.

(2)-ابن الصغير، المصدر السابق، ص45،46.

(3)-معمر علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ، ج4، الإباضية في الجزائر، مطبعة الدعوة الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة،1399ه/1979م، ص66.

(4)-أبو العباس الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص55، ولخضر سيفر، التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي، ج1، مطبعة أمل للدراسات(د.ت)،ص96.

(5)-أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي، المصدر السابق، ص149.

كان أفلح[1]يعقد قبل توليّه الإمامة حلقات الدرس في الفقه والكلام واللغة والحديث، ويعتبر عصره أزّهى عصور الدّولة ثقافةً وفكراً،وقد قعد بين يديه خلق يتّعلمون منه فنون العلم[2]، لِما أخذه من العلم عن أبيه وجده، ومن عاصرهم من كبار العلماء، حتىّ بلغ درجتهم وتفوق على بعضهم، وأصبح من الأئمة المعدودين، والعلماء المشّهورين، وانفرد بأقوال في علم الكلام واعتبر من أَّجلها إماماً[3]،وأنه بلغ في حساب الغبار، والنّجامة مبلغاً عظيماً[4]، وكان كذلك شاعراً مجيداً له قصيدة رائية، يشجع فيها على العلم ويحث على طلبه، ويبجل فيها العلم والعلماء بقدر ما يحط فيها من قيمة الجهل والجهلة، وهذا مطلعها:

العلمُ أَبْـــقى لأَّهلِ العلـْــمِ آثـــارَا   يرِيـــكَ أشخـَــاصهم رُوحاً وأبكـــارَا

حــيّ–وإنْ مــاتَ–ذَو عــلـمٍ وَذُو وَرعٍ   ما مات عبدٌ قضـــى منْ ذَاكَ أوْطارَا

وَذُو حَيــاةِ عَلَى جهْلٍ وَمَـــنقَصـــةٍ   كَمَيّتٍ قَدْ ثَوَى فِي الرَّمْسِ إعْصَـــارَا[5]

ولعله في هذه القصيدة يدعوا إلى الإقبال على العلوم الدينية فيقول:

فَاطْلُبَ العِلمَ مِمُا تقْضـــي الفُروضَ بهِ   واعملْ ما عِشْـــتَ بعلمكَ مُضْـــطرَاً

وأُطلبـــهُ ما عِشْتَ في الدُنيا ومُدَتـــهاَ   لِموقفْ العَـــرْضِ إنْ لا تُوردَ النـــاراَ

واجْعلـــهُ لله لا تَجْعلـــه مَـــفْخَـــرةٌ   ولا تُـــراءَ بِـــدوَا وإحْـــضـــارَا[6]

قد سار على هذّا الدّرب الإمام اليقظان[7]بن أفلح.

ويذكر يحي بن معمر:" أن هذا الإمام ثابر في استدراك إمارته لما فاتها من ازدهار ونمو خلال الفتن والحروب واشتغل بطلب العلم "[8] حيث جمع بين العلم والعمل، فبلغ في فنون العلم الكثير حتى أن نفوسة كانت لا تعدل عهده بعهد جده عبد الرحمن، وكانت تتخذ من باب داره مسجداً، قد

---

[1]–أفلح بن عبد الوهاب: إمام الأسرة الرستمية، ينظر: أبي الربيع الوسياني ،سير مشائخ المغرب، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985 ،الجزائر،ص57.

[2]–أبو العباس الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص75.

[3]–معمر علي يحي، المرجع السابق، ص70.

[4]–أبو العباس الشماخي، المصدر السابق، ص193.

[5]–عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، المرجع السابق.ص574.

[6]–عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ،المرجع السابق، ص575.

[7]–الإمام اليقظان: لم تذكر المصادر شيئاً عن المراحل الأولى من حياته وإنما اكتفى بعضها بالحديث عن ورعه، ينظر:_ابن الصغير، المصدر السابق، ص88، وابي العباس الدرجيني، المصدر السابق،ج1،ص150.

[8]–علي يحي بن معمر، المرجع السابق، ص75

كانوا يتدارسون مجلسه طلبة وعلماء فمنهم قُراء للقرآن الكريم ومتحدثين في فنون العلم ومنهم من يجعله مصلى له، كما عرفت له كُتباً كثيرة في الاستطاعة بلغت أربعين مجلداً[1]، وكان له كذلك رسائل عديدة وجوابات مختلفة.

وكان الإمام كأسلافه شغُوفاً بإلقاء الدروس لما له من رصيد علمي واسع ومن تتلمذّوا على يده ابن الصغير المالكي ،صاحب كتاب" أخبار الأئمة الرستميين" الذي يذكر ذلك عن نفسه بقوله: "قد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته وحضرت مجلسه، وقد جلس للناس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي، ورأيته يوماً ثانياً في مصلى الجنائز، وقد رميت له وسادة من أدم فجلس عليها[2]،وهذه شهادة من بين الشهادات التي عاشها ابن الصغير مع أبناء وأحفاد بني رستم، فيما يخص فنون العلم والمعرفة، وكيف كانوا يولونها اهتمام منقطع النظير، وأن هذه الاستغاثة التي يوجهها الإمام إلى رعيته ،تبين بوضوح المرحلة التي تعيشها الدولة الرستمية، وتوحي بقلة العلماء الإباضية منهم خاصة وتدعو المسلمين إلى أن يبذّلوا جهُودهم في طلب العلم ويعتنوا به طلباً لمرضّاة الله عزّ وجّل[3].

لا يعلم الكثير عن الأئمة الآخرين ومساهمتهم في الحياة الفكرية للدولة الرستمية[4]، في بداية تأسيسها وما كان يلاقيه أمراء بني رستم من ثورات وحركات تمرد، وبحكم أنها حديثة الانفصال عن الدولة العباسية في المشرق، وتحاول وضع أسس جديدة قائمة على المذهب الإباضي، فكان مصيرها بأن توّاجه الكثير من المصّاعب والمتّاعب من أجل تحقيّق وجودها في عالم يرفض وجودها أصلاً.

أما في العهد العبيدي اهتم خلفاء هذه الفترة بنشر وتشجيع التعليم والثقافة الإسماعيلية وحتى هؤلاء الخلفاء كانوا على خط وافر في هذا المجال حيث كانوا خطباء، وشعراء وفقهاء ومؤلفين، وأن عبيد الله المهدي المؤسس الأول لهذه الدولة لم يتخل عن كتبه حتى في أقصى الظروف أثناء توجهه الى المغرب حيث اعترضت طريقه عصابة لُصوص فاستولت على ما معه ومن بينها كتبه

---

[1]-أبو العباس الشماخي، المصدر السابق، ص221. ومعروف بلحاج، المرجع السابق ،ص242.

[2]-ابن الصغير، المصدر السابق، ص92.

[3]-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص273.

-[4]Dengel Gérard L'Imamat Ibadite de Tahert (761-909),thèse de Doctorat3éme ,cycle ,Strasbourg; université des sciences Humaines;1977;p240.

وذلك بمكان يسمى الطاحونة[1] بين مصر وليبيا، ويقول القاضي النعمان[2]في هذا الصدد:" وكان أعظم ما ذهب به كتب كانت فيها علم من علوم الائمة، فلما خرج القائم بأمر الله الى مصر في الغزاة الأولى التي غزاها استرجع الكتب بعينها"، وكان المهدي يقول:" لولم هذه الغُزاة إلا لرّد هذه الكُتب لكَان فتحاً عظيماً، وسِر باسترجاعها سروراً عجيباً"[3]،وتُبين لنا المصادر التي أرّخت للفترة العبيدية شواهد كثيرة كحِرص الأئمة على تثقيف المغاربة وكثير ما كان المعز يجمع برؤوس كتامة في مجالس يعضهم فيها ويحثهم على العلم وكثيرا ما كانت قصورهم ملتقى يجد فيه طلاب العلم ما يريدون وكان يديره المعز بنفسه وأحياناً يوكل ذلك الى قاضيه النعمان[4]،وامتاز عهد الخلفاء العبيدية بنشاط عجيب وتبادل ثقافي غزير.

وجاء في وصف الباحثين لعهد لكل خليفة فمع المهدي كان عهده عهد الدعوة والتأسيس، تشتد المجَادلات والمُناظرات الفقهية والكلامية وتزدهر العلوم ببيت الحكمة، أما مع المنصور فعهده عهد الانبعاث وعودة القُوة فتنّشطْ المراكز الشّيعية، ويُعود لمجالس المناظرة الكلامية إشعاعها ثم تعيش الحياة الثقافية والأدبية في عهد المعز وهو عهد القوة والاشعاع أوج ازدهارها فيبلغ النشاط الكلامي والجدل أقصاه في مجالس الحكمة التأويلية، ولقد ازدهر النشّاط الفقهي الشيعي مع النعمان[5] ونفس الشيء نجده يقوم به دعاتهم بين القبائل في حواضر المغرب الأوسط التي أُوجدَ فيها المذّهب الشيعي، وما يترجم عن ذلك النشاط الفكري والثقافي الذي عرفه المغرب وافريقية خاصة لأنها مراكز الثقل مركز الخلافة في العصر الفاطمي هو ذلك الازدهار الذي ساد فيما بعد دولتي صنهاجة الشمالية بين زيري وبني حماد والذي كان في الحقيقة تكملة واستمرار لما سبق[6].

ويوافق هذا العصر الثقافي الذي أطلق عليه عصر الازدهار قيام الدولة العبيدية في المغرب الإسلامي، بظهور هاتين الدولتين اللتين خلفتا الفاطميين بعد ارتحالهم الى مصر، وقد مزجتا فترتين فترة حكم الفاطميين وفترة حكم الصنهاجيين لأنها في الحقيقة فترتان متكاملتان من الناحية

---

[1]-القاضي النعمان، المصدر السابق السابق ص151.

[2]- كان ملكي المذهب، ثم انتقل الى مذهب الإمامية، ينظر: القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي، إبراهيم شبوخ، محمد اليعلاوي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية،1978، ص6.

[3]-مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص277.

[4]-رافعي نشيدة، الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي 296هـ -362هـ، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة، المغرب الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة الجزائر ،2002-2003م،ص6.

[5]-رافعي نشيدة، المرجع السابق، ص110.

[6]- رابح بونار، المرجع السابق، ص252.

الاجتماعية والفكرية التي لها تأثير كبير على الآداب ،ففكرة التّشيع، واستغّلال الأدب لنُصرته وتشجيع المناظرات والأبحاث اللغوية والأدب والشعر، تشرك فيها الفترتان معاً حيث نضّجت الآداب وارتقت العلوم[1].

ومن هنا يمكن القول أّن خُلفاء هذه الدولة التي حّلت بأرض المغرب الإسلامي كان هدفهم هو نشر العلوم التي تخدم مذهبهم وعقيدتهم وفلسفتهم في الحياة بأي ثمن وبأي طريقة حتى يتسنّى للناس قُبول هذّا المذهب الجديد الذّي يُحدثهم على آل البيت ومآثرهم، ولكن البذّرة لم تثبت ولم تمتد وتنمو في التربة الفقهية السُنية وحدثت المواجهة والصراع طيلة هذا العصر الى ان انتقل العبيدين الى مصر، ومن هنا يمكن القول كذلك ان خلفاء هذه الدولة كانوا علماء وفقهاء في شتى العلوم إلى جانب فقهائهم في ظّل الدعوّة السرية طيلة وجودهم بأرض المغرب الأوسط وغيره من الأراضي الإسلامية التي شهدت الفكر الإسماعيلي .

عرفت الحياة العلمية في العهد الحمادي ازدّهاراً كبيراً في مختلف العلوم بفضل اعتنّاء الملوك الحماديين بها فأقبل عليها العلماء من كل جهة فانتعّشت بذّلك الثقّافة والعلوم الدينية ،فأرتفع المستوّى العلمي، وأُسست بها مدّارس علمية اكتظّت بالطلاب من مختّلف الجنسيّات، حتى كان العُمي ينّالون حظّهم منها، وأنجبّت شُّعراء وأدبّاء وفقهاء وفلاسفة وأطباء كِبار[2]،ويعود الفضل الأكبر في ذّلك إلى نشّاطهم في تقريب العلماء إليهم ومنافستهم لبني عمومتهم بني زيري بالمهدية والقيروان[3]،وفي ظّل سيّاسة واضحّة المعالم تقوم على التسّامح بين كل المِلّل والبحث عن الأصلح وتشجيعه من أي طائفة، واستيعاب العنّاصر الطارئّة تحت أي ضّغط وتحويل بجاية إلى" مكة الصغيرة "التي يحُجُإليها كل المهدّين والبّاحثين عن الحياة والمجد، لذا قدَّم الحماديون الكثير للحضّارة العرّبية والإسّلامية واعتبرت سياستهم من أكبر مآثرهم والمتمثلة في ترويض القبائل العربية وتوظيفها في صنع الحضارة.

(1)-نفسه، ص252، 253 .

(2)-عمورة عمار، الجزائر ...، المرجع السابق، ص128.

(3)-رابح بونار، المرجع السابق، ص282.

أُسسّت القلعة ونُقل إليها خَلقٌ كثّيرٌ من أهل المسيلة وأهل تلمسان وقصّدها أهل القيروان والهلاليون وأناس من الشرق والأندلس، وبّلغت أوج عظمّتها في عهد الناصر بن علناس[1]،فقد كان هذّا العاهل محباً للعلم، فتقاطر على القلعة العلماء والأدباء[2]، أقام بها من أسبّاب الحضّارة، ما لم ير مثله شرقاً ولا غرباً، أسس المدّارس والمعّاهد العلمية وأمر أنْ تُوزع المِنح على العبّاقرة والمبرّزين في كل فن، فازدّحم على تّلك المعّاهد العلمّاء والحكمّاء والأطبّاء والشّعراء، وأهل الفنون الريّاضية والهندسيّة ،وأمّ بجاية والعوّاصم الأخّرى الكثّير من علماء الأندلس والشام ومصر والحجاز والعراق والعجم، فاستفّادت أرض بلاد المغرب الأوسط من علومهم وثقّافتهم[3]،حيث لم تتوقف سيرة الأمراء(الأبناء-والأحفاد) من بعده في تشجيع اهل المعرفة من فقهاء وطلاب علم سواء داخل الحاضرة او خارجها ليس إلا لأخذ العلم من شيوخهم .

وحذّا حذّوه ابنه المنصور وتوفق عليه في ميدّان البنّاء والتشييد إذ كان الأمير مُولعاً بالبنّاء وجمع العلماء حتى اعتبّره المؤّرخون هو الذّي أخرج الدولة من طور البدّاوة الى طور الحضّارة، بحيث طور نظام الحكم ونقل دولته نقلة حضّارية نوعية جعلتهم في مصّاف الدول الكبيرة في المنطقة، بحيث تألق في احتّطاط المبّاني وتشيد المصانع واتخّاذ القصور واجّراء الميّاه في الرياض والبساتين[4]،كان ملوكها يغدّقون صلاتهم على العلماء والأدباء فاقبلوا إليهم من كل جهّة، فازدّهرت الحركة العلمية وانتعّشت الثقّافة بين جميع الأوساط المختّلفة، وقد يحفز الطُموح ببعض الموهوبين منهم أن يصلوا إلى مرتبة الأستّاذية والإقرّاء بمختّلف المجّالس العلمية، لا تظهر هذّه الدّرجة في وسط إلا إذا كان أهله يتمتعون بمستّوى ثقّافي رفيع[5]، وكان من أمراء بني حماد أنفسهم من نبغ في العلم والأدب ونطق بالشعر فأبدع وكانت الأوساط العلمية راقيّة قبلهم فزادوها رقياً وانتشاراً وانشأوا المدارس الكبيرة واغرموا بجمع مجالس المنّاظرة، وأمَّهم العلماء والشعراء من كل مكان[6].

---

[1]-كان وصوله الى الحكم سنة 454هـ/1062م، فاتحة عهد جديد للاستقرار النسبي في تاريخ المغرب الأوسط ، ينظر : - Général de Beylie.la kalaa des Beni-Hammad; une capitale berbère del'Afrique du nord au xi siècle .Paris; Ernestleroux.Edition1909 ,p9.

[2]-محمد الطمار ، الروابط ...، المرجع السابق، ص141.

[3]-نفسه، ص142.

[4]-عبد العزيز فيلالي، دراسات... ، المرجع السابق، ص81.

[5]-عبد الله شريط، ومحمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص94.

[6]-أحمد توفيق المدني، كتاب ...، المرجع السابق،ص81.

أما في العهد المرابطي -القرن الخامس الهجري، الموافق للقرن الحادي عشر للميلاد- عرف المغرب الأوسط نهضة فكرية قامت على أسس من العقيدة الدينية تُدعمها صفوة عسكرية، وكانت تميل إلى حياة الزهد الصوفي، ولم تكن حسبما وضح من تاريخها سوى دولة دينية عسكرية[1]،اتخذوا الرباط في البداية للتعبد ونشر مبادئ الإسلام الصحيحة ومقاومة البدع والوثنية ثم انطلقوا من رباطهم الى باقي انحاء المغرب للغزو والتوسع في حركة ناجحة[2]،وكان انتصار المذهب المالكي على غيره من المذاهب أثر فعال في تغلغل الإسلام في مختلف الجهات للمغرب الأوسط[3] قامت على أسس مختلفة كل الاختلاف فقد قامت على أساس نشر مذهب مالك ومحاولة بعث القوى الإسلامية والعودة بالمجتمع الإسلامي الى عهد السلف الصالح.

ورسمت لنفسها طريق الإصلاح واضحاً جلياً واعتمدت في سبيل التمكين لنفسها على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعلنت على المنكرات التي شاعت في البلاد في أواخر القرن الخامس الهجري[4]حرباً لا رحمة ولا هوّادة وفرضت صلاة الجماعة على الناس فرضاً وعممت الزكاة واقتصرت في فرض الضرائب على ما أوجبه الشرع، فلقيت ترحاباً أينما حلت، وكانت المدن تفتح أبوابها لهؤلاء القوم المصلحين في جهادهم[5]،فدخل عبد الله بن ياسين[6]بلاد صنهاجة بقصد تعليمهم القرآن الكريم وتفقهيهم في الدين فوجد الناس على جهل لا يفرقون بين حلال وحرام ليس معهم من الإسلام إلا الشهادتان ويتزوجون أكثر من أربع نسوة، فجعل يقرئهم القرآن الكريم ويبين لهم شرائع الإسلام، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر[7].

---

[1]-محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، وهو العصر الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، ط1، 1384/1964، مكتبة الخانجي، مؤسسة السعودية بمصر ،ص654.

[2]-يحي بوعزيز ، الموجز...، المرجع السابق، ص174.

[3]-رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص339.

[4]-حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي ،القاهرة، ص325،326،

[5]-عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا،430-515هـ/1038-1121م،مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر بن العربي،ط1،دارالعرب الإسلامين1408هـ/1988م،ص 141.

[6]-عبد الله بن ياسين: بن مكوك علي بن ياسين الجزولي المجاهد المرابط من أهل جزولة من قرية تسمى تماماناوت في طريق الصحراء مدينة غانة، كان من حذاق الطلبة ومن أهل الفضل والورع والدين والسياسة، ينظر:_ابن ابي زرع، المصدر السابق،ص124،وابن عذاري المراكشي، المصدر السابق،ج4، ص11.

[7]-عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي،ج1، 1380هـ/1960م،طنجة،المملكة المغربية ، ص58.

ولم يزل الشيخ مقيماً برباطه على الحالة أي تعليم وتفقيه الناس حتى قويت جموعه وكثرت وفوده، فأمرهم الى جهاد من خالفهم من قومهم وقال لهم:" يا معشر المرابطين! إنكم جمع كثير وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم، وقد اصلحكم الله تعالى وهداكم الى صراطه المستقيم، فوجب عليكم ان تشكروا نعمته عليكم وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في الله حق جهاده"، فقالوا له:" أيها الشيخ المبارك، مُرنا بما شئت تجدنا سامعين ولو امرتنا بقتل آبائنا لفعلنا" [1]، فقال لهم:" اخرجوا على بركة الله وانذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله وأبلغوهم حجته، فإن تابوا ورجعوا إلى الحق وأقلعوا عما هم عليه فخّلوا سبيلهم، وأن أبوا من ذلك وتمادوا في غيّهم وّلجّوا في طغيانهم استعنّا بالله تعالى عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين"[2].

تمتع الفقهاء والقضاة وعلماء الدين بمكانة سامية في المجتمع الأندلسي والمغربي زمن المرابطين، ولعل ذلك راجع الى دورهم الكبير في قيام الدولة المرابطية أو إلى التعاليم الراسخة التي وضعها الفقيه عبد الله بن ياسين مُنشئ الدولة ومؤسسها، وهكذا كان من الطبيعي أن يتمتع فقهاء المالكية بمنزلة كبيرة في بلاط يوسف بن تاشفين ثم في بلاط ولده علي ،وأن ترتفع مكانتهم ويصبحون موضع المشاورة من الأمر في كل شأن وامر، بحيث تحكموا في إرادة الأمير وغدو يسيطرون ويتحكمون في تصرفاته مع ضيق أفقهم وجمود فكرهم، وقد استشرى نفوذ هؤلاء الفقهاء[3] في عهد علي بن يوسف[4]،الذيمحباً للعلماء والفقهاء مكرماً لهم.

قامت لإصلاح الفساد وتطهير المجتمع من عوامل الشر ونشر الفضائل الدينية وتطبيق الشريعة الإسلامية[5]،وكان عبد الله يرتب العمال في كل البلاد التي يحلُّ بها ويأمر بإقامة العدل وإظهار السُنة وأخذ الزكاة والعشر من القبائل وإسقاط ما سوى ذلك من المغارم التي طالما كانت السبب في تمردهم وانحرافهم عن الجادّة[6].

---

(1)- نفسه، ص58.

(2)-نفسه، ص 58.

(3)-حمدي عبد المنعم حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997، ص328.

(4)-علي بن يوسف: بويع بعد وفاة أبيه يوم الاثنين من شهر رمضان500هـ/2سبتمبر1106م بقصر مراكش ،**ينظر:** عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، (مطبعة القاهرة)،ص235

(5)-عبد الله كنون، المرجع السابق، ص58.

(6)- نفسه، ص59.

كان أمراؤها ذُو زهد وعبادة فقد قربوا إليهم الفقهاء والعلماء، ليمنحوا الدولة الصبغة التي يُؤثرونها، فارتفع شأن هؤلاء أكثر من ذي قبل، ولم تشغله التفاتة نحو طلبة العلم رغم مسائل الإمارة الفتية، ولا المشاركة في الأعمال العسكرية وقيادة الجيوش وإعدادها، ولهذا كان لها أطيب الأثر في النفوس، ولاَقت الارتياح التّام في الأوساط العلمية المتمثلة بالربط والمدارس الفقهية آنذاك"[1]،اشّتد تعلق أمراء هذه الدولة بعلماء الدين حتى كان بلاطهم لا يخلو من عالم أو فقيه او أديب[2].

كان يوسف بن تاشفين يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الأمور إليهم ويأخذ فيها برأيهم ويقضي على نفسه بفتياهم[3]،مقرباً لهم يجري عليهم الارزاق من بيت المال طوال أيامه، وكان يشجع بناء المساجد ويأمر بتشييدها في جميع البلاد إذ كان يدرك أهميتها ليس فقط كبيوت للعبادة، ولكن أيضا كمدارس لتعليم القرآن الكريم والشريعة وأصول الدين[4]،كان لا يقطع امراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، فكان إذ ولى أحداً من قُضاته كان فيها يعهد إليه ألا يقطع أمراً ولا يبُت حكومة في صغير من الأمور ولا كبير إلا بحضور أربعة من الفقهاء وكان هذا شأن كل المناطق التي دخلوها بجيوشهم[5].

لذا أكثر الناس يومئذٍ من اشتغّالهم بالتفاريع الفقهية على مذهب المالكية فنفقت في ذلك الزمن سوق كُتب من هذا الشأن بخلاف العلوم الفلسفية وفن القصة فإن كتبها منبوذّة وأهلها مهجورون[6]،رغم أن المرابطين تأثروا بحضارة الأندلس وشاركوا بأوفر نصيب في حضارة المغرب في عهدهم، فقد ضربوا المثل بتمسكهم بتعاليم الإسلام فلم يجوروا على الناس ولم يلزموهم بضرائب خارجة عن الزكاة والأعشار معظم أيامهم ،فقد ازدهرت العلوم بفضل تشجيعهم، وبنو المدارس[7]،حيث انصرف المرابطون في معظم أيام دولتهم إلى تشجيع الفقهاء حملة لواء المذهب المالكي، وكانت طبيعتهم الصحراوية وعقيدتهم الدينية تبعدهم عن التشبث برجال الأدب والفلسفة[8]،وإن اصطناع الدولة لنوع خاص من العلوم ما كان ظاهرة ملحوظة في كثير من الدول

---

(1)- حامد محمد خليفة، انتصارات يوسف ابن تاشفين ،مكتبة الصحابة،ط1، 1425هـ /2004م،الشارقة، ،الامارات ،ص24 –25.

(2)- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص313.

(3)- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص45.

(4)- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص137.

(5)- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ،ص132.

(6)- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص313.

(7)- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، دار الرشاد الحديث للنشر والتوزيع،1420هـ/2000م،الدار البيضاء، ص171.

(8)- نفسه، ص225.

،فلم يعبْ عليها بل اعتبر من أسباب نهضة ذلك العلم ،على أن اهتمام المرابطين بعلوم الدين كان يزنه تشبعه بالروح السلفي المتسامح، وعدم مجاراته للخلافات المذهبية والبدع والأهواء التي كانت حينئذٍ تنخر جسم الوحدة الإسلامية بالمشرق [1].

وهنا إشارة أن معظم أمراء الدولة المرابطية كانوا محبين للعلم ويعملون على نشر تعاليم الدين الإسلامي السّمة بين الناس، كسائر الأمراء الذين تولوا على حكم المغرب الأوسط منذ الفتوحات الإسلامية لمنطقة المغرب الإسلامي ،ومن هنا تستطيع القول أنَّ أُمراء هذه الدولة كانوا يتفانون في نشر المعرفة من خلال رفع راية الجهاد الى المناطق التي يدخلونها أو يفتحونها وبمساعدة الفقهاء والعلماء، ويعتبر قيامها من ناحية أخرى متوجاً للجهود التي بذلها البربر منذ القرن الثاني للهجرة، بعد أن رسخت فيهم قواعد الدين، وظفروا بالمساواة المطلقة للفاتحين من العرب، حتى آل الأمر إليهم آخر الأمر.

عرفت بلاد المغرب الأوسط مع بداية القرن السادس الهجري، الموافق الثاني عشر للميلاد، تطوراً هاماً في المجال الفكري تجلى بصفة خاصة في العلوم الدينية، ومن أهم عوامل هذا التطور ظهور دعوة المهدي ابن تومرت ونشأة دولة الموحدين على أسس اعتقاديه وسياسية وتشريعية وأخلاقية، مما أدى إلى تحولات عميقة في سائر المجالات[2]،فازدادت العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط ومختلف الأقطار الإسلامية الأخرى قوة ونشاطاً وتواصلت حركة هجرة العلماء من الأندلس إلى أقطار المغرب، مما ساعد على انتشار العلم بالمغرب الأوسط، فنبغ فيه كثير من العلماء الذين نبه ذكرهم وتركوا تأليف مفيدة[3].

ويمكن القول أن الحياة الفكرية في المغرب الأوسط حظيت بعناية قصوى بفضل تشجيع خلفاء الموحدين وولاتهم، ولا سيما ان أغلبهم كان لهم نصيب وافر في العلم، وكانوا يُرحِبُون بالعلماء والشُعراء والكتاب، ويعينونهم في القضاء او الدوّاوين، ويجرون عليهم الارزاق[4]،فقد كان شأنها الذي استطال زهاء قرن ونصف من الزمان من أحفل عصور التاريخ الاندلسي والمغربي[5]،رغم المطاردة الفكرية التي كانت تشهدها من حين لآخر إلا أنها كانت حامية للعلوم والآداب والفنون.

---

(1)-عبد الله كنون، المرجع السابق، ص68.

(2)-عبد الحميد حاجيات ،دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي،ج1،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،2011، ص169.

(3)-نفسه، ص340.

(4)-عبد الحميد حاجيات، دراسات..، المرجع السابق، ص340.

(5)-محمد عبد الله عنان، القسم الأول، المرجع السابق، ص645.

وإن المعاملة الحسنة التي عامل بها الخلفاء الموحدون العلماء والفقهاء لم يحظ بها كل الفقهاء من آل المذاهب بل اقتصرت على الفقهاء السائرين على نهج الموحدين والباحثين في عقيدتهم .وعُومِل غيرهم بقسوة حتى أنهم خرجوا من البلاد خوفاً من بطش الخلفاء وظلمهم[1]،ولقد كان مؤسس الدولة الموحدية الروحي من أقطاب علماء عصره، وقد أفسح في دعوته للعلم أيما مكانة ،وحض على تحصيله بقوة وحماسة في عبارته المشهورة، التي تفتتح بها كتابه وهي:" أعز ما يطلب "[2]،وأفضل ما يكسب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير، هو أعز المطالب وأفضل المكاسب وأنفس الذخائر وأحسن الأعمال[3]"جمع فيه تراثه الفكري والديني، والثاني كتاب "موطأ الإمام المهدي "وقد وضعه في العبادات والمعاملات والحدود، او بعبارة أخرى في علم الفروع[4]،على مثل موطأ الإمام مالك، وكانت كتبه تنتشر بين قومه بالبربرية لغتهم القومية، فيزداد بذلك نفوذها وتأثيرها.

وقد كان من أعظم مزاياه العلمية مقدرته البّارزة في اتقان اللغتّين العربية والبربرية، وكان وعظُه ومخاطبتُه لقومه بالبربرية ينفذ إلى قلوبهم وتزيدهم تعلقاً وتعمل على توطيد مكانته الدينية والسياسية وكانت كتبه بعد القرآن الكريم والسُنة الشريفة، وهي اشد الكتب الدينية احتراماً بين أقوامه الموحدين على اختلاف قبائلهم نظراً لكتابتها بالبربرية، كانت ذائعة وكانت في متناول كل إنسان[5]،كانت دعوته المناهضة للمرابطين والمستمدة أصولها من آراء المعتزلة حول صفات الله تعالى المتمثلة على الخصوص في نظرية التوحيد[6].

---

[1]-علي أحمد، الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري،ط1، دارطلاسللدراساتوالترجمةوالنشردمشق،1989. ص8

[2]-ابن تومرت، أعز ما يطلب، تقديم وتصحيح: عمار طالبي،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985 ،ص3.

[3]-محمد عبد الله عنان، القسم الأول، المرجع السابق، ، ص200.

[4]- نفسه، ص199.

[5]- نفسه، ص217.

[6]-نظرية التوحيد: كلمة التوحيد حققت الإيمان واحتوته، وهذه الكلمة عنوان الإسلام وأساسه، ينظر: محمد سليمان الأشقر، العقيدة في الله،ط12،دار النفائس للنشر والتوزيع،1419هـ/1999م، ص256 ،وعبد المحسن بن محمد العباد البدر، قطف الجني الداني ،شرح مقدمة رسالة ابن زيد القيرواني،ط2،منارالسبيل،الجزائر، ،2003،ص26،وعبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين،1997،بيروت، ص57.

وإنكار كل ما يشعر فكرة التجسيم[1]،واعتمد فيما يخصُ الجانب التشريعي على ظاهر نُصوص القرآن الكريم والحديث الشريف آخذ في هذا المجال بالمذهب الظاهري[2]،ومتهماً فقهاء المذّهب المالكي بالانقطاع لدراسة كتب الفروع وإهمال النظر في القرآن والحديث لاستخراج الأحكام الشرعية[3]،أعانه على نشر فكرته بالمغرب رجلان هما: أبو محمد عبد الله بن محسن الونشريسي[4]نسبة إلى جبل ونشريس بجنوب بلدة الشلف، وكان عالماً فصيحاً باللغتين العربية والبربرية، توفي في حصار مراكش سنة524هـ/1129م أي في نفس السنة التي توفي فيها ابن تومرت،وكان عبد المؤمن[5]ابن علي التاجري[6] الكومي[7].

كان الرجل الثاني الذي جمعه القدر بابن تومرت ببجاية حين كان يقود حملته المعروفة ضد المنكر، وكيف آنس فيه ابن تومرت نجابة وذكاء وشعر أنه سوف يغدو أعظم معاونه، وكيف استطاع ان يقنعه بالبقاء الى جانبه لطلب العلم على يديه ويعاونه فيما هو قائم به:" من إماتة المنكر واحياء العلم وإخماد البدع"[8]،وكان شأنها شأن الدولة المرابطين بعدما ورثت عن العبيدين ما ورثت، وحاولت أن تقتلع المذهب الباطني الشيعي من جذوره، هو أول خلفاء بن تومرت ومؤسس الدولة الموحدية الحقيقي وموطد دعائمها، كذلك كان عالماً من ألمع علماء عصره، يلتف حوله

---

[1]–عبد الله علي علام، الدولةالموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي،دار المعارف بمصر،1971 ،ص143–161.

[2]–المذهب الظاهري: أشتهر على يد الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد، ابن حزم القرطبي في أوائل القرن الخامس الهجري، مؤسسه هو خلف بن داود الأصفهاني المتوفي سنة270هـ،قد وضع أسسه في نحو القرن الثالث، وخلاصتها أنه يجب في صوغ أحكام الشريعة أن يرجع فقط إلى ظاهر القرآن الكريم والسنة الشريفة أي الحديث، وألا يُؤخذ في ذلك بالرأي أو القياس، وأن يبقى الإجماع محصوراً في إجماع صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ينظر: محمد المستنصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الحسيني،1332– 1419هـ، معجم فقه ابن حزم الظاهري، إخراج واعتناء: محمد حمزة بن علي الكتاني،ج1–2،(أ.ذ)،دار الكتب العلمية ،ط1، بيروت،2009،ص**9**.

[3]–يلاحظ أن هذا الرأي لم يدخل في حيز التطبيق إلا في عهد يعقوب المنصور الذي حاول فرض المذهب الظاهري في المغرب الإسلامي، ينظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، القسم الأول، ص239–241.

[4]– عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج1، ص4.

[5]– كان مولده سنة سبع وثمانين وأربعمائة، بأعمال تلمسان ينظر: علي محمد الصلابي، ،دولة الموحدين،_صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الافريقي ط1 ،1428هـ/2007م،دارابن الجوزي ،مصر،ص68،وصالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي، مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، ،الجزائر،1991، ص9.

[6]–التاجري: ضيعة من أعمال تلمسان على سواحل البحر بنواحي ندرومة على نحو ثلاث أميال من مرسى هنين، ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج1، ص7.

[7]–كومية: التي تعتبر احدى بطون بني فاتن الذين يجتمعون بدورهم مع قبيلة زناتة في ضري ابن زجيك من سلسلة البربر البتر، ينظر: صالح بن قربة، المرجع السابق، ص5.

[8]–محمد عبد الله عنان،، القسم الأول، المرجع السابق ، ص224.

العلماء والكتاب والشعراء ،يبسط عليهم رعايته ويغمرهم بصلاته، وهو الذي نظم جماعة الحفاظ الموحدين وعني بأمرها أشد عناية حتى بلغت في أيامه نحو ثلاث آلاف حافظ يدرسون كتب بن تومرت وتعاليمها،

قد تولى الكثير منهم فيما بعد مناصب هامة بالمغرب والأندلس[1]،وكان الخليفة أبو يعقوب[2] يوسف بن عبد المؤمن من أكابر علماء عصره أديبا متمكناً وفقيهاً ومحدثاً بارعاً في نفس الوقت بالدراسات الفلسفية، وكان ولده الخليفة يعقوب المنصور عالماً مستنيراً متمكناً من الحديث والفقه واللغة، كان مثل أبيه وجده، يجمع حوله العلماء والأدباء والشعراء من المغرب والأندلس، ويجزل صلتهم ويجري المرتبات على الفقهاء والطلبة وفقاً لمراتبهم وطبقاتهم[3]،نجد حتى في أواخر الدولة الموحدية حينما شاخت وأدركها الوهن في الخلفاء الموحدين من يتسم بالصفات العلمية البارزة، فقد كان الخليفة المأمون ابن المنصور[4]عالماً متمكناً في اللغة والأدب والشعر، وكان كاتباً مقتدراً.

كان الخليفة المرتضى لأمر الله[5]، فقيهاً وأديباً وشاعراً، كانت هذه الصفات العلمية لأواخر الخلفاء بالرغم ما كانت تتردى فيه الدولة من الفتن والحروب الأهلية[6]،وكان لهذه النزعة العلمية التي غلبت على معظم الخلفاء أثر كبير فما جرت عليه طوال أيامها، ولا يمكن أن ننسى الدور الفعال الذي لعبته الأندلس وهي إحدى ولايات الإمبراطورية في إذكاء الحركة الفكرية بالغرب الإسلامي، لقد عرف أمراء المغرب الأوسط من بني عبد الواد وذلك ابتداء من مؤسس الدولة بنصرتهم للعلم وتأييدهم للعلماء، وعرفوا أيضا مشاركتهم للعامة في الاحتفاء بهم وتبجيلهم، فان كتب التراجم وكتب التاريخ، ولا سيما كتاب" نظم الدر والعقيان" لمحمد التنسي، حافلة بإخبار

---

[1]- نفسه، القسم الثاني، ص646.

[2]-أبو يعقوب يوسف:580هـ-595هـ/1184م-1199م،وتعتبر السنوات الخمس عشر التي حكمها ثالث الخلفاء الموحدين ،العصر الذهبي للدولة الموحدية، ينظر: حسين مؤنس ،معالم، المرجع السابق،ص،223.

[3]-يعقوب المنصور: ولد بمراكش سنة 555هـ/1160م، بويع يوم الأحد 19 ربيع الآخرسنة580هـ، ،الموافق لـ 30 يوليوز1184م،أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص216، 217.

[4]-المأمون بن المنصور: هو أو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، كان فصيحاً اللسان ضابطاً للحديث الشريف، حسن الصوت ،ينظر: ابن خلدون ،المصدر السابق،ج6،ص339.

[5]-المرتضى لأمر الله: هو أبو حفص عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، بويع بعد موت السعيد، عقد له البيعة برباط الفتح وأرتحل إلى مراكش واخذ البعة عن أهلها،ينظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق،ص122، وابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص348.

[6]-محمد عبد الله عنان، القسم الثاني، المرجع السابق، ،ص646.

المدارس التي شيدها أولئك الملوك وبإخبار حفاوتهم بأهل العلم، من سكان القطر، والقادمين من الخارج على حد السواء، وحضورهم دروس الأساتذة منهم، وتشييع جنائزهم.

نقلت لنا تلك الكتب أخبار المهرجانات الشعرية التي كان ينظمها الملوك كل سنة عند حلول ليلة المولد النبوي[1]،ولماّ بويع أمير المسلمين يغمراسن بن زيان[2]،كان كثيرا ما يجالس الصلحاء ويكثر من زيارتهم وله في العلم رغبة عالية يبحث عليهم أين ما كانوا ويستقدمهم إلى بلده ويقابلهم بما هم أهله ومن أعلم من كان في زمانه أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي[3].

كما يعتبر كذلك أول من دشن تشجيع الحركة الفكرية والتعليمية بتلمسان، وعقد المجالس العلمية في قصره إلى جانب اهتمامه بالمذهب المالكي[4].وكما حرص أن يتبع أولاده وأحفاده من بعده على النهج الذي رسمه لدولة بني عبد الواد حتى تكون قبلة للعلم والعلماء ،يأتونها من كل مكان طلباً للمعرفة على اختلافها وتعدد مجالاتها، قد تمثلت جهودهم في تحرير الأفكار من الركود وتنشيط الحركة الفكرية بالعاصمة الزيانية، فقد كانوا يشرفون في بعض الأحيان على المجالس والمنابر التي تلقي فيها الدروس العلمية التي تتعلق بالعقيدة والتاريخ والعلوم العقلية الأخرى، كما كان الحال في عهد أسلافهم الموحدين الذين تميزوا بالاجتهاد وحرية الفكر في المسائل المتعلقة بالمعتقدات والفقهيات مما أثر في النهضة الفكرية بتلمسان وبمختلف التيارات السائدة آنذاك[5]، فقد كان السلطان أبو حمّو موسى الأوّل[6] صاحب آثار حميدة وسير حسنة ومحبّاً في العلم وأهله ،ورد عليه بعد موت يوسف بن يعقوب الفقيهان العالمان أبو زيد وأبو موسى ابنا الإمام[7] من برشك[8]،فلم يرما يؤدي به شكر الله على النعمة التي مَنّ الله عليه بها من قتل عدوه، وتعجيل الفرح إلا الاعتناء

---

(1)- محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9هـ/15م،الشركةالوطنية،الجزائر ، 1982، ص53.

(2)- يغمراسن بن زيان: تولى حكم تلمسان عاصمة الزيانيين من سنة 633هـ/1236م إلسنة681هـ/1283م ،ينظر: محمد بن عبد الله التنسي،(899هـ/1493م)،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر_والعقيان في بيان شرف بني زيان ،تحقيق: محمود بوعياد،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1985،ص115

(3)- أبوإسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي:الإمام العالم الفقيه،ينظر :محمد بن محمد مخلوف،(ت1360هـ)شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي (جزآن)،دار الكتب العالمية،ط1، 1424هـ/2003م،بيروت لبنان، ص218.

(4)- ألفرد بل، المرجع السابق ، ص 312.

4- محمد زلاقي، شعر المولديات في المغرب الإسلامي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1990 ، ص37.

(6)- أبو حمو موسى الأول: تولى الحكم من سنة707هـ /1308م إلى 717هـ /1318م كان مشهورا بالحزم والشجاعة والإقدام ولتقوى وحب العلم، ينظر: التنسي ،المصدر السابق، ص132.

(7)- يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص 130.

(8)- G.Marcais,Tlemcen les villes d'art célèbres, Edition du Tell, Algérie, 2003-p46.

بالعلم والقيام بحقه فأكرم مثواهما واحتفى بهما وبنى لهما المدرسة التي تسمى بهماوكان يكثر من مجالستهما والاقتداء بهما[1]،فما كان عليه هو كذلك إلا أن يسلك طريق العلم والاعتناء بالفقهاء وغيرهم من طلاب العلم والمعرفة والتقرب إليهم ومجالستهم، وتقديم يد المساعدة من أجل إشعاع نور المعرفة تلمسان وحواضرها لما بويع أبي حمو الثاني[2].

كان بلاطه زاخراً بكبار العلماء والأدباء[3]، يعقد بحضورهم المجالس العلمية الّتي تناقش فيها مختلف قضايا العلم والفقه والأدب والسيرة النبوية، وكان له فيها رأي محمود ونقد بنّاء[4]. اعتنى بالعلم وأهله وفي دولته كان الإمام العالم المتفنن وعالم الشرفاء أبو عبد الله محمد بن حمود[5]،فكان له محباً ومعظماً إذ كان واحد عصره ديناً وعلماً وعقلاً انتفع به الناس حياً و بتصانيفه ميتاً وقدمه للتدريس، وحضر مجلس إقرائه فيها جالساً على الحصير وتواضعا للعلم وإكراما له ،ولعل أهم ما ميّز عهده ومجلسه بالخصوص هو احتفاله بليلة المولد النبوي الشريف، والّتي ظهرت في عهده فقد كان يقيمها في بلاطه بقصر المشور[6]، فكانت عبارة عن مجالس أدبية تُعدُّ من أَجلِّ المجالس وأقدسها[7]،وكان أبي تاشفين الأول[8]يحرص كل الحرص على إقامة المجالس العلمية والأدبية في قصره المشور والّذي أتخذه مقرّا رسميا له كأسلافه، رغم تلك القصور الّتي شيّدها، وكان يحضرها باستمرار وتدار فيها المناقشات بين الفقهاء، والعلماء والأدباء، لعب فيها الشيخ الفقيه العالم أبو

---

[1]- محمد بن عبدالله التنسي، المصدر السابق ، ص139

[2]- أبو حمو موسى الثاني: تولى الحكم في الفترة ما بين 760هـ /1359م إلى791هـ /1589م بويع بتلمسان في شهر ربيع الأول،مولده بغرناطة من الأندلس،ينظر: إسماعيل ابن الأحمر (ت807هـ) روضة_النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط المطبعة الملكية،1991،ص54

[3]- محمد بن عمرو الطمار، تاريخ ... المرجع السابق ص322

[4]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان ...، ج2،المرجع السابق، ص319.

[5]- أبو عبد الله محمد بن حمود: امام وعالم بتلمسان، بل إمام المغرب قاطبة وعلامته ، ينظر: أبوعبد الله محمد بن أحمد ابن مريم،(كان حيا سنة 1014هـ/1605م)،البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب ،ديوان المطبوعات الجامعة،الجزائر ،1986م،ص164.

[6]- قصر المشور: هو على شكل قلعة محصنة مستطيلة الشكل، تقع جنوب المدينة، طول ضلعها 490م وعرضه280م، بناه يغمراسن بن زيان سنة 650/ 1145، وسماه مشورا –مشتق من الشورى ومعناه المكان الّذي يعقد فيه أمراء تلمسان مجالسهم، ينظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان، المرجع السابق، ج1،ص114.

[7]- بوزياني الدراجي ،نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1993، ص284.

[8]- أبو تاشفين الأول: بويع بتلمسان بعد أبيه في شهر جمادى الثانية سنة718هـ ،ينظر: عبد الله التنسي، المصدر السابق،ص139،إسماعيل ابن الأحمر، المصدر السابق، ص51.

موسى بن عمران المشذالي[1]،دوراً بالغ الأهمية بين أقرانه الفقهاء في المسائل الفقهية، الّتي كانت محور الحديث والنقاش وحول التقليد والاجتهاد وأصول المذهب المالكي، الذي أكرم هذا السلطان نزله وقربه لنفسه.

وهذا خير دليل على مدى تقدير سلاطين بني زيان للعلم والعلماء ورغبتهم في نشره في دولتهم الأمر الذي جعل تلمسان تضاهي حواضر العالم الإسلامي آنذاك في الميادين الثقافية والعلمية، هذا وأثناء استيلاء المرنيين على المغرب الأوسط لم يهملوا تلك العناية بالحركة العلمية التي أرسى قواعدها الزيانيون بل صاروا على النهج الذي رسمه بنو زيان، في تشجيع العلم والعلماء، فكان أول عملقام به " أبو الحسن المريني"[2] حين استولى على تلمسان أن ضّم إلى مجلسه العلميكثير من علماءها كابني الإمام اللذين حظيا بعنايته ،وكما استقدم أبا عبد الله الآبلي[3] وحلَّى به مجلسه واستخلصه في طبقة علمائه ، إضافة إلى الكثير من العلماء والفقهاء الذين أصطحبهم معه إلى تونس ، من بلاد المغرب الأوسط، وقد سار ابنه" أبو فارس عنان[4] "على نهجه، اتجاه الحياة العلمية.

- الرحلة إلى طلب العلم

إن تقدير الجهد الذي بذله المسلمون في القرون الأولى لوضع أسس العلوم الإسلامية ونشرها في أطراف العالم الإسلامي المترامية، يبدو من أصعب المهام، هذا الهدف الذي تحمل من أجله علماء وطلبة المسلمين متاعب الترحال والغربة بوسائل وإمكانيات محدودة، جابوا بواسطتها أرجاء العالم الإسلامي من أجل طلب العلم ونشره، حتى غدت الرحلة من أهم وسائل طلب العلم ونشر المعرفة لديهم[5]، وقد حّر المسلمون وهم يترجمون علوم الحضارات القديمة على الاهتمام بعلوم دينهم، فاهتموا بالرواية الصحيحة والسند الثابت من المنابع الأصلية للسُّنة والتشريع، ولعل السبب في تنوع المعارف عند المسلمين هو الدعوة القرآنية والتوجيه الرباني الذي يدعوا إلى العلم والمعرفة[6].

---

(1)- نزيل تلمسان، كان فقيها حافظا علامة محققا كبيرا، درس بتلمسان، ولد 670هـ وتوفي 745هـ ،ينظر:_احمد بابا التنبكتي ،كفاية المحتاج،ج1 ،المصدر السابق،ص290-293.

(2)- بويع بعد أبيه يوم الجمعة 25 ذي القعدة سنة731هـ،ينظر:إسماعيل بن الأحمر، المصدر السابق، ص25.

(3)-أبو عبد الله الآبلي: محمد بن إبراهيم العبدري التلمساني، ولد 681هـ1282م ،ينظر:يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1،ص120،وعادل نويهض، المرجع السابق، ص12،وابن مريم، المصدرالسابق،ص214 ،و التنبكتي ،نيل الابتهاج،ج2،المصدر السابق، ص66،وكفاية المحتاج،ج2،المصدر السابق، ص53.

(4)- بويع في تلمسان في حياة أبيه يوم الثلاثاء ربيع الأول من عام 749، ينظر: إسماعيل بن الأحمر، المصدر السابق، ص27.

(5)-بشير مضان التليسي، المرجع السابق، ص185.

(6)-نفسه، ص186.

ويذكر ابن خلدون قائلاً: " في أنّ الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم والسبب في ذلك أنّ البشّر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعلماً وإلقاء وتارة مُحاكاة وتلقيناً بالمباشرة[1]"،إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً واقوى رسوخاً، وكان التجوال في سبيل الدراسة والعلم أمرا شائعا بين طلاب العلم في المغرب الأوسط مثلما كان شائعا في الشرق والغرب في العصور الوسطى، فقد كان الحرص على لقاء الشيوخ والأساتذة المشهورين هو الغرض الأول من الرحلة في طلب العلم، وتحتل فكرة ضرورة الأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس إليه أهمية كبرى في التعليم في تلك الفترة، فلم يكن يكتفي الطالب بقراءة مصنفات الأستاذ وحده وإنما كان لابد أن يقرأها أو يسمعها منه حتى يعتبر ثقة في مادته، وحجة في عمله، وبدون ذلك لا تصح روايته ولا يوثق بقوله[2].

لم يكن المغرب الأوسط بعيداً عن التطورات السياسية، ولا علماءه بمعزل عن التحولات الثقافية والفكرية التي يعيشها العالم الإسلامي بشقيه الشرقي والغربي، ولم ينفّكوا البتة بربطهم اتصالات متعددة الأوجه بنظرائهم من عواصم الأندلس والمغرب والمشرق على وجه العموم.

عمل الرستميون على توثيق علاقات الثقافية والدينية بمختلف البيئات العلمية والاحتكاك بمراكز الثقافة في العالم الإسلامي، فموقع تاهرت مكّنها من أن تلعب دور الوسيط بين حواضر ومراكز الإشعاع الحضاري في المغرب الإسلامي، ورغم الصّراع والاختّلاف المذّهبي بينها وبين القيروان لم يكن حائلاً دون إقامة جسر من التواصل الفكري والثقافي بين الحاضرتين[3]،فقد تواجد أهل القيروان بها بالمسجد الخاص بهم ورحبتهم، وساهموا في الحياة الفكرية للدولة، ودخلوا في مناظرات مع علماء الإباضية وغيرهم.

قامت بعلاقات ثقافية بالأمويين بالأندلس إلى جانب العلاقات السياسية والاقتصادية وكانت الرحلات المتبادلة بين علماء الأندلس وعلمائها من أهم الروابط التي ربطت بين القطرين ثقافياً،حيث تزودنا كتب التراجم بعدد غير قليل من العلماء الذين رحلوا من بلاد الأندلس إلى تاهرت،وبالعكس لطلب العلم والتزود به،فعلى سبيل المثال من علماء تاهرت الراحلين الى الاندلس عبد الرحمن بن

[1]-عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص744.

[2]-محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية، أصولها وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب1987، ص30.

[3]-تالية سعدو، الحركة الفكرية بالدولة الرستمية واسهام المرأة الاباضية فيها، مجلة عصور الجديدة، مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي، تاريخ الجزائر،العدد1،جامعة وهران،الجزائر،2011،ص67، ومحمد عليلي، الاشعاع... ،المرجع السابق، ص74.

حماد التاهرتي[1]،ووفد عليها عدد غير قليل من الأندلسيين حيث يطلعنا مؤرخو الإباضية على شخصين أندلسيين كانتا بها عند وفاة عبد الرحمن بن رستم سنة 171هـ،هما مسعود الأندلسي[2]وعمران بن مروان الأندلسي[3]،انهما من الشخصيات المترشحة [4]للإمامة بعده، فقد لعب التنوع السكاني إلى تعدد الثقافات وكان له الأثر في بناء حضارة ذات مشارب مختلفة في ظل المذهب الإباضي.

ولعل الوصف الذي وصف به المقدسي تاهرت يدل على ما أدخله هؤلاء الوافدين عليها من ثقافة شملت جميع مظاهر الحياة إذ وصفها بقوله:هي بلخ المغرب...انتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب يفضلونها على دمشق واختطوا،وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا[5]،أما الرحلة بين تاهرت والمشرق فكانت في الغالب من أتباع المذهب الإباضي الذين قدموا من البصرة والكوفة حتى غدت تعرف ببلخ المغرب أو عراق المغرب، وقد كان هذا ما تذكره المصادر التاريخية الإسلامية حول عاصمة بني رستم وكيف كانت علاقتهم مع الدول الإسلامية الأخرى التي لا تتبع الإباضية مذهباً.

وكان القادمون إليها من الكثرة بحيث بنوا مساجدهم خاصة بهم عرفت بأسمائهم وهذا ما أورده ابن الصغير بقوله:" وانتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار، ليس لأحد ينزل بهم من الغرباء" إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته، وأمانه على نفسه وماله، حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين[6].

---

[1]-عبد الرحمن بن حماد التاهرتي: من أهل القيروان، يكنى أبا زيد، قدم الأندلس، حدث عن أبيه، وكتب عن غير واحد من شعر أبيه، ومن حديثه ،توفي بقرطبة،ينظر :_أبوالوليد عبد الله بن محمد، المعروف بابن الفرضي ،351-403هـ، تاريخ علماء الاندلس، ج1،حققه:بشار عواد معروف، ط1،دار الغرب الإسلامي،1429هـ /2008م،ص357.

[2]-مسعود الأندلسي: أحد الفقهاء الفضلاء الذين عرفتهم تاهرت،ينظر: أبو العباس الدرجيني، المصدر السابق،ج1، ص 46،ومحمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص108

[3]-عمرن بن مروان:أحد علماء الإباضية في الدولة الرستمية ،عاصر الإمام عبد الرحمن بن رستم وكان على درجة عالية من الصلاح والورع والعلم، ينظر: سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني، المرجع السابق، ص99.

[4]-أبو العباس الدرجيني، المصدر السابق،ج1، ص46 .

[5]-شمس الدين أبو عبد الله المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،تعليق: محمد امين الضناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،بيرت،لبنان،ط1، 2003، ص185.

[6]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص31-35.

لقد عرفت الرحلة في الغالب نحو المشرق بتحقيق هدفين:أولهما تأدية فريضة الحج باعتباره ركن من اركان الإسلام خصواً بالنسبة للمغاربة البربر الذي حسن إسلامهم ،وثانيها: علمي حيث كانت القوافل تخرج من تاهرت لأداء فريضة الحج،ولا شك أن تلك القوافل من الحجاج كانت لها اتصالات مع مشايخ المشرق وعلمائه[1]، فقد كان لمحمد ابن محبوب وابنه من علماء المشرق في خيام تعرف بمضارب محبوب وكان يقصدها المغاربة لأخذ العلم[2]، كما كانت رحلات للعلماء طلباً للعلم نذكر منها رحلة بكر بن حماد[3] ، الذي رحل إلى المشرق ودخل البصرة وبغداد،وكانت له اتصالات بعلماء عصره[4].

تذكر المصّادر التي اعتّمدا عليها في هذا العلم الكثير من هؤلاء العلماء الذّين اتخذّوا الرحلة سبيلا للاستزّادة من المعرفة، وكما يبدو أن طبيعة العصر الذي عاشته الدولة الرستمية قد فرض عليها هذا الاتجاه، فأوفدت الوفود إلى المشرق وغيرها من البلاد الإسلامية فيرجعون مزودين بالعلوم،وقد سهل مهمة الانتقال بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه كان المسلم يستطيع أن يرتحل في داخل حدود هذه المملكة في ظل دينه وتحت رايته، وفيها يجد الناس يعبدون الإله الواحد الذي يعبده، ويصلون كما يصلي، وكذلك يجد شريعة واحدة وعرفاً واحداً، وعادات واحدة، وكان يوجد في هذه المملكة الإسلامية قانون عملي يضمن للمسلم حق المواطن.

بحيث يكون آمناً على حريته الشخصية أن يمسها أحد، وبحيث لا يستطيع أحد أن يسترقه على أي صورة من الصور[5]، فأصبحت الرحلة وخاصة في طلب العلم تقليداً علمياً ساد بلاد المغرب كلها، ولعل السبب في ذلك يرجع على أن العلماء لا ينالون شُهرة إلا اذا ارتحلوا في طلب العلم، ومُلاقاة العلماء والأخذ عنهم، إذ إن العالم يظل مغموراً ما لم يصل نفسه أو يرتحل لطلب العلم[6]، والكثير منهم شدّ الرحال إلى أرض الإسلام خوفاً من بطش العبيدين ومضايقتهم للفقهاء وأصحاب المعرفة التي تخالف مذهبهم الشيعي مع مطلع القرن الرابع الهجري ،الموافق للقرن العاشر للميلاد.

---

(1)-بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص392.

(2)- نفسه، ص392.

(3)-بكر بن حماد:عالماً بالحديث وشاعراً تاهرتي المولد،رحل الى المشرق طلباً للعلم في سنة217ه،ينظر:ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص153، 154.

(4)-نفسه، ص154.

(5)-آدم ميتز،المرجع السابق، ج1، ص22.

(6)-بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص221.

ساهمت عوامل أخرى في انتقال الثقافة من المشرق إلى المغرب خلال القرن الرابع الهجري، من ذلك حرية التنقل بين أرجاء البلاد الإسلامية. كما كان لقاء المسلمين بالبقاع المقدسة خاصة في موسم الحج فرصة للتبادل الفكري، علما أن رحلة الحجيج كانت تطول في غالب الأحيان، لما يتخللها من توقف بالحواضر الكبرى أثناء الذهاب والإياب، لغرض الاحتكاك بأهل العلم فيها، كما تشير إلى ذلك كتب التراجم[1]،وكانت بلاد المغرب منفتحة على ثقافة المشرق،ولم تترك وسيلة من الوسائل لجلب المعرفة والثقافة إلا احضرتها وعن طريق ما يفد من جديد على حاضرة بلاد المغرب، ينتشر إلى حواضر بلاد المغرب الأخرى[2]، لذا كانت الثقافة الإسلامية الوافدة من المشرق إلى بلاد المغرب متنوعة وشاملة لكل مجالات الحياة.

ولعل أبسط ما يؤكد التواصل بين الاندلسيين وبين المغاربة هو تلك الرحلة التي يقوم بها عرب الأندلس إلى الحج حيث كانوا يتوقفون في مدن بلاد المغرب للرحلة وحضور مجالس العلم وبخاصة بالقيروان التي اشتهرت باستقطاب العلماء من جميع انحاء بلاد المغرب،وقد توطدت الرحلة بين أهل العدوتين التي كان هدفها علمياً في أغلب الأحيان ،فتوطدت الصلات وتلاقح الثقافة بين العدوتين، وقد ساعد على ذلك أن المغاربة يعتبرون الأندلس امتداداً طبيعياً لهم، لذا حرصوا أشد الحرص على المحافظة عليه[3].

ومن هنا يمكن القول إن الرحلة التاريخية لعبد الله الشيعي من اليمن إلى قبيلة كتامة، والتي ساهمت بدورها إلى جمع جيش من الدعاة في اغلب أقطار العالم الإسلامي لنشر العلوم التي تخدم المذهب الباطني الإسماعيلي، وكذا لعودة عبيد الله المدعو بالمهدي إلى أرض المغرب الإسلامي من سلمية مرورا بسجلماسة الدور المهم في نشر تعاليم المذهب، ويشير إلى ذلك القاضي النعمان في افتتاح الدعوة والمجالس والمسّايرات، والمقريزي في اتعاظ الحنفا، والكثير من الدراسات التاريخية الحديثة سواء سُنية أو شيعية.

ولما تربع الحماديون على عرش المغرب الأوسط خلفا للعبديين الذين رحلوا إلى المشرق، أولوا بدورهم اهتماما للحياة العلمية، فحرصوا على أخذ العلم من منابعه، عن طريق الرحلة التي كانت

---

(1)- نفسه، ص 221-228.

(2)- نفسه، ص224.

(3)- بشير رمضان التليسي،المرجع السابق، ص237.

ظاهرة عامة في العالم الإسلامي آنذاك، وأكدت ذلك المصادر التي أرخت لهذه الفترة حيث كانت حركة الانتقال المتاحة بين العواصم الإسلامية والتي غلب عليها طابع البعثات والرحلات العليمة.

كانت الرحلة من أبرز العوامل في إذكاء روح النشاط الثقافي وهي ظاهرة عامة في العالم الإسلامي كله في هذه العصور بدرجات متفاوتة، ولربما كانت في عالمي الأندلس والمغرب على نحو يفوق المشرق، لشعور المشارقة بأنهم الأصل الذي يسعى إليه وأيضا لشعور المغاربة بمكانة المشارقة أهل الرسالة والرسول–عليه الصلاة والسلام[1]، فلم تضع حدود الأقاليم حواجز وفواصل في سبيل الادباء والعلماء والكتاب والشعراء[2]،وهذه إشارة إلى الحرية التي تلقاها العلماء على اختلاف تخصصاتهم بهذه الأرض.

ومن بين الرّحالة خلال هذه الفترة أبو الفضل يوسف بن النحوي التوزري (ت513هـ)[3]، الذي بدأت رحلته من قلعة بني حماد، فرحل إلى القيروان،دخل سجلماسة وفاس ثم عاد إلى القلعة،صاحب أبا الحسن اللخمي[4]،وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري (ت 536هـ)[5]،وأبي زكريا الشقراطيسي (ت 466هـ)[6]، ثم توجه إلى المغرب الأوسط، حيث استقر به المقام بالقلعة مؤلفاً ومعلماً،ومن الذين تتلمذوا عليه أبو عبد الله محمد بن علي المكنى بابن

---

(1)– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص250.

(2)–يوهان فك، العربية ،دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي بمصر ،1400هـ/1980م، ص175.

(3)–النحوي: أبو الفضل يوسف بن محمد ابن يوسف من قلعة بني حماد، واصله من توزر، كان من أهل العلم والفضل وعلى هدى السلف الصالح، وكان ممن أنتصر لأبي حامد الغزال بعد فتوى أهل المغرب بإحراق مؤلفه الأحياء، توفي بالقلعة سنة513هـ ،ينظر: ابن الزيات، المصدر السابق،ص95، 96،وعلي بن أبي زرع،المصدر السابق، ص33، 34،وابن مريم، المصدر السابق، ص299.

(4)–اللخمي: هووأبي الحسن علي بن محمد الربعي، ينظر:أبو الحسن اللخمي القيرواني،فتاوى أبي الحسن اللخمي_القيرواني، تحقيق حميد بن محمد لحمر، دار المعرفة، الدار البيضاء، (دت)، ص 20–27، وأبو العباس الغبريني، ص101، والقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، (ت544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مالك، ج8، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، 1403هـ/1983م، وزارة الشؤون الدينية، المغرب، ص109.

(5)–المازري:أبي عبد الله بن محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي،الشيخ الإمام العلامة المتفنن،مصنف كتاب "المعلم لفوائد لشرح مسلم" ومصنف كتاب "إيضاح المحصول" وغيرها من المصنفات،ينظر: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ،الذهبي،(ت748هـ/1374م)، سير أعلام النبلاء، سير أعلام النبلاء، ج20،تحقيق وإخراج شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة،ط11، 1996،ص 104.

(6)–الشقراطيسي:نسبة إلى قلعة بالقرب من قفصة،من أبناء توزر، وهوأبو محمد عبد الله بن يحي بن علي بن زكريا ،له باع في العلم الدينية وفنون الآداب، ينظر:محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 117.

الرمامة (ت 567هـ)[1]، وموسى بن حماد الصنهاجي(ت 535هـ)[2]،الذي ظل بدوره متنقلاً بين عواصم المغرب الإسلامي طالباً للعلم، حيث أنه برز في علوم اللغة والآداب والفقه والحديث والتاريخ، وله مشاركة حسنة في فنون أخرى.

وفي أيام المرابطين تأكدت الصلة بين الأندلس والمغرب الأوسط، وتدعمت العلاقات بين القطرين وقد استفاد المغرب الأوسط كثيراً من الناحية الحضارية، والعلمية إذ الأندلس كانت تزخر بالعلم والعلماء، ثم هجمات النصارى على أراضي المسلمين التي ازدادت خطورة بعد سقوط الدولة الأموية بقرطبة، وتشتت السلطة السياسية أيام ملوك الطوائف، قد أدت إلى هجرة كثير من علماء الأندلس إلى مختلف أقطار المغرب، فكان لذلك أثر ملحوظ في تطور الحياة الدينية، والفكرية بها. أضف إلى ذلك أن ما حل بإفريقية آنذاك من كوارث ،نتيجة قدوم الهلاليين، وهجمات النصارى النورمان ،قد أدى إلى هجرة كثير من أهلها وعلمائها وأدباءها إلى الأقطار الإسلامية الأخرى، من مشرقية ومغربية، فقدم كثير منهم إلى المغرب الأوسط واستوطنوه[3]، لكن اسمهم وسلطتهم الفكرية قد بقيا على مر الزمن بين قبائل المغرب الأوسط، يرثها الابن عن أبيه، وهم عادة أغنياء، من أعيان الطبقة الراقية، كرماء فضلاء أتقياء على معرفة جيدة بالتعاليم الإسلامية، سبق لهم كلهم أن أدوا فريضة الحج إلى مكة مرة أو عدة مرات، ولهم مكانتهم في مجالس الشيوخ الكبار في أوطانهم ويعيشون عادة في عزلة عن العالم وعن الأعمال التجارية، ولا يظهرون إلا لنشر المعرفة وإسداء النصيحة والرفق، وقد أنشأ الكثير منهم مدارس على مقربة من مساكنهم ليعلموا العرب الصغار ويطلق على هؤلاء التلاميذ اسم الطلبة، وهم يحظون أينما حلو باحترام الناس وتقديرهم باعتبارهم ملائكة الصلح والوفاق، يلجأ إليهم طلبا لمساعدتهم أيام الأزمات[4]،نذكر بعض الفقهاء الذي كانوا

---

(1)-ابن رمامة: محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي أبو عبد الله، فقيه من القضاة، وله مشاركة في العلوم الفلسفية، ولد بقلعة بني حماد ،رحل إلى الأندلس ثم انتقل إلى فاس بالمغرب وولى القضاء سنة 536هـ/1143م، ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص 152 – 153،ورابح بونار، المرجع السابق، ص273، وعبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج2، ص305.

(2)-الصنهاجي: موسى بن عبد الرحمن بن حماد فقيهاً حافظاً للرأي ورعاً عالماً، ينظر:ابن بشكوال، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، صلة الصلة، تحقيق شريف أبو العلا العدوى، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ج3، ص 32 ، 33 ، وعبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه،ج1،ص38

(3)-رشيد بورويبة، وآخرون ،المرجع السابق،ص339

(4)-أ.ف.دينزن ،الأميرعبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،2009،.،ص21.

همهم البحث عن العلم وأهله،وعلى سبيل الذكر أبو جعفر أحمد بن علي، ابن غزلون(توفي سنة524هـ)[1]،من أهل تطيلة بالأندلس، روى عن أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي[2]، ونبغ في الحديث، ورحل إلى المغرب واستقر بتلمسان يحدث بها، واخذ عنه كثير من العلماء، توفي بها.

اشتهر علماء كثر في هذه الفترة كابن أبي عرجون التلمساني (توفي سنة534هـ)[3]،فقيه حافظ للفقه، ومحقق فيه ،سمع من أبي علي الغساني وغيره، كان يميل إلى الحديث يحفظ كثير منه،وقد أخذ عنه[4]،ولي القضاء في كثير من مدن المغرب والأندلس وتوفي بتلمسان، والفقيه ابن أبي قنون التلمساني (توفي سنة 557هـ)[5]،الذي رحل إلى الأندلس، وأخذ عن أبي علي الصدفي وغيره، وجال في أقطار المغرب، وولى القضاء بمراكش ،ثم تلمسان[6].

لم يختلف عهدهم بالمغرب الأوسط عن سابقيه في مجال الرحلات العلمية، فقد استمرت التنقلات مشرقاً ومغرباً، حيث شد طلاب المنطقة الرحال خلال القرنين السادس والسابع للهجرة، الموافق للقرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد صوب الحواضر الإسلامية الكبرى، إما حباً في طلب العلم، وإما بدعم وتشجيع من السلطة السياسية الحاكمة، التي عمدت إلى إنشاء مدرسة بمراكش في عهد عبد المؤمن بن علي لتكوين إطارات الدولة[7]، وفق مذهبهم الظاهري[8].

---

(1)-ابن غزلون:من أشهر علماء المغرب الأوسط، ينظر: رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص341.

(2)-سليمان القاضي: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد ابن أيوب بن وارث الباجي، أصلهم من بِطَلْيَوْس ثم انتقلوا على باجة الاندلس، ثم باجة أخري بإفريقية، وباجة أخرى ببلاد أصفهان بالعجم، ومن علماء الأندلس وحفاظها ينظر: ابن فرحون، المصدر السابق، ص198،ابن خلكان، المصدر السابق،ج1، ص407.

(3)-رشيد بوروبة وأخرون، المرجع السابق،ص340،والحاج محمد شاوش،المرجع السابق، ص340

(4)-أبو القاسم بن بشكوال ،المصدر السابق،ج1،(ط 2010)، ص391.

(5)-علي بن أبي قنون: هو أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن عبد الرحمن، اصله من تلمسان وبها درس الفقه المالكي، وروى عن أبي علي الصعدني وابن أبي تليد وأبي عبد الله الخولاني، وتولى خطة قضاء الجماعة بمراكش وبتلمسان، ينظر: والحاج محمد بن رمضان شاوش ،المرجع السابق،ص419.

(6)- رشيد بوروبة وأخرون ،المرجع السابق،ص341.

(7)-ابن السماك العاملي، محمد بن أبي العلاء بن محمد، ت750هـ،الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011، ص227، 228.

(8)-المذهب الظاهري: نشأ بالمشرق على يد أبو سفيان داود بن علي بن خلف الاصبهاني(202- 270هـ/ 817-883م)،الذي كان شافعياً ثم تحول عنه وبنى مذهبه على قوله:" إن المصادر الشرعية هي النصوص ،فلا علم في الإسلام إلا مع النص"، واخذ بظاهر الكتاب والسُنة ،وألغى ما سوى ذلك من رأي وقياس وضيق حدود الإجماع، فلم يأخذ إلا بما أجمع عايه صحابة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ونهى عن التقليد، ودعا إلى دراسة الكتاب والسُنة دراسة تعمق، وتفسيرها حرفياً،و قد انتشر مذهبه ببغداد وبلاد فارس، وقال به قوم قليل بإفريقية والاندلس، وقد وطد دعائمه العالم الأندلسي علي بن أحمد بن حزم (384-446هـ/994-1063م)،ينظر:عبد الهادي حسيس، موقف يعقوب المنصور من الظاهرية،مجلة دار الحديث الحسينية،مطبعة المعارف

ساهمت عوامل في نشاط حركة الرحلة العلمية تمثلت في حرية التنقل بين اقطار المغرب والأندلس بسبب الوحدة السياسية التي فرضتها الدولة الموحدية، وبسبب حفاوة الاستقبال التي كان يلاقيه طلاب العلم حينما حلو[1]،وذلك بتوفير أماكن الإقامة والتكفل بحاجاتهم تطبيقاً لما حث عليه ديننا الحنيف من الاهتمام بطالب العلم[2]،وما رحلة بن تومرت نحو الشرق إلا مثال عن اهم الرحلات المغربية نحو الشرق، وفائدة عظيمة كانت تأتي من مثل تلك الرحلات[3]،ورغم أن ابن تومرت ليس من علماء المغرب الأوسط إلا أنه صاحب الدعوة الموحدية، وجرت له الكثير من الوقائع والأحداث على أرضه، ومدى تأثره في رحلته العلمية باتصاله بعلماء المشرق وبالتغير الذي حدث في شخصيته

فقال ابن خلدون:" وانطلق راجعاً إلى المغرب بحراً متفجراً من العلم، وشهاباً وارياً من الدين"[4]،وكان قد لقي بالمشرق أئمة الاشعرية من أهل السُنة وأخذ عنهم، واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية والذبّ عنها بالحجج العقليّة الدافعة في صدر أهل البدعة، ثم لم يقف به الأمر عند الحدود العلمية، فقد أكتسب أفكاراً وأراء جديدة في السياسة[5]،ولم تكن رحله العودة إلى المغرب رحلة عادية كتلك التي يقوم بها أغلب الحجاج وطلبة العلم المغاربة المتشوقين إلى أوطانهم وأهليهم، ولكنها كانت رحلة عمل جاد لم يتخل عنه في أي مدينة أو قرية مر بها[6]،وان

ذلك العلم النظري الغزير الذي تلقاه من مشايخه، لم يبق مجرد صورة في ذهنه، بل حرك به دواعي العمل، فالتزم في طريق الدعوة بثاً للعلم حتى يرتفع الجهل بالدين، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر حتى يتحقق الشرع في واقع الحياة[7].

الجديدة،الرباط،العدد1981،2،ص315،وأحمد بكير محمود،المدرسة_الظاهرية بالمشرق والمغرب ،ط1، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع،1411ه/1990،بيروت- دمشق، ص5-20.

[1]-عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والاندلس، رسالة دكتوراه، المعهد الوطني للدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1986، ص466.

[2]- نفسه، ص466.

[3]-ابن القطان المراكشي، المصدر السابق،ص61،وأحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب_والأندلس ،مؤسسة شباب الإسكندرية، مصر (د.ت)، ص105

[4]-ابن خلدون ،المصدر السابق،ج6، ص302.

[5]-غلام عبد الله علي ،الدولة الموحدية في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1991م، ص52.

[6]-عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي ،ط1، بيروت، لبنان،1983م، ص84.

[7]- نفسه، ص84.

قام عبد المؤمن بن علي برحلة إلى المشرق من أجل التعلم[1]،فقد درس في كُتاب ومدرسة قريته، حيث قرأ القرآن الكريم[2]،وسار إلى تلمسان، وأخذ عن عالمين من أعظم علماء المدينة القاضي ابن صاحب الصلاة(ت542هـ/1147م)[3]،والشيخ عبد السلام التونسي(ت589هـ/ 1193م)[4]،فرحل بعد ذلك إلى بجاية ناوياً السفر إلى المشرق[5]،ليحج وليواصل دراسته، فغادر مسقط رأسه صحبة عمه يعلو، ومَّرَ بمتيجة ،وواصل بجاية التي كانت آنذاك عاصمة المملكة الحمادية، فنزل بمسجد الريحانة[6]،حيث سمع الناس يتحدثون عن ابن تومرت، فاتجه إليه، وعندما التقاه سأله بن تومرت إلى أين تتجه فقال له إلى المشرق ألتمس فيه علماً، فقال له العلم الذي تريد اقتباسه من المشرق قد وجدته في المغرب[7].

.وليس من السهل إحصاء كل من رحل من المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي رغم ما تقدمه كتب التراجم والسير والتاريخ والأدب، التي تتعرض إلى رحلات هؤلاء العلماء، إلا أننا نعترف بقصورنا على حصرهم، وذلك على لسان المقري بقوله:" إن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال، ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال[8]،فهناك من علماء المغرب

---

[1]-أبو بكر بن علي الصنهاجي،المكنبى بالبيدق، كتاب أخبار المهدي بن تومرت،تحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات،ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1986، ص35.

[2]- أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي،ابن أبي زرع،كان حياً سنة 726هـ/1326م)،الانيس المطرب بروض_القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس_،تحقيق:عبد الوهاب بن منور،دار المنصور للطباعة، الرباط،1972، ص183.

[3]-ابن صاحب الصلاة: من الخطط الدينية الشرعية خطة الصلاة أيصاحب الصلاة والخطبة، وأقدم تاريخ رددفيه هذا اللقب في ما نعلم صاحب الصلاة يرجع إلى أواسط القرن الثالث الهجري وانتشر بعد ذلك سواء في الأندلس أو في إفريقية والمغرب، ويعني بكل وضوح الذي يؤم الناس في صلواتهم، ولعلهم عدلوا عن لقب الإمام المعهود حتى لايشتبه بالإمام الحاكم، ينظر:ابن صاحب الصلاة عبد المالك،المن بالإمامة ،تاريخ_بلاد المغرب الأندلس في عهد الموحدين،تحقيق:عبد الهادي التازي،ط3،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1987، ص7.

[4]-عبد السلام التونسي: أبو محمد، اصله من تونس، نزل تلمسان وبها توفي ودفن بالعباد، كان عارفاً بالمسائل زاهداً في الدنيا، ينظر: ابن الزيات، المصدر السابق، ص110، وابن مريم، المصدر السابق، ص122، والعباس بن إبراهيم السملالي، المرجع السابق،ج8، ص470.

[5]-ابن عذاري المراكشي،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، ومحمد زنيبر، وعبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م، ص80.

[6]-البيدق، المصدر السابق، ص31.

[7]-البيدق، المصدر السابق، ص35، وابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 173.

[8]-ابن رشيد السني، ملء العيبة بما جمع بطول العيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة،ج5، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي،ط1،بيروت،لبنان،1988،ص70.

الأوسط من لم يرحل إلى المشرق إلا بعد أن اكتمل علمه وتحصيله من شيوخه المحليين، وإحساسه بضرورة الهجرة العلمية من أجل تحصيل أوسع وأفضل، وبعد وصوله للمشرق وجد لنفسه مكانة ضمن نخبة علمائها بل وتقلد منهم المناصب العالية

نذكر منهم على سبيل الحصر: أبو عبد الله محرز بن محمد الوهراني[1]،(ت575هـ /1179م)،الملقب ركن الدين، وقيل جمال الدين، أحد الفضلاء، قدم من بلاده إلى الديار المصرية في أيام صلاح الدين، ثم رحل إلى دمشق، في عهد نور الدين محمود بن زنكي، حيث ولي خطابة جامع داريا إحدى قرى دمشق[2]،وهو أديب وصناعته الإنشاء اشتهر بالمنامات الهزلية ،نشأ في وهران[3]، والفقيه علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله(ت652هـ/1254م)[4]،أبو الحسن، من أهل بجاية، ولد بها سنة ست وخمسمائة، وتوفي بها ليلة التاسع والعشرون لجمادي الأخيرة، كان له فضل وعلم وصلاح، رحل إلى الأندلس وبعدها إلى المشرق، واستقر قراره ببجاية، وكان بها يروي ويسمع ويتفقه عليه، وله علو سند في الحديث.

والعالم الرحالة المتنقل بين العدوتين عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفزازي[5] القرطبي (627هـ/1229م بمراكش)، نزل تلمسان وتعلم بها، تجول في المشرق ،وبفاس، ودخل مالقة وغيرها[6]،والعلامة ميمون بن جبارة[7]بن خلفون الفِرْداوي،(ت 584هـ/118م)،رحل الى المشرق وعاد الى بجاية وتوفي بتلمسان، وحمدت سيرته عدلاً وجزالة، انتفع أهلها بإقرائه إياها الأصول، وكان

---

(1)-ابن خلكان ،المصدر السابق،ج4، ص385.

(2)-أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني: الأديب الكاتب،صناعته الإنشاء،ينظر:محمد بن محرز بن محمد الوهراني(ت575هـ)، الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق، تحقيق: صلاح الديم المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي ،1384هـ/1965م ،دمشق،ص4ومابعدها،وابن خلكان ،المصدر السابق،ج4،ص385 ،وعادل نويهض، المرجع السابق، ص350.

(3)-الحافظ الذهبي،748هـ/1347م،العبر في خبر من عبر، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول،ط1، ج3 دار الكتب العلمية،1985، بيروت،لبنان،ص69-70.

(4)-علي بن نصر فتح الله بن عبد الله: الشيخ الفقيه، كان من ظهرت له الكرامات، ينظر: أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص137-142،والتنبكتي، نيل الإبتهاج..ج2،المصدر السابق،ص320.

(5)-عبد الرحمن بن يخلفتن: يكنى أبا زيد،ولد بقرطبة ونشأ بها ثم سكن تلمسان،كان عالماً بالآداب متصرفاً في فنونها كاتباً بليغاً مجوداً وافر المادة قوي المعارضة مشاركاً في أصول الفقه،ذا معرفة بعلم الكلام ناظراً في الفقه،ينظر: التنبكتي،المصدر نفسه، ص238.

(6)-أبو عبد الله ابن عسكر وأبي بكر بن خميس،أعلام مالقة،تقديم وتخريج وتعليق: عبد الله المُرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت،لبنان،1999، ص261.

(7)-أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر الصنهاجي البلنسي ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة ،تحقيق: عبد السلام الهراس،ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1415هـ/1995/، ص197.

يمثل نمطاً كاملاً لمثقفي المغرب الأوسط الذين نالوا من الثقافة الإسلامية في مختلف مراكزها وحواضرها شرقاً وغرباً، فدعته نزعته هذه الى الرحلة العلمية، وكما شهدت المغرب الأوسط في هذه الفترة الشيخ الصوفي أبو مدين شعيب بن الحسين[1]،(520– 594هـ /1126–1197م):تعتبر رحلته دليلاً على أن بعض العلماء لم يتجهوا للرحلة سواء لطلب العلم أو الحج إلا بعد تمكنهم من جملة من العلوم، قصد بيت الله الحرام فحج واعتمر واجتمع بعرفات بالشيخ عبد القادر الجيلاني[2]،ثم دخل بجاية ولم يزل بها يزداد حالة ورفعة ، فاشتهر بهل خبره وعلا في مقام الولاية صيته، ثم بلغ تلمسان عند مكان أعجبه إ سمه العباد[3] حتى توفي هناك.

وتذكر المصادر التاريخية التي ترجمت له ولغيره من علماء وفقهاء المغرب الأوسط خلال الوجود الموحدي انه كان يشرح لمريدي المعرفة وفنونها من الطلبة مختلف العلوم التي أخذها عن مشايخه، ككتاب الرعاية لحقوق الله تعالى للحارث بن أسد المحاسبي[4]،وشرح رسالة القشيري[5]،أو إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وغيرها من أمهات الكتب التي خلفها علماء تلك الفترة من التاريخ الوسيط. كانت ترد على الشيخ الفقيه الصوفي أبو مدين شعيب الفتاوى من مذهب مالك، فيجيب عليها في الوقت، وله مجلس وعظ يتكلم فيه، فتجتمع عليه الناس من كل جهة، تخرج عليه جماعة كثيرة من العلماء والمحدثين وأرباب الأحوال[6].

---

(1)–أبو مدين بن شعيب بن الحسين:الفقيه المحقق، الواصل القطب شيخ مشايخ الإسلام في عصره،ينظر: ابن مريم،المصدر السابق،ص108،والغبريني،المصدر السابق،ص22، وابن الزيات، المصدر السابق، ص319.

(2)–عبد القادر الجيلاني:ولد بجيلان سنة 491هـ،وتوفي سنة 561هـ،قدم بغداد شاباً،ينظر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، كتاب الوافي بالوفيات، ت764هـ، ج19، تحقيق: أحمد الارناؤوط، وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1420هـ/2000م، ص26 ،27، وعبد الرزاق الكيلاني، عبد القادر الجيلاني، الإمام الزاهد القدوة، ط1، 1414هـ/1994م، دار القلم، دمشق، ص75.

(3)–العباد: مدينة صغيرة تقع على الجبل تبعد عن تلمسان بنحو ميل في جهة الجنوب، ينظر: حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص24.

(4)–الحارث بن اسد المحاسبي: عالماً في العقيدة وشافعياً ،ينظر:أبي عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي، ،ت243هـ،الرعاية لحقوق الله تعالى، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا،ط4،دار الكتب العلمية،بيروت،ص5.

(5)–الرسالة القشيرية: هي رسالة جليلة في علم التصوف، وقد اشتملت على تراجم لرجال التصوف وأبحاث في علمهم ومؤلفها، ،وهو أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري ،المتوفي سنة465هـ/1072م،الرسالة القشيرية، وضع حواشيها :خليل المنصور ،دار الكتب العلمية،ط1، بيروت ،لبنان، 2001، ص5، 6.

(6)–شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، ت1401هـ/1631م،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج7، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م ،ص 136، 137.

امتازت العلاقات بين الأندلس والمغرب بالتأثير والتأثر[1]إلى غاية أوائل القرن السابع الهجري، الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي، حين اضطربت شؤّون الأندلس واخذ سلطان حُكامها من الموحدين يتدّاعى وينهار تباعاً في القواعد والثُغور الكبرى بسبب ما أصاب الخلافة الموحدية[2]،وقد كان لهجرة الأندلسيين أثناء الموحدين وبعده إلى تلمسان وغيرها من مدن المغرب الأوسط، أثراً هاماً في هذا التطور فورثت قسطاً وافراً من الحضارة الأندلس ونهلت من معينها الزاخر[3]،وتتجلى هذه الظاهرة في سائر مجالات الحضارة.

قد كثر عدد المهاجرين في العهد الزياني، ولا سيما بعد أن استولى الاسبان على قواعد البلاد مثل طليطلة[4] وقرطبة واشبيلية[5] وسرقسطة[6]وبلنسية[7] وغيره، وأنحصر معظمهم في مملكة غرناطة التي ضاقت بهم فهاجر عدد لا يحصى منهم، وفيهم العلماء والفنانون والأدباء إلى تلمسان التي وجدوا بها علاوة على الحفاوة والإكرام من طرف ملوك بني زيان[8]،وخلال هذه الفترة ظلت الهجرة من الأندلس إلى بلاد المغرب في تزايد ،إلى أن أصبحت تسير بوتيرة متسارعة، مع تزايد اشتداد حروب الاسترداد، وكان مقصدهم في ذلك تلمسان والمغرب الأقصى ثم إلى تونس، وبدخول رحالة الأندلس أصبحت هذه الأقاليم وارثة العلوم الأندلسية[9].

---

[1]-عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر1982،ص127.

[2]-عبد الله عنان ،مدرسة بجاية الأندلسية، وأثرها في أحياء العلوم بالمغرب الأوسط ، مجلة الأصالة، السنة الثالثة، العدد 13، 1973،ص194.

[3]-عبد الحميد حاجيات،أبو حموالزياني، حياته،وآثاره،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1974،ص56

[4]-طليطلة: مدينة تقع في الجنوب الغربي من مدريد، ينظر: الحميري، المصدر السابق،ص394،واليعقوبي، المصدر السابق، ص125،وابن حوقل، المصدر السابق، ص106،وعلي بن سالم الورداني، الرحلة الأندلسية_،تحقيق: عبد الجبار الشريف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر،تونس،1984،ص53.

[5]-اشبيلية: مدينة كبيرة بالأندلس على نهر قرطبة، دار ملك بني عباد،ينظر:اليعقوبي،المصدرالسابق،ص193.

[6]-سرقسطة: من أهم قواعد الأندلس، ينظر: اليعقوبي: المصدر نفسه، ص125.

[7]- بلنسية :تقع شرق الأندلس ،ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص97.

[8]-الحاج محمد بن رمضان شاوش،المرجع السابق،ص401.

[9]-محمد الطاهر بنعاشور، أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الاسلامي، دراسة تاريخية واراء إصلاحية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،2007،ص74.

كان لهذه الهجرة الأندلسية، تأثير كبير على جميع مجالات الحياة الإدارية والاقتصادية الاجتماعية[1]والثقافية لبلاد المغرب الأوسط[2]، وكانت تلك الحركة العلمية الأدبية الجياشة التي قامت بإفريقية في ظل هذه الرعاية، وعلى يد أولئك العلماء النازحين ومنهم جمهرة كبيرة من أساطين الفقه والحديث والأدب واللغة، واستمرت آثار هذه الحركة طوال القرن السابع الهجري، وكانت تلمسان منزلاً مفضلاً لكثير من العلماء النازحين وقد أقاموا بها مدرسة علمية زاهرة، وقد نظموا حلقات تعليم بالمدارس والمساجد وخاصة بالمسجد الجامع.

وكان المسجد قبل هذه الآونة، زيادة على وظيفته الدينية مركزا من مراكز الثقافة العربية والإسلامية منذ عهد المرابطين كمساجد حواضر البلاد[3]، ولكن أثر نزوح الأندلسيين إلى تلمسان أصبح معهدا للتدريس لا يقل أهمية عن جامعي الزيتونة والقرويين[4]،وقد كان أول من غادر بلاد الأندلس، من المسلمين نخبتها مستبدلين بالأهل أهل وبالأوطان أوطانا، نزلت جالية كبيرة أرض المغرب الأوسط[5]،حظا معظمها الترحاب، في عاصمة بني زيان، من قبل الأسرة الحاكمة وفضل آخرون التوجه إلى مدينة بجاية، وندرومة[6]وهنين[7]،وقد عرف عن هؤلاء الأندلسيين، تفوقهم عن سواهم في العلوم بصفة عامة، وفي الفنون بصفة خاصة، هذا ما جعل مجتمع القرن التاسع الهجري الموافق للخامس عشر ميلادي، يستفيد من معارفهم العلمية والأدبية، ومن خبرتهم الفنية ، فأدى إلى تكوين نشاط فكري كبير، ليس في المغرب الأوسط فحسب بل في جميع بلاد المغرب الإسلامي[8]،كانت السلطة الزيانية تقوم بتعين كبار الأندلسيين في المدارس وتجزل عليهم العطاءات والمرتبات[9]،وقام بها مجموعة من أفراد هذه الجالية بنشر التعليم بواسطة إلقاءهم الدروس بالمؤسسات التعليمية

---

[1]-محمد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى افريقية أيام الحفصيين ،مجلة الأصالة،العدد26 ، السنة 1975، ص78-83

[2]-أبو القاسم درارجة، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، مقال بمجلة بحوث، العدد2،السنة1994، جامعة الجزائر ، ص167-183.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1 ص248.

[4]-محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984، ص221.

[5]-عبد العزيز فيلالي، تلمسان ... ،ج1،المرجع السابق، ص175

[6]-ندرومة: أسسها الرومان قديماً وبنوها على بقعة واسعة في سهل، بعيدة بنحو ميلين من الجبل، واثنى عشر ميلاً من البحر المتوسط، ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق،ج2، ص13.

[7]-هنين: مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة، ينظر: المصدر نفسه، ص15.

[8]-محمد رمضان شاوش، المرجع السابق، ص401

[9]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 10هـ إلى 14هـ،16-20م ،ج2-المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985،ص35،و عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق،ج1،ص199.

الموجودة بالمدينة،ومن بين الذين درسوا بتلمسان الفقيه محمد بن أبي العيش الخزرجى(ت921هـ)[1]،الذي أقام بإحدى مساجد تلمسان بتفسير القرآن الكريم لطلابه،وشرح أسماء الله الحسنى،كما يبدو عليه انه درس الأصول والتصوف لأنه ألف فيها.

تخرج على يد هذا العالم العلامة، مجموعة من الفقهاء، أمثال محمد بن العباس التلمساني[2]،والحافظ عبد الجليل التنسي[3]،و أبو البركات[4]،وغيرهم، وهذا لا دليل على أن فقهاء الأندلس لقوا ترحيب منقطع النظير لدى سلاطين بني عبد الواد، وحتى أهالي تلمسان الكرماء، قد سعدوا بلقاء هؤلاء المهاجرين واستقبلوهم أحسن استقبال، وهذا نجده في اغلب المصادر التي أرخت لهذه الفترة من حياة الدولة الزيانية.

نجد كذلك من بين الذين زاروا تلمسان وتأثروا وأثروا فيها الشيخ أبو الحسن علي القلصادي[5]،الذي لقي بالمشرق الكثير من المشايخ وأخذ عن أئمة تلمسان وكبار فقهائها، وحج ولقي أعلامها، وعاد إلى غرناطة فوطنها، ومات بباجة بإفريقية[6]وجابر الوادي أشي[7]،هذا العالم درس بتلمسان الحديث والفقه والأصول والنحو والمنطق والجدل والفرائض، وكان كثير الإسماع في الفقه والجدل[8].

---

[1]-محمد بن أبي العيش الخزرجي التلمساني: الفقيه الأصولي أبو عبد الله، له فتاوي منقول بعضها في المعيار، وتأليف كبير في الأسماء الحسنى في سفرين، ينظر: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص579، 600،وابن مريم، المصدر السابق، ص 252.

[2]-محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي التلمساني:الإمام العلامة المحقق، من أكابر علماء تلمسان، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني وغيرهما،ينظر: التنبكتي،ونيل الابتهاج، المصدر السابق،ص547 ،وابن مريم، المصدر السابق،ص223

[3]-عبد الجليل التنسي: من اكابر أئمة تلمسان ومحققيها، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد، وقاسم العقباني، وغيرهم، ينظر: ابن مريم، المصدر نفسه، ص248-249،و التنبكتي، المصدر نفسه، ص572.

[4]-أبو البركات بن أبي يحي بن أبي البركات التلمساني :أخذ عن الأئمة كالحفيد بن مرزوق وقاسم العقباني وشريف سليمان البوزيدي وغيرهم، رحل إلى الشرق ودرس هناك خليلا،وله شرح على نظم الضرير المراكشي في البيان، ينظر: التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج،ج1، تحقيق: محمد مطيع، 1421هـ/2000م، ص180،وابن مريم ،المصدر نفسه،ص257.

[5]-علي بن محمد بن محمد بن علي الونشريسي: أبو الحسن الشهير بالقلصادي، ولد بمدينة بسطة الأندلسية الواقعة في الشمال الشرقي لغرناطة، ينظر: احمد بن محمد المقري التلمساني ،المصدر السابق، ج5،ص426.

[6]-التنبكتي ،المصدر نفسه، ص361.

[7]-محمد بن جابر بن محمد بن القاسم بن أحمد بن إبراهيم ابن حسان الوادي آشي القيسي: أبو عبد الله، شمس الدين، أندلسي الأصل ينتسب إلى مدينة وادي أش الأندلسية، ينظر: شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي، برنامج بان جابر الوادي أشي التونسي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس1981،ص5.

[8]-مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاقتصادية والثقافية،ج2،دارالحضارة،ط1، 2007،ص290.

وكان من حل بتلمسان بعد أخذ غرناطة، وحصلت له مصاهرة مع أعيانها بني مرزوق[1]،وكما دخل العلامة لسان الدين ابن الخطيب[2]ومكث فيها فترة وبعث يطلب أسرته من الأندلس لقيم بالمدينة ، فأتى بها معززة مكرمة، وكان ذلك في أواسط سنة773هـ/1371م،ومن هنا يمكن القول انه كان للجالية الأندلسية تأثير واضح في الحركة العلمية والثقافية بالمغرب الأوسط خلال القرن الثامن للهجرة، بحيث عُرف الأندلسيين بتفوقهم عن سوّاهم في الكثير من العلوم، مما جعل المجتمع الزياني يستفيد من معارفهم الأدبية والعلمية ومن خبراتهم الفكرية، مما أدى إلى تكوين نشاط فكري كبير ليس في المغرب الأوسط فحسب بل في جميع بلاد المغرب الإسلامي وهذا ما تؤكده المصادر التاريخية التي أهتمت بالحياة الفكرية في العهد الزياني.

شد طلاب العلم من أهل تلمسان رحالهم إلى مختلف الحواضر المغربية والأندلسية والمشرقية، تدفعهم الرغبة في الاستزادة من العلم على كبار شيوخ هذه الحواضر[3]،سأحاول ذكر بعض العلماء الذين تحملوا مشقة السفر في سبيل الدرس والتحصيل والتعمق في العلم والمعرفة حتى صاروا فيما بعد شيوخا وعلماء، حيث ساهموا في إثراء النهضة الفقهية في العديد من الأقطار التي حلوا بها في العهد الزياني، منهم: محمد بن مرزوق الحفيد (842هـ / 1438م)[4]،غرب وشرق مثل والده وأجداده، وأختار طريق العلم والرحلة في سبيله، فكان له فضل الإقراء من المغرب إلى الديار المصرية.

أخذ العلم عند شيوخ تلمسان، ثم انتقل إلى عاصمة بني حفص، حيث التقى بمجالس شيوخها وارتحل إلى فاس ودرس على علماءها، ثم اجتاز الأندلس وعكف على الدراسة بها ، شد

---

(1)-احمد بن محمد المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج3،ص305

(2)-محمد بن عبد الله بن الفقيه الخطيب سعيد السلماني الغرناطي: لسان الدين أبو عبد الله الوزير المعرف بان الخطيب، ولد سنة713هـ، وتوفي سنة776هـ،ينظر: إسماعيل باشا ، البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين،ج2، دار احياء التراث العربي، بيروت ،لبنان، ص167،ناصر الدين سعيدوني ،من التراث_التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي ،تراجم ومؤرخين ورحالة وجغرافيين،ط1،دار الغرب الاسلامي1999. ص165، وابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، مطبعة الموسوعات، مصر، 1901، ص20

(3)- عبد العزيز فيلالي ، تلمسان...،ج2،المرجع السابق، ص329.

(4)-محمد بن احمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني: العلامة الحافظ المحقق الكبير الثقة الثبت النظار المنصف التقي الصالح الزاهد الورع البركة، ينظر: محمد بن مخلوف، المرجع السابق، ص252.

رحاله الى المشرق للتزود بمعارفه[1]،أبو عبد الله محمد النجار،(750هـ /1349م) [2]من أهل تلمسان، اخذ العلم ببلده عن مشيختها، ثم ارتحل إلى المغرب أخذ بمراكش عن الإمام أبي العباس بن البناء[3]،وكان إماما في علوم النجامة وأحكامها ، وما يتعلق بها.

رجع إلى تلمسان بعلم كثير[4]،أبوعبد الله محمد بن إبراهيم بن احمد العبدرّي الآبلي التلمساني[5]، أخذ عن فقها تلمسان أبي الحسن التنسي، وابني الإمام، ورحل في آخر المائة السابعة، فدخل مصر والشام والحجاز والعراق، ثم قفل إلى المغرب، فأقام بتلمسان، و أبوعلي بن عبد الله الزواوي،(770هـ/ 1368م)[6]،نزيل تلمسان.

أخذ عن والده وشيوخ مدينته ارتحل إلى الأندلس فأقرأ بها، وأخذ عن ابن الفخار البيري الذي أجازه، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى، فأخذ عن القاضي الشريف الحسني السبي الذي قرأ "تسهيل الفوائّد لابن مالك" [7]،وبعدما استفتي في مسألة شرعية، خالف فيها فقهاء الفروع في زمانه في الأندلس فاشتد هؤلاء في معارضة وأذيته فاضطر إلى الارتحال إلى تلمسان سنة765هـ،حيث أستقر بها يُقرئ ويُدرس[8] .

---

[1]-عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في العهد الزياني، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، 1975، ص146.

[2]-محمد بن يحي ابن النجار التلمساني: من أهل تلمسان شيخ التعاليم، ينظر:ابن القاضي المكناسي، المصدر السابق،ج1، ص302،و احمد بن محمد المقري التلمساني، نفخ الطيب ،ج5،المصدر السابق، ص236، ابن مريم ، المصدر السابق، ص154-153.

[3]-أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي: الشهير بابن البناء المراكشي، كان أبوه محترفا بالبناء وطلب هو العلم، فوصل فيه الغاية القصوى، وأخذ بطرفي الدين والدنيا ،كان إمام الحضرة المراكشية ،ولد بمراكش في التاسع من ذي الحجة عام 654هـ،توفي يوم السادس من رجب عام 721هـ،ينظر:ابن القاضي المكناسي ،المصدر السابق،ج1،ص148، ومحمد بن محمد مخلوف ،المرجع السابق،ص216.

[4]-عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون، في رحلته غرباً وشرقاً، علق حواشيه: محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، ص 47.

[5]-محمد المقري، المصدر السابق، ج5، ص244 ،وابن مخلوف، المرجع السابق، ص 221،و احمد بن محمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض "، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر1358هـ/1939م،القاهرة، ج5،ص6.

[6]-أبو علي الزواوي: ولد ببجاية سنة710هـ،ونشأبها،ينظر:يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص33

[7]-ابن مريم ، المصدر السابق، ص292،علي علواش، معجم مشاهير المغاربة ، تنسيق أبو عمران الشيخ ، تقرير ناصر الدين لعبدوني ، إعداد فرقة البحث العلمي ، جامعة الجزائر 1995 ، ص 267 .

[8]-ابن الخطيب لسان الدين، المصدر السابق،ج3،ص323-325.

كانت الرحلة في طلب العلم أمراً شائعاً في البلاد الإسلامية خاصة في بلاد المغرب الإسلامي ،وقد عرفت الرحلة في طلب العلم رواجاً واسعاً خلال القرن السابع الهجري ،الموافق للقرن الثالث عشر للميلاد، إلا أنه يلاحظ بعد هذا التاريخ أن الرحلة في طلب العلم بدأت في التراجع والتناقص تدريجياً حيث اقتصرت على القليل من العلماء والفقهاء والرحالة الذين كانوا يجوبون بلاد المغرب ،ولعل هذا الوضع هو الذي دفع ببعض العلماء وقتئذ مثل ابن خلدون، والمقري، والآبلي إلى التطرق إلى هذه الحالة من خلال تشخيص وضعية التعليم في بلاد المغرب خلال هذه الفترة[1]،وإن رغبة الرحالة المغاربة والأندلسيين في أداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة وارتياد مراكز العلم في المشرق بعد ان تجاوزا سن الطلب ووصلوا إلى سن تؤهلهم بمجالسة كبار العلماء للأخذ والعطاء، وبهذا أثريت الناحية العلمية بفضل هذا التبادل العلمي القائم على الالتقاء بكبار العلماء للأخذ والرواية عنهم والحصول على اجازاتهم العلمية في المراكز التي وصلوا إليها والتي تعد ينابيع فياضة بالعلم والمعرفة ،وبهذا أصبح رسل علم ومعرفة وحلقة اتصال وتبادل فكري وعلمي بين الشرق والمغرب[2]، أتاح لأهل المغرب والأندلس النهل من علوم المشرق على أيدي هؤلاء الرحالة الذين قاموا بتدريس تلك العلوم وخاصة علوم الحديث وملحقاته لمواطنيهم إلى جانب ذكرهم للمدارس ومنشئيها وأماكنها والعلماء المتصدرين للتدريس فيها.

لا يجب أن ننسى بأن هناك عوامل أخرى ساهمت بدورها في انتشار وازدهار العلوم الدينية في أرض المغرب الأوسـط، وذلك حسـب الفترات الزمنية والعمرية التي شـهدت الدويلات أو الإمارات التي عمرت بداءاً من بني رستم إلى غاية بني زيان، كان لها الأثر هي كذلك في تنشيط حركة التدريس والتأليف، وخلق جَّو كله إبداع في الكثير من أنواع المعرفة، رغم الاختلافات المذهبية والعرقية التي كانت ضاربة بجدورها.

---

(1)- محمد الفاسي، الرحالة المغاربة وآثارهم، مجلة دعوة الحق، السنة الثانية،العدد2،نوفمبر 1958،وزارة الأوقاف ،الرباط، المغرب،ص8، 9.

(2)- عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مطبوعات مكتبة فهد الوطنية،1417هـ/ 1996م ،الرباط،ص92.

الفصل الثاني

العلوم الدينية في المغرب الأوسط من العهد الرستمي إلى الحمادي

أولا:– علوم القرآن الكريم

- علم القراءات
- علم التفسير

ثانيا: علم الفقه:

أ– المذهب الفقهي الإباضي

- نشأته
- مبادئ وأفكار المذهب الإباضي.
- أنواع الإمامة.

ب– الفقه الإسماعيلي الشيعي.

- تعريف الشيعة.
- أفكار ومعتقدات المذهب الإسماعيلي.

ثالثاً: علم الحديث:

جرت العادة عند مؤرخي الآداب العربية أن يقسموا العلوم إلى قسمين: قسم يتضمن العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه، وقسم آخر يشمل ما سوى العلوم الدينية من طب وفلسفة ،ورياضيات ،وكمياء، وفيزياء، وباختصار قسموا العلوم إلى نقليه ،وعقلية بمعنى الأول يكتفي فيه المسلم باستيعاب ما وضع في الميدان الديني والإلمام بما خلفه الأجداد الواضعون لهذه العلوم للحفاظ عليها والدفاع عنها في كل مناسبة وكل ظرف،أما النوع الثاني فهو يتطلب مجهودا فكريا آخر نظرا لاعتماده على العقل واهتمامه بالبحث والنقاش والاختراع والاكتشاف[1]، وموضوع دراستنا هو العلوم الدينية، وهي كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي،ولا مجال فيها للعقل،إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول، لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة، لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه، فتحتاج الى الإلحاق بوجه قياسي، إلا أن القياس يتفرع عن الخبر ،بثبوت الحكم في الأصل،وهو نقلي،فيرجع هذا القياس الى النقل لتفرعه عنه،وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسُنة التي هي مشروعة لنا م الله ورسوله[2].

أولا: علم القرآن الكريم:

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيهِ المكتوب بين دفتي المصحف،وهو متواتر بين الأمةِ إلا أن الصحابة روْهُ عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها[3]،هو كلام الله المعجز، ووحيه المنزل على نبيه محمد بن عبد الله–صلى الله عليه وسلم–المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته[4]،لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين وفي بيانه وبلاغته إعجاز للعرب ولفصّاحتهم وبلاغّتهم ولذلك كان فهم معّانيه من ضرورّات فهم الدين وأحكامه، لذا أهتّم المسلمين به من أول يوم أنزّل فيه إلى يومنا هذا يتعبدون بتلاوته والعمل بين دفتيه من أحكام لكل جوّانب حياة الإنسان فاشتدت العناية به في زّمن الصحابة. وتّم نقله وحمايته وحفظه وقراءاته مع صّدق العنّاية والاهتّمام البالغ، وقد تنّوعت علوم القرآن الكريم والمؤلفات فيها فمنها ما شمّل تاريخ القرآن الكريم تنزله وجمعه ومنها من اختص بقراءاته وتجويده

---

(1)–محمد بن أحمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة.1406هـ/1985م، الدار البيضاء، المغرب، ص191.

(2)–عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص549، 550.

(3)–نفسه، ص551، 552.

(4)–محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن، واتجاهات التفسير، ط3، 1410هـ/1990م، المكتب الإسلامي، بيروت، ص25.

ومنها ما أهتّم بتفسيره[1]،ولذا كان اهتمام العلماء المسلمين به كثيراً كونه المصدر الأساسي والأول للتشريع الإسلامي وبما أن المجتمع كان معظم تركيّبته البشّرية من الجّنس البربري ،فقد كان الاحتيّاج الأكبر إلى فهم ما جاء فيه[2]،ومن بين أهم هذه العلوم:

- **علم القراءات**

هو علم ينقل لغة القرآن وإعرابه الثابت بالسماع المتصل، كما يضبط به متن كلام الله تعالى بوجوهه المختلفة النزلة عليها المتواترة عن النبي –صلى الله عليه وسلم–وهو علم القراءات السبع، وبه يبحث عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، ومبادلة مقدمات تواترية، والغرض منه تحصيل ملكة ضبط هذه الاختلافات وفائدته صون كلام الله عزّ وجل عن تطرق التحريف والتغيير[3]،ويؤكد الحاجة إلى ذلك ان بعض القُراء كان لا يجد حرجاً في القراءة بشواذ منها متناهية في الشذوذ[4]،هو علم يعني كيفية النطق بالقرآن الكرم[5]،وهو كذلك معرفة القراءات وكيفية أداء الحروف، كما يضاف إليه فن الرسم ،وهي أوضاع حروف القرآن الكريم في المصحف ورسومه[6]،وغايته ضبط نص القرآن.

فقد ذكر بحاز أن القرّاء كانوا موجوّدين في تاهرت[7]،ولا نعرف اسم واحد منّهم، وإنمّا أشّار إليهم ابن الصغير عندما تحدّث عن الإمام أبي اليقظان[8]،وضرب سرادقه خارج تاهرت إذ لما علم النّاس بخروجه، خرج إليه العلماء والقراء وضربوا أبنيّتهم حول سرادقه[9]،ولم تشر المصادر التي رجعنا إليها في تأليف هذا العلم رغم وجود أئمة جودوا ورتلوا القرآن في المساجد طبقاً لما جاء في

---

[1]-بوداعة نجادي، الحياة الفكرية في الأندلس على عهد الدولة الموحدية،541هـ-668هـ/1147م-1269م،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير ،كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ،قسم التاريخ ،جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان-1430هـ-2009/1431-2010م، ص60.

[2]-معروف بلحاج،العمارة الدينية الإباضية بوادي ميزاب في تاريخ العمارة الإسلامية،تلمسان،2000،ص 242.

[3]-عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،المصدر السابق، ص551، 552.

[4]-ابن مجاهد، كتاب القراءات السبعة في القراءات،تحقيق: شوقي ضيف،دار المعارف بمصر، ص5 وما بعدها،وشوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني،ط12،دارالمعارف بمصر (د.ت)، ص161.

[5]-جلال الدين السيوطي،خاتمة الحفاظ(ت911هـ)،الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، علق عليه: مصطفى شيخ مصطفى،ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون،1429هـ /2008م، بيروت، ص24-27.

[6]-إبراهيم محمد المغني، دليل الحيران على مورد الظمآن في فن الرسم والضبط بإعتبار قراءة نافع لمحمد_ين محمد الشريسي الخراز ،دارالكتب،الجزائر ،(د.ت)، ص10.

[7]-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص303

[8]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص88.

[9]-نفسه، ص95

الآيات الكريمة والتي تحث على الترتيل مثل قوله:" **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**[1]"،وكذا قوله عزّ وجل:" **وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**[2]"،ويذكر ابن الصغير كذلك[3]:" حضرت لهم خطباً كثيرة كابن أبي دريس ،وأحمد التيه[4]وأبو العباس بن فتحون[5]وعثمان ابن الصفار[6]، والخامس أحمد بن منصور[7]،فسمعت أحمد التيه بعد فراغ إلى بلغ:" **تَنْزِيلاً مِمَّن خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتْ الْعُلَى**[8]" ،ويبدو أنّ هؤلاء القراء، يقصد بهم حفّظة القرآن لا غير، وذلك على غرّار ما كان متداولاً في صدر الإسلام ،دون النّظر إلى اختلاف الحروف، وغير ذّلك من الأمور في علم القراءات[9].

لم تطل إقامة الدولة العبيدية بهذه البلاد حتى تتمكن من بسط حضارتها بهذه الأقطار ،ومع ذلك فقد نهجت في سيرها نهج الدول المثقفة التي تسعى لتوطيد ملكها وتثبيت حكمها بأساليب الحكمة والعدل[10]،ومرت علوم القرآن عموماً والقراءات على وجه الخصوص، شأن سائر العلوم الأخرى، بمراحل متعددة انعكس أثرها على بلاد المشرق والمغرب على حد سواء، فقد كان للصحابة والتابعين الذين وفدوا على بلاد المغرب خلال الحملات المتعددة دورهم في تلقين المغاربة هذه العلوم[11]،وكان الناس في العهد العُبيدي يقرأون بقراءة حمزة لا يعرف قراءة نافع الا الخواص على أن جاءهم برواية ورش عن نافع محمد بن محمد خيرون الاندلسي نزيل القيروان المتوفي سنة 356هـ [12]،ويبدو أن هذا العلم لم يتعرض للمحن السياسية خلافا لبقية العلوم الأخرى كالفقه و العقيدة والتاريخ والطب من تدخل السلطة بفرض مذهب الخلافة أو السلطة الحاكمة سواء أكان ذلك بالدعم أو التوجيه، فغالبية

---

[1]-سورة المزمل، الآية 4.

[2]-سورة الفرقان ،الآية 32.

[3]-السيد عبد العزيز سالم،_تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ص489، وإبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص266،وابن الصغير، المصدر السابق، ص105.

[4]-من علماء تاهرت، عاصر الإمام حاتم يوسف بن أبي اليقظان، وتلقى علومه على مشايخ العاصمة الرستمية، ينظر: جمعية التراث، المرجع السابق،ج2، ص39

[5]- نفسه، ص 241.

[6]- انفسه، ص287.

[7]- نفسه، ص51.

[8]- سورة طه ،الآية 4.

[9]-خليل داودالزرو، الحياة العلمية في الشام في القرني1،2هـ،ط1،دارالأفاق الجدية،1971،بيروت،ص33.

[10]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج2، ص230.

[11]-رمضان بشير التليسي، المرجع السابق، ص435.

[12]-مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2،تعليق وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص168.

المقرئين كانت تعيش على ما تدره عليها أولياء التلاميذ و الطلبة مهما قل أو كثر، فعلوم القرآن عموما، لم تتأثر بالمذاهب الفقهية، وإنما ترك أمرها للمُختصين ممن جمعوا بين الورع والمعرفة، وباختصار ما يمكن قوله عن علم القراءات ببلاد المغرب[1]،ظلت سياسة الدعوة السّرية التي اتبعها أئمتهم تحجب عنا الكثير من الحقائق من تاريخينا، وحتى المصادر التاريخية الشيعية منها أو السُنية لم نعثر على أسماء تدلنا عن مدى نشاط فقهاء المغرب الأوسط في تلك الفترة من حكم بني عبيد، فقد قال الباطنية بالتقية[2]،وكانت أساساً في عقيدتهم وعقيدة غيرهم من الشيعة، والمتطلع على المسائل الفقهية عند الشيعة وما مر من الحوادث برجالاتها على تعاقب أجيال التاريخ.

يلاحظ أن العمل بالتقية أمر لم يكن منه بد في الظروف القهرية عندم يشتد جور الحكام، إذ هي الطريق الوحيد إلى النجاح والجمع بين حفظ العقيدة وحفظ الحياة[3]،وترجع إلى عصور بعيدة في سير الأنبياء.

وفي العهد الحمادي كان له الاسبقية في الظهور مقارنة بالعلوم الأخرى، كالتفسير والفقه، علماً بأنه من أهم العلوم وأكثرها نفعاً، ونظراً لأهميته التي عرفها علم القراءات أنكب علماء المغرب الإسلامي عموماً وعلماء القلعة وبجاية على وجه الخصوص على دراسة هذا العلم، وتراجم الكثير منهم ضاعت ولم يبق لنا منها إلا القليل النادر يجدها الباحث مشتتة في مختلف المصادر، أو الدراسات الجامعية الحديثةأو عند الباحثين في تاريخ العصر الوسيط، وقد اوجدت لنا القلعة شخصيات برعت في هذا العلم منهم على سبيل المثال:

1-أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري[4]:

الشيخ الفقيه المقرئ، قرأ على أبيه بالقلعة الحمادية بجامعها الأعظم في عشر التسعين وخمسمائة، وارتحل إلى بجاية لقي بها، أفاضل منهم والده أبو عبد الله ابن عبد الله، ومنهم أبو زكريا الزواوي،

---

(1)-إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 09 هـ / 15م، ج2، الشرعيات والعقائد، دار الرشاد الحديثة، ط1، 2000، ص09 .

(2)-التقية: هي النفاق السياسي والمداراة للأعداء وقت قوتهم، وهي أن يحافظ الشخص على نفسه أو عرضه أوماله بالتظاهر بعقيدة أو عمل لا يعتقد بصحته،ينظر:مصطفى محمد رمضان، تاريخ الحركات الانفصالية في العالم الإسلامي،منتدى الأزبكية،(د.ت)، ص139،وسليمان عبد الله السلومي، أصول الإسماعيلية :دراسة–تحليل–نقد، ج1،دار الفضيلة ،الرياض، السعودية، ص137.

(3)- محمد حسن الأعظمي، عبقرية الفاطميين، أضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين، منشورات دار مكتبة الحياة، مصر، ص65.

(4)-أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري: الشيخ الفقيه المقرئ المتفنن الأستاذ النحوي، قرأ عن أبيه بالقلعة الحمادية بجامعها الأعظم، وارتحل الى بجاية التي بها لملقاة أفاضل العلماء، ينظر: أبي العباس الغبريني، المصدر السابق، ص265.

كان ملازماً له وعاكفاً عليه والقارء بين يديه، وأختصر كتاب التيسير لعمر الداني[1]،اختصاراً بليغاً، قيل عنه أنه لا يتساهل في الإجازة بإجازاته، فقد ظهر بالغاية القصوى ووصل الى المرتبة الأولى، استفاد منه خلق كثير، وكل من اخذ عنه فغنه يوصف بالإتقان والدراية وجودة الرواية، وكان لا يتسامح بإجازته بوجه و لا يمكن منها الا بعد التحصيل ومن ظفر من الطلبة بإجازته ،فقد ظفر بالغاية القصوى ،ووصل الى المراتب العليا[2]،توفي ببجاية.

2- محمد بن مزي القلعي:

الشيخ العلامة أعتزل أهله وسكن القلعة في مكان منعزل ووعر في الجبل فبنى في هذا المكان المساجد، ولا سيما الجامع الكبير، أحتمل المشاق العظيمة في مجاهدة نفسه وأهله وأولاده وأصحابه ،طريق صعب لا يسلكه إلا من نبذ نفسه وراء ظهره[3]،وكانت هذه الفئة وغيرها ممن قامت بدور كبير في هذا العلم والتي ذكرها صاحب الدراية أنها سهلت ما استعصى على الناس فهمه من كتاب الله تعالى.

3- أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري[4]: 668هـ/1270م:

الشيخ الصوفي الصالح ،الأديب، من الطلبة المحصلين ،ومن الفقراء المنقطعين، له معرفة بالحكمة ومعرفة بطريق الصالحين الصوفية، وله تقدم في علم النظم والنثر على طريقة التحقيق، وشعره في غاية الانطباع والملاحة، وتواشيح ومقفياته ونظمه الهزلي والجزلي في غاية الحسن[5] ،ويذكر يوما أنه كان ببلدة "مالقة " وكان كثير ما يجود عليه كتاب الله تعالى، فقرأ يوماً طالب قوله تعالى:" **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**"[6]،فقالا معجلا رضي الله تعالى عنه، وقد فهم من الآية مالم يفهمه، وعلم منها مالم يعلم:

أنظر اللفظ أَنَا يـاَ مغرمـاً فِيـه مِنْ حَيْـثُ نَظْرَتُنَا لَعَل تدْرِيه

---

[1]- أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي: يمثل منعطفاً كبيراً في تاريخ القراءات القرآنية وعلومها في المدرسة المغربية والمشرقية، ينظر :عبد الهادي عبد الله حميتو، معجم مؤلفات أبي عمرو الداني(444هـ) مكتبة الملك فهد الوطنية، 1432هـ/2011م، ص11،وعبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق ،ص ص552.

[2]-أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص265.

[3]-محمد بن مزي القلعي: الشيخ الزاهد في الدنيا المتخلي عنها، ينظر: الحفناوي ،المرجع السابق،ص506.

[4]-أبو الحسن الششتري: من قرية ششتر من عمل وادي آشي، وكان مجوداً للقرآن ،قائماً عليه، عارفاً بمعانيه، من أهل العلم والعمل، جال في الآفاق، ولقي المشايخ، وحج حجات، وآثر التجرد والعبادات، صنف كتباً منها " العروة الوثقى" في بيان السنن واحصاء العلوم، و" المقاليد الوجودية في اسرار الصوفية ،ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص239.

[5]- نفسه، ص239.

[6]-سورة طه، الآية 14

خَـلِّ ادخَـار: لا تَـفْـخـر بـعـريـةَ لا يَسْـــتَـعِـير فَـقِـيرُ مِـنْ مـوَالِـيـه

جُسُـــوم أَحْرفِـهِ لِلســـرِ حـامِـلـهُ انْ شِـــئْـتَ تَعْرِفـه جِرد معــانيـه[1]

وهذه إشارة على ان بجاية وحواضرها، والكثير من مناطق أرض المغرب الأوسط حوت نخبة من هؤلاء الفقهاء الذين أفنوا أعمارهم لخدمة هذا العلم وتيسيره لعامة الناس وخاصتهم.

- علم التفسير:

هو تفعيل من الفسْر، وهو البيان والكشف، ويقال هو مقلوب السفر، لقول أسفر الصبح أضاء،،وقيل مأخوذ من التفْسرة، وهي أسم لما يعرف به الطبيب المريض، عند أهل البيان هو من أنواع اطناب الزيادة، وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره[2]،هو علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها واقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدينها، ومُحكمها ومُتشابهها، وناسِخها ومنْسوخها وخاصها وعامها ومطلعها ومقيدها، ومجملها ومفسرها ،وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وأمثالها وغيرها[3]،و نظرا لما ورد من الترغيب فيه من النّصوص الشّرعية كقوله تعّالى:"**لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**" [4]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :"**كِتابُ الله تَبارَك وتعَالى فِيهِ نَبأً مِنْ قَبلِكُم وخَبرً مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمً مَا بَيْنَكُمْ، هُو الفَصْل ليْسَ بالـهَزْل ،مَنْ تَركهُ مِنْ جَبَارْ قَسَمهُ الله وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَّلهُ الله ،فَهُوَ حَبْلُ الله الْمَتِينْ، وَهُوَ الْذِّكْرُ الْحَكِيمْ وَهُوَ الْصِراطْ الْمُسْتَقِيمْ، وَهُوَ الْذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الْأهوَاءَ، وَلا تَلْتَبِسُ بِهِ الْألْسِنَة، ولاَ تَشْبَعُ مِنْه الْعُلمَاء، وَ لاَ يَخْلقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَ لاَ تَنْقُص عَجائِبهُ ،وَهُو الْذي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُ** "[5]،**وقال عزّ وجل:" قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا** "[6]،وسور قرآنية

---

(1)- الغبريني،المصدر السابق، ص241.

(2)- محمد علي بن علي التهانوي،كشاف اصطلاحات الفنون،ناشر الكتاب: أحمد جودت،المجلد1،برخصة نظارة المعارف الجليلة المرقمة376، والمؤرخة في 29 ربيع الأول سنة1315هـ،طبع في مطبعة (اقدام) بدار الخلافة سنة1317هـ، ص491.

(3)- محمد عادل عبد العزيز،التربية الإسلامية في المغرب(أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1987، ص73.

(4)- سورة الحشر،الآية 21.

(5)- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي،المتوفي 255هـ، كتاب المسند الجامع،وهو أصل المتن المشروح المسمى:بفتح المنان، المطبوع عام 14116-1419هـ، خدمه وأعتى به:نبيل بن هاشم بن عبد الله الغمري الريا علوي،ط1،دار البشائر الإسلامية للطباعة للنشروالتوزيع،1434هـ/2013م ،ص760.

(6)- سورة الجن،الآية 1.

كثيرة ،وأحاديث نبوية شريفة تحثُ على التفسير وأحكامه، وهذا كله ليس إلا لتبسيط الكثير من المفاهيم التي يحملها كتاب الله عزّ وجل، وإيجاد سهولة في معرفة المعاني التي يحملها القرآن الكريم.

تفرغ بعضهم لتفسيره، قصد تيسير وتسهيل فهمه على العرب، لأن نزوله بلغة العرب لا يعني ان كل العرب يفهمون احكامه ومعانيه ولأن فهم أي كتاب لا يتوقف على اللغة وحدها إنما يتطلب درجة عقلية خاصة تتفق ودرجة الكتاب في رقيه هذا شأن العرب أمام القرآن،فلم يكونوا يفهمونه اجمالاً وتفصيلا، انما كانوا يختلفون في مقدار فهمه حسب رقيهم العقلي[(1)]،وبحكم طبيعة المجتمع الرستمي وتركيبته (عرب–بربر)،واختلاف الفرق الإسلامية كان تفسير بعض الآيات يثير مناظرة فقهية وعقائدية[(2)].

اهتم الأئمة بهذا العلم لتيسير وتسهيل فهم ما جاء في القرآن الكريم ولأداء الفروض الدينية بشكلها الصّحيح[(3)]وحاجتهم المّاسة إلى تفسير بعض الآيات التي أشْكِل فهْمُها عليهم، وقد تفرغ بعضهم إلى هذا العلم واهتموا بتفسير الألفاظ والكلمات وشرح معانيها ومعاني الآيات القرآنية وعرفوا بالمفسرين لكتاب الله، وتذكر المصادر الإباضية أنّ مؤسس الدولة ألّف كتاباً في التفسير ولكنه فُقد ولم يصلنا منه شيء[(4)]،وكان متداولاً في قلعة كان متداولاً في قلعة بني حماد، تنافس على اقتنائه الاباضية الوهبية[(5)]،والنكارية[(6)]على حد سواء ،وأن حداثة المجتمع بالإسلام في تلك الفترة،جعل أمراء بني رستم يسعون إلى معرفة دينهم وشرائعه، وذلك بتشجيع الفقهاء والعلماء على التدريس والتأليف حتى يتسنى للناس أخذ المعرفة من مجالس الشيوخ أينما كانوا.

---

(1)– أحمد أمين ، فجر الإسلام، يبحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية ،ط10،دار الكتاب العربي،بيروت،1969، ص196.

(2)–ابن الصغير، المصدر السابق،ص119.

(3)–محمد عليلي، الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين2 –3هـ/8–9م،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الأوسط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية جامعة تلمسان2008/2007،ص81–82.

(4)–محمد المختار اسكندر، المفسرون الجزائريون عبر التاريخ،ج1،دحلب للنشر الجزائر،(د.ت)،ص34–36.

(5)–الوهبية: هي الإباضية الأم الحاكمة في الدولة الرستمية، نسبة الى الإمام عبد الوهاب، ظهرت إثر فتنه النكار،ينظر: ابن الصغير، المصدر السابق،ص137،وعوض خليفات، المرجع السابق،ص117.

(6)–النكارية: منشأ هذه الفرقة سياسي ،متميزة عن غيرها من الفرق الإسلامية ولا يربطها بالإباضية إلا كون مؤسسيها كانوا على المذهب الإباضي وزعيمها أبو قدامة يزيد بن فندين، وكانت بداية خروجهم عن الإباضية بإعلان أنكار إمامة عبد الوهاب الرستمي، ينظر:محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد_المغرب،في منتصف القرن الرابع الهجري،نشروتوزيع دارالثقافة،ط2،الدار البيضاء،1406هـ/1985م، المغرب، ص156، ويحي هويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ج1، مكتبة النهضةالمصرية، القاهرة، 1965، ص45

كان لهذا العلم شان كسائر العلوم الدينية الأخرى التي شهدت اهتمام خاص لدى علمائها وأمرائها الدولة الرستمية، والتي عرفت إقبال منقطع النظير، وقد نبغ في فروع الشريعة عدد من العلماء والفقهاء في الدولة الرستمية، الذين اشتغلوا في العلم التفسير، حتى يتسنى للمجتمع أنداك فهم وشرح معاني الآيات القرآنية أشهرهم:

1-لواب بن سلام التوزري المزاتي(توفي بعد 273هـ/887م)(1):من علماء قبيلة مزاتة(2) ،أصله من أغرمينان من جبل نفوسة، نشأ بين أحضان عائلة علم، وكان إماماً عالماً بالأصول والفروع(3)،رحل الى الحج وألتقى مع جميع الحجاج وعلماء عمان، وقد كانت له مسائل في علم الكلام نقل بعضها الوارجلاني في كتابه " الدليل والبرهان"(4)وله جزء(5)من تفسير سورة الشّورى في كتاب"**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَ صَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚكَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚاللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ "**(6)،وهوكما يقول لويسكي (Lerwick) أقدم كتب السير في شمال إفريقيا(7)،وتناول كتاب لواب عدةّ مواضيع هامة، إذ تعرض إلى حكم حجاب المرأة في قوله تعالى:"**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّۚذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗوَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**(8)،وليس في تفسيره أي غّموض أو إبهام(9).

وذكره صاحب السّير قائلا:" الشّيخ الإمام الدّاعي إلى معالم الإسلام المنبه على مشاعر الحلال والحرّام لواب بن سلام، أوتي الحكمة صغيراً فدام على منهاجها إلى أن صار كبيراً، وفي السير وجد أهل أغرمينان يلعبون في المبارك فردهم إلى المساجد، ويؤّذن وهو طفل، وإذ قيل له أقم الصلاة، قال الطفل:" لا يقيم الصّلاة، وإذ قيل له تقدم تصل قال الطفل:" لا يؤّم، وإذ قيل: ارجع في وسط

(1)-جمعية التراث، المرجع السابق،ص350.

(2)-مزاتة: هي من أكبر بطون لواتة إباضية، ينظر: أبي عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص144.

(3)-أبو العباس الشماخي، المصدر السابق، ص244.

(4)-كتاب الدليل والبرهان: تأليف العلامة أبو يعقوب يوسف إبراهيم الورجلاني، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي،(ج1-ج2) وزارة التراث والثقافة، مسقط، عمان،1427ه/2006م.

(5)-فسر قوله تعالى :"**شَّرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ**.."الآية:13 ، وغيرها من الآيات في سور متفرقة، ينظر: إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص299، و معروف بلحاج، المرجع السابق، ص243.

(6)-سورة الشورى، الآية: 12.

-(7)LewickiTadeusz,kitabas-sijar d'abou-Abbas Ahmed as-sammahi,extrait de la revue des études islamiques, cahier n°1,imp.arrault,paris;1934;p37.

(8)-سورة الأحزاب: الآية59 .

(9)-إبراهيم بحاز ،المرجع السابق،ص300

الصف، قال الطفل:" لا يتوسط الصف"، تعلم العلم من أبي كبة [1]من أهل تنكنيص، فلما أظهر من أبي كبة ما تقدم ذكره.

3-محمد بن يانس الدركلي النفوسي،أبو المنيب،(250-200هـ/815-864م)[2]:

ذكر الدرجيني أن الإمام عبد الوهاب طلب من أهل نفوسة أن يبعثوا له وفدا من علمائهم، يضم من كل صنف من العلوم مائة عالم بما في ذلك التفسير ليتناظروا مع المعتزلة بتاهرت، ولعل أهل نفوسة أرسلوا له مفسراً واحداً يمكنه إن يحل محل المائة مفسر المطلوبة، وهو من أشهر مفسري نفوسة وأعلمهم، ليناظره المعتزلة ،حيث قال للنفر الذي جاء للمناظرة ،إذ يقول عن نفسه: "أنا تفسير القرآن الكريم قد أخذته عن الثُقات وتَعلمتهُ عنهم إلاّ حرفاً واحداً أو حرفين" ،فهو من مفسري كتاب الله العزيز تفسيراً شفوياً إذ لا تذكر المصادر عنه تأليفا ولكنها تُؤكد على علمه بالقرآن وعلومه، قد تقدم من وصف أحواله وما كان عليه من المجاهدة، والقيام والصيام وخدمة أصحابه الذين أوفدتهم نفوسة مداداً للإمام، ما يدلك على أنه أهل لإجابة الدعاء ،وهو ممن سمع العلم وسمع منه، وأخذه عن أهله وأخُذ عنه لدعائه المستجاب، وكرامته[3]،أخذ العلم عن عاصم السدراتي[4]،وكان يغدو ويروح على إسماعيل بن درار الغدامسي[5] يغترف من نبعه، وحدث عنه أيضا أنّه كان له سبعة مساجد بعضها في الجبل، وبعضها في السهل.

فكان لا تفوته الصلاة في كل مسجد منها كل ليلة وهو شيخ كبير[6]،رغم ما قيل على هؤلاء المفسرين، أصحاب الكرامات كما تذكر بعض المصادر التاريخية المختصة بشؤون الإباضية ،إلا أننا نجهل الكثير عن شخصياتهم، وهذا لا ينفي أنهم كانوا قامات في الكثير من فنون العلم والمعرفة، وكانت حاجة ماسة إلى تفسير بعض الآيات التي أشكل فهمها عليهم،وقد تفرغ بعضهم إلى هذا العلم واهتموا بالتفسير للألفاظ والكلمات وشرح معانيها ومعاني الآيات، وعرفوا بالمفسرين لكتاب الله. فقد كان تفسير بعض الآيات يثير مناظرة فقهية- عقائدية-لما بين العلوم الدينية من اتصال، وقد

---

(1)- أبو العباس الشماخي،المصدر السابق،ص244.

(2)-نفسه، ص165 .

(3)- أبو العباس الدرجيني المصدر السابق، ج2، ص109.

(4)-عاصم السدراتي: من أئمة المغرب ومشاهير علمائه، قيل إن أصله من قبيلة سدراته في جبال الأوراس، وقيل قرب ورجلان وهو أحد حملة العلم الخمسة الذين سافروا من المغرب للتعلم على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة، ينظر: أبي العباس الدرجيني، المصدر السابق، ج1، 19 وما بعدها.

(5)-إسماعيل بن درار الغدامسي: من طرابلس الغرب، سافر الى البصرة في البعثة التي أرسلها سلمة بن سعد، ينظر: أبو العباس الدرجيني، المصدر السابق،ج1،ص19، وإبراهيم بحاز، المرجع السابق،ص65.

(6)-أبو العباس الدرجيني، المصدر السابق ،ج 2، ص110

قيل لابن الصغير المالكي أنه ناظر أبا الربيع الإباضي[1]،في تفسير قوله تعالى:"**وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ**"[2]،وتدخل إباضي ثان ليناظر ابن الصغير في قوله تعالى:" **لَمْ يَحِضْنَ**"،إذ فسّرها بقوله أنّ المقصود منها النساء المسّنات اللاّئي لم يخلق الله فيهن الحيض بينما فسّرها ابن الصغيربقوله: إن" **لَمْ** "لا تفيد النفي القاطع،وإنما المقصّود بذّلك الفتيات الصّغيرات اللائي ما زلن لم يبلغن سّن الحيض، وأنهن سيحضن في المستقبل، وأساس هذه المناظرة، في تفسير آية من القرآن الكريم فقهي إذ سأل الإباضي أخاه المالكي عن السبب في منعهم جواز نكاح البكر بخيارها بعد أن تدرك، الأمر الذي أجازوه للأمة بعد أن تعتق ،رغم أن مسعاهما ،ويقول أبو الربيع واحد.

3-أبان بن وسيم أبي يونس الوغويوي النفوسي (أبوذر): 200-/864م[3]: من علماء الإمامة الرستمية،تلقي العلم في كبره على علامة زمانه الشيخ أبي خليل صال الدركلي[4]،وكان ممن قرأ على أبي خليل،أشتغل بالزراعة ثم ولاه الإمام أفلح بن عبد الوهاب[5]،على جبل نفوسة.

كان فقيهاً مفتياً ثقة فلا يكاد يخلو كتاب من كتب الفقه والتاريخ والسير الإباضية من آرائه وفتاويه، فتح منزله مدرسة للنساء يقصدها للتفّقه في الدين وكانت زوجه يَالْمُوت قريناً له في الخير، و أنه كان ذا سعة في المال والعلم وممن وسه أهل زمانه ما لديه من المعروف والحلم، وقد أُتي من كرامات الأولياء ما أُتي أمثاله، لم تزل ملازمةُ الصلاح أحواله، مُصدقة أقوالهُ أفعالهُ[6]،فقد كان هذا العلم مرجع الإباضية في فنه، يعتمدون عليه ويتداولونه يبنهم، في الكثير من الأمور الدينية والدنيوية، خلال الفترة التي نحن في صدد دراستها أي منذ القرن الثاني للجرة على هذه الأرض علمائها وفقهائها كان أغلبهم موسوعات في جميع فنون العلم والمعرفة، لا تكاد تجد واحد منهم إلا فقيه أو محدث أو مفسر أو اختصاص آخر في العلوم العقلية التي كان لها شأن في هذه الفترة. بدأت الحركة الإسماعيلية كتنظيم ثوري سري يعتمد على مجموعة دعاة النشطين المنتشرين في أرجاء العالم

---

[1]- عن هذه المناظرة الفقهية التي تدل فعلا، في هذه المرحلة عن عمق في تفهم ألفاظ القرآن الكريم العميقة، وقدرة تفسيرها، ينظر: ابن الصغير المصدر السابق،ص119، 120.

[2]-سورة الطلاق ،الآية 4.

[3]-جمعية التراث، المرجع السابق،ج2، ص7.

[4]-أبوخليل الدركلي: شيخ الجماعة النفوسية الأخيار، وأول من أخذ عن الخمسة الحملة العلم الأخيار، ومن أثبتت أخباره في مشهور الأخبار ورويت عنه السير والآثار، ينظر: الدرجيني، المصدر السابق،ج2،ص 112-115.

[5]-جمعية التراث، المرجع السابق، ص7.

[6]-أبو العباس الدرجيني، المصدر السابق،ج2،ص114،115.

الإسلامي اعتبارا من منتصف القرن الثالث الهجري، الموافق للقرن التاسع للميلاد ،ولتحقيق مبتغاهم عرف التفسير عند الشيعة الإسماعيلية بالتأويل ،لذا وجب علينا أن نبين أن لهم طريقة خاصة في تفسير القرآن الكريم، ويقول المختّصُون في هذا الميدّان: "أن الباطنية أخذّوا التفسير وسيلة لنشّر مبادئهم ولجئوا الى التأويل غير المشروع أي الذي لا يوافق العقائد الإسلامية[1]،وجاء في شرح بعض المؤرخين لهذا الموضوع بتقديم دراسة لتفسير الآيات القرآنية من طرف الإسماعيلية، فنراهم يفسرون قوله تعالى:" **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا إن كان غفارا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**[2]،بأن قوله تعالى: " **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ** "أي أسألوه أن يطلعكم على أسرار المذهب الباطني ومن قوله:" **يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا** "بأن السماء هي الإمام، والماء المدرار العلم ينصب من الإمام إليهم ومعنى يمددكم بأموال وبنين، أن الأموال هي العلم والبنين هم المستجيبون، ومعنى:" **وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**" أن الجنات هي الدعوة السرية أو الباطنية والأنهار هي العلم الباطني[3]،أخذ الشيعة الإسماعيلية التفسير كوسيلة لنشر معتقداتهم ومبادئهم المذهبية.

وقد شهد عهد العبيدين توسعاً في علم التفسير الشيعي على يد عالمين بارزين، وهما أبو حنيفة النعمان[4]،وباب الأبواب جعفر بن منصور[5]،فقد ألف كلاهما كتباً في علم التفسير أو التأويل، وكانت ذات أهمية كبرى في خدمة المعتقد الإسماعيلي[6]،وكان القاضي النعمان منظراً شيعياً فألف في سبيل خدمة مذهبه كتباً جمة ،ولقد شارك في التأليف في جوانب عدة من بينها علم التفسير أو

---

[1]- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص436.

[2]- سورة نوح،الآية: 10،11،12.

[3]- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص436.

[4]- هو القاضي أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون،كان ملكي المذهب،ثم انتقل الى مذهب الإمامية، له عدة مصنفات منها:اختلاف أصول المذهب،ابتداء دعوة الموحدين،وقد طبع تحت عنوان: رسالة افتتاح الدعوة،تحقيق وداد القاضي،دار الثقافة،بيروت 1970م ،الإيضاح، تقديم وإعداد: محمد كاظم رحمتي،ط1،منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،1428هـ/2007 م ،بيروت،لبنان،ص6.

[5]- جعفر بن منصور: يعتبر من أشهر العلماء الذين أنجبتهم الدعوة الإسماعيلية في المغرب، فقد اشتهر بصراحته في كتبه وجرأته في الكشف عن الكثير من الرموز الفلسفية، أمتاز بنشاطه الفكري في حقل التأليف والتأويل، مات ودفن في مصر 363هـ،ينظر: عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية،ج2، من الغرب إلى الشرق، ،ط1،رياض الريس للكتب والنشر،1991، لندن،قبرص،ص190.

[6]- حوالة يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في إفريقية منذ الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري "90-450هـ" ج1،مركزبحوث الدراسات الإسلامية، مكةالمكرمة،1421هـ/2000م،ص155..

التأويل الذي يعتبرا أساس المذهب الباطني الذي يعتمد عليه الدعوة والفكر الشيعي[1]،وللتأويل عند الشيعة الإسماعيلية في الواقع دور خطير لأنه العلم الذي يعني بباطن المعنى أو رمزه أو جوهره، وهو حقيقة مستورة وراء لفظة (كلمة) لا تدل عليها، والتأويل الرجوع ومن هآل الشيء أي رجع وعاد[2]،كان جمهور مفسري المغرب يسيرون على المأثور عن النبي عليه السلام، وصحابته، وفق اتجاه الإمام مالك، متجنبين طريق التأويل والعقل الذي التزمه المعتزلة والشيعة[3]واتخذوه وسيلة لنشر مبادئهم وعلى أن المعتزلة اتخذوا العقل وسيلى لتقريب الصواب في اغلب الأحيان على حين اندفع غلاة الشيعة في تأويلات كانت موضع استنكار اهل السُنة.

ولقد وجد في المدن الحمادية الكبرى كبجاية والقلعة وجزائر بني مزغنة وتاهرت وبونة علماء اجلاء يقصدهم طالبوا العلم من الأندلس ومن البلاد المغربية الأخرى، وكانت لبعضهم شهرة على امتداد العالم الإسلامي، كما أن بعضاً من هؤلاء قد رحلوا إلى بلدان أخرى، وكانت لهم شهرة[4].

ولم تذكر المصادر التاريخية التي أرخت للشأن العبيدي في مجال علم التفسير وغيره من العلوم التي نحن في صدد دراستها والبحث عما تركه لنا فقهاء وعلماء منذ سنيين بأرض المغرب الأوسط، وإن وجدت فهي مفقودة،وأما في ميدان تفسير القرآن، فقد شكل مبدأ تأويل القرآن الذي أرسى الموحدون دعائمه في القرن السادس الهجري، الموافق للقرن الثاني عشر للميلاد، واستمر بعد ذلك عند الحفصيين والزيانيين في القرن السابع الهجري[5]، الموافق للثالث عشر للميلاد، نذكر منهم: المفسر أبي زكريا يحي الزواوي[6] ميعادا في بجاية بجامعها الأعظم يفسر فيه القرآن لعامة الناس ،كما وضع أبو الحسن الحرالي[7] كتاباً في فوانين التفسير بعنوان" مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل

---

(1)-عبد السلام الكنوني، المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي الى ابن عطية،ج1،ط1،مكتبة المعارف،1411هـ/1981م، القاهرة،ص182.

(2)-نفسه، ص182.

(3)-عبد الله على علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي،دارالمعارف بمصر،1971، ص296

(4)- محمد عيسى الحريري ،المرجع السابق، ص258.

(5)- الطاهر بونابي ،المرجع السابق، ص239.

(6)-أبوزكريا يحي الزواوي: الشيخ الفقيه الصالح العابد، من أقطار بجاية، ولد في بني عيسى من قبائل زواوة، قرأ بقلعة بني حماد على يد الشيخ ابي عبيد الله ابن الخراط، وغيره ثم ارتحل إلى المشرق، ولقي الفضلاء ولأخيار والمشايخ من الفقهاء والمتصوفة واهل طريق الحق، كان منذ ظهر بانيا على ترك الدنيا والانقطاع إلى الدار الاخرة، استوطن بجاية بعد رجوعه من المشرق ،وجلس بها لنشر العلم وبثه والدعاء إلى الله تعالى، فانتفع الخلق على يديه وظهرت عليهم بركته وفعلت فيهم سريرته الصالحة ونيته، ينظر: الغبريني، المصدر السابق،ص119، وابن الزيات، المصدر السابق، ص428.

(7)-أبو الحسن الحرالي: أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي، كان بدء أمره بمراكش، ثم تخلى عن الدنيا ورحل الى المشرق، ولقي جلة العلماء، ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص145.

"،وصنف تفسيراً للقرآن أحاط فيه بعلوم القرآن، سلك فيه سبل التحرير وتكلم فيه لفظة لفظة، وحرفاً حرفاً،وكان محل عناية البجائيين المدركين لمقاصد التأويل حيث علق عنه الغريني في قوله**:**" سلك في تفسيره مسلك البيان والإيضاح على نحو ما يقتضيه علم العربية، وعلم تنقيح المعقول، وما يبقى وراء هذا سوى علم الأسباب التي عند النزول وعند الحاجة إليها لابد من ذكرها[1].

ثانياً: علم الفقه:

-**لغة:** هو الفهم مصداقاً لقوله تعالى: " **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورً** "[2]،أي لا تفهمون، وقيل الفقه هو معرفة الأشياء الدقيقة. -- **اصطلاحاً:** هو معرفة الاحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد[3].

عرفه بن عبد الرحمن بن خلدون بقوله:" هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر، والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسُنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"[4]،وكما يتناول كل ما يعترض الإنسان المسلم من القضايا في حياته الذاتية، والاجتماعية، والاقتصادية[5].

يعتبر هذا العلم في نظر الإسلام جزء من الدين ومن أمور الدُنيا، حيث يتناول الفقه حياة الإنسان كلها من الصغر إلى آخر مراسم الدفن وهو إذن قواعد علمية نتيجة التطور واختلاف البيئات، ولعل الخطوات الأولى للفقه الإسلامي وُضع وقت الرسول-صلى الله عليه وسلم-وصحابته، وذلك قبل الانقسامات السياسية والخلافات العقائدية[6].

المذهب الفقهي الإباضي:

-**لغة:** هو الطريقة والمسلك،ويقال ذهب الشخص أي سار في طريقه ومسلكه .

-**إصطلاحا:** فهو استنتاج واستنباط الاحكام الفقهية تفسيراً لما ورد في القرآن الكريم والسُنة النبوية،أو عن طريق الاجتهاد،وهو أيضا مجموعة من الأفكار والنظريات العلمية والفلسفية[7].

---

(1)-نفسه، ص146.

(2)- سورة الاسراء، الآية 44.

(3)-أحمد بن زكريا التلمساني، غاية المرام في شرح مقدمة الإمام_، تحقيق: محند أو إيدر مشنان، المجلد1، ط1، دار التراث، دار ابن حزم،الجزائر،2005،ص281.

(4)-عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص563.

(5)-وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، ج1، دار الفكر، ط1، دمشق،1986،ص29.

(6)-صالح باجية، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية، ط1، الجامعة التونسية، الزيتونة للشريعة وأصول الدين، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس،1976، ص53.

(7)- مجموعة من اللغويين، المعجب العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،1986،ص487

نشأته:

يعد المذهب الإباضي أول المذاهب الفقهية في نشأتهحيث تذكر المصادر الإباضية أن اول من جاء يدعو إلى مذهب الإباضية هو سلمة بن سعد[1]الذي قدم من أرض البصرة إلى المغرب[2] ومعه عكرمة مولى بن العباس على بعير واحد،فسلمة بن سعد يدعو الى الإباضية وعكرمة يدعو الى مذهب الصفريةويروي الدرجيني على لسان عبد الرحمن بن رستم نفسه فيقول:" أول من جاء يطلب مذهب الإباضية ونحن بقيروان افريقية سلمة بن سعد،قال: قدم علينا من أرض البصرة...فسمعت سلمة يقول:"وددت أن لو ظهر هذا الأمر...يوماً واحداً،فلا آسف على الحياة بعده" [3]،ظهرفي القرن الأول الهجري في البصرةفهو أقدم المذاهب الإسلامية على الإطلاق،و التسمية جاءت من طرف الأمويين[4]،ونسبوه الى عبد الله بن إباض[5]وهو تابعي عاصر معاوية[6]

وتوفي في أواخر أيام عبد الملك بن مروان[7].

قام الإباضية بجهود مضنية في سبيل انتصار دعوتهم، واستطاعوا بعد كفاح مرير من تأسيس الدولة الرستمية الإباضية في بداية العقد السابع من القرن الثاني الهجري، وقد عمرت أكثر من قرن وثلث

---

(1)- سلمة بن سعد بن علي بن اسد الخضرمي اليمني، عالم وداعية إباضي أخذ العلم من أبي عبيدة مسلم، وهو أول داعية قدم إلى المغرب لنشر المذهب الإباضي سنة95هـ،ينظر:الدرجيني،المصدر السابق،ج1، ص11.

(2)-لا نعلم على وجه الدقة متى وفد هؤلاء الدعاة، ومن المرجح أن يكون ذلك مع نهاية القرن1هـ أو مطلع القرن2هـ،ينظر: عبيد بوداود ،ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي وتداعياتها ،مجلة المواقف، عدد خاص، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي،معسكر،افريل2008، ص303.

(3)-الدرجيني،المصدر السابق،ج1، ص11،وصالح باجية ،المرجع السابق،ص24.

(4)-بكير بن سعيد أعشت، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية،ط3،دار التضامن للطباعة،1408هـ/ /1988م، ص15.

(5)-عبد الله بن إباض: ت703/86م، بن تميمبن ثعلبة، من بني مرّة بن عبيد، من قبيلة تميم التي كان لها دور هام ي الأحداث السياسية في صدر الدولة الأموية ،نشأ في البصرة ،وعاصر فتنة افتراق المسلمين بعد صفين، يعد من التابعين، أدرك الكثيرمن الصحابة، ينظر:أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ،(456-384هـ)،جمهرة أنساب العرب، تحقيق:عبد السلام محمد هارون،ط5،دارالمعارف،القاهرة،ص218.

(6)-معاوية بن أبي سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القريشي الأموي، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وقيل بسبع، ينظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،773هـ-852هـ،الإصابة في_تميزالصحابة،ط1، المكتبة العصرية،1433هـ/2012م،صيدا،بيروت،رقم:8366،ص1431.

(7)-عبد الملك بن مروان: بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ولد في المدينة عام26هـ/647م) في خلافة عثمان بن عفان-رضي الله عنه-، ينظر: محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص66.

وقضى عليها العبيديون نحو عام 297هـ[1]،وهكذا فإن جهود مشايخ الإباضية وحملة العلم وتنظيماتها السرية الدقيقة خلال القرنين الأول والثاني الهجريين ،الموافق للقرن السابع والثامن للميلاد، قد اثمرت تأسيس دولة إباضية مستقلة في الجزيرة العربية وبلاد المغرب، كان لها دور هام في التاريخ الاسلامي[2].

- **مبادئ وأفكار المذهب الإباضي:**

- الصفات الالهية: هي عين ذات الله، نفيا لتعدد القدماء.
- رؤية الله لا تحقق للإنسان أبدا، في الآخرة فضلا عن الدنيا.
- القرآن مخلوق عند قسم منها، المغاربة خاصة، وغير مخلوق عند القسم الآخر[3]
- الخلود في الجنة والنار أَبَّديُ، لا يشقى من سعد في الآخرة أبدا، ولا يسعد شقي في الآخرة أبدا.
- الإنسان حر في اختياره، مكتسب لعمله، ليس مجبراً عليه، ولا خالقا لفعله.
- الإيمان قول وتصديق وعمل وليس قولا وتصديقا فقط دون عمل.
- ولاية المطيع والبراءة من العاصي والوقوف عند الضرورة واجب[4].
- النفاق منزلة بين الشرك والإيمان ولا منزلة بين الإيمان والكفر.
- إذا أطلقت كلمة الكفر على الموحد فالمقصود بها كفر النعمة وكفر الشرك.
- مصادر التشريع هي القرآن والسنة والرأي وهذا الأخير قد يأتي في بعض الأحيان بمعنى الاجتهاد أو الإجماع أو القياس[5].
- الصحابة كلهم عدول ورواياتهم مقبولة في الأحاديث المتعلقة بالفتن ممن خاض في الفتن، ولا بأس أن يقال: الحق مع فلان الصحابي بدليل كذا وكذا، وان الأولى للصحابي الفلاني، إلا يفعل كذا بحجة كذا وكذا[6].
- الإمامة فرض، ولا تنحصر في عنصر خاص، وإنما شرطها هو الكفاءة الشرعية.

---

[1]- عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، العدد27، ط3، 1415هـ/1994م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ص51، 52.

[2]- نفسه، ص52.

[3]- ابراهيم بحاز ، المرجع السابق،ص78، 79.

[4]- علي يحي معمر، الاباضية في موكب التاريخ ج1، نشأة المذهب الاباضي، ط1 ،مطابع دار الكتاب العربي ،مكتبة وهبة القاهرة، 1384 هـ/1864م ،ص83-87.

[5]- إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص78.

[6]- محمد بن يوسف أطفيش، المرجع السابق، ص37.

- أنواع الإمامة:

وتعرف عند الاباضية بمسالك الدين هي: إمامة الظهور والدفاع والشراء والكتمان[1]

أ- إمامـة الظهور:

وهي واجبة عندا تتوفر شروطها لتأسيس دولة اباضية المذهب، وشروطها هي أن يكون المسلمين من الاباضية أقوى من غيرهم بحيث يستطيعون انتخاب من يحكمهم علنا، وذلك طبقا لكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده، فيقوم إمام الظهور بالقطع والجلد والرجم وأحد الحقوق، وأحسن من يمثل هذا النوع من الإمامة التي تعتبر هي الأصل والواجب، الإمامة الرستمية ابتداء من إمامها الأول عبد الرحمن بن رستم.

ب- إمامـة الدفاع:

وهي مرحلة بين الظهور والكتمان، فإذا كانت الاباضية في طور الكتمان، وداهمهم العدو، فيجب عليهم أن يعلنوا حالة الدفاع عن أنفسهم ،ويعقدوا إمامتها لمن يعرف بالشجاعة والخبرة العسكرية ويطلق عليه اسم إمام الدفاع، له كل الصلاحيات التي لإمام الظهور إلا أن إمامته تزول بزوال الخطر الداهم، فإذا كان ذلك الانتصار تحولت جماعة الاباضية إلى إعلان إمامة الظهور ، بمبايعة إمام يحمل ذلك الاسم، ولا يشترط أن يكون هو إمام الدفاع السابق، أما إذا كانت نتيجة الدفاع سلبية عليهم تحولوا الى التقية والسرية ودخلوا مرحلة الكتمان مرة ثانية، ويعتبر أبو حاتم الملوزي في المغرب امام الدفاع[2].

ج- إمامـة الشراء:

وهي ان يخرج امام بأربعين رجلا فما فوق يبايعونه على الجهاد في سبيل الله ، ويسمون شراة لأنهم اشتروا الجنة بأرواحهم، والكلمة مستوحاة من قوله تعالى:" **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**"[3]،وقوله كذلك:" **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** "[4]،ولا يجوز للشراة بعد ان يخرجوا للجهاد الرجوع إلى منازلهم حتى ينقص عددهم عن ثلاث رجال، كما لا يجوز لهم استعمال التقية ما داموا

---

[1]–علي معمر، المرجع السابق، ج1، ص93–99،وعوض خلفيات، النظم الاجتماعية والتربوية ،في شمال_افريقية، في مرحلة الكتمان، عمان.، الاردن1982،ص109–113

[2]–ابراهيم بحاز، المرجع السابق ،ص79.

[3]–سورة البقرة، الآية207

[4]– سورة التوبة، الآية111.

قد هبوا في سبيل الله، ويعتبر مرداس وعروة ابنا جدير وأمهما أدية من الشراة ثارا ضد ولاة بني أمية بالمشرق[1]،ثارا ضد ولاة بني أمية.

د- إمامــة الكتمان:

وتعبر عن مرحلة الضعف التي تردّى إليها الإباضية، بحيث يركنون الى السرية، واستعمال التقية وينتخبون إماماً لهم عليهم، يكون عادة هو أعلمهم كجابر بن زيد الأزدي[2] ،وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[3] اللذين تزعما الاباضية في البصرة في القرنين الأول والثاني للهجرة ، وتقوم الاباضية في إمامة الكتمان بنشر دعوتهم سراً، دون إثارة أو دعوة للثورة اذ يجوز في هذه المرحلة البقاء تحت حكم غيرهم ما داموا عاجزين عن تغير الوضع لصالحهم[4]،ونستنتج من ذلك أن أغلب سكان تاهرت كانوا على المذهب في ظل وجود مذاهب أخرى، تنافسها في نشر فقه مذاهبهم بكل حرية.

اشتد حينها التنافس بين الفقهاء على اختلاف مذاهبهم فأفضى إلى غزارة التأليف، فكثرت المدونات الفقهية، ولا أدل على ذلك ما قاله ابن الصغير:" ..ومن بالبلد من فقهاء الإباضية وغيرهم من كوفيين ومدنيين لم يطلب بعضهم بعضا، ولا يسعى بعضهم ببعض.. إلا ان الفقهاء تتباحث المسائل فيما بينها، وتناظرت واشتهت كل فرقة أن تعلم ما خالفتها فيما صاحبتها..[5]،والجدير بالذكر أن الحلقات العلمية التي كانت تقام في تجاهرت بإشراف الأئمة الرستميين عليها في بعض الأحيان كان لها دور فعال في إثراء الفقه.

وجدنا علماء الإباضية في الدولة الرستمية صبوا جُل عنّايتهم على هذا العلم مما يمكن تَسْميتهم بالفقهاء، فبزر الكثير منهم ممن جعل شغله استخراج الإحكام من أصولها الشرعية، فظهر فيهم الفقيه المفتي، والفقيه القاضي، والفقيه الضابط بالقلم المدون لهذا العلم[6]،ذكرهم الشماخي في السّير،

---

[1]- الدرجيني، المصدر السابق،ج2، ص22.

[2]-جابر بن زيد الأزدي: يرجع المذهب الإباضي في نشأته وتأسيسه إليه بن زيد الذي أرسى قواعده الفقهية وأصوله، فهو إمام متحدث فقيه، وامضي بقية حياته بين البصرة والمدينة بشكل جعله على صلة بأكبر فقهاء المسلمين حينذاك، وقد روى عن بن عباس قال الناس: اسألوا جابر بن زيد فلو سأله المشرق والمغرب لوسعهم علمه،ينظر:الدرجيني، المصدر السابق،ج2، ص10.وبكير بن سعد أغوشت، المرجع السابق، ص16.

[3]-أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة: وقد اكتملت صورة المذهب الإباضي على يده، وبإشارته أسس الإباضية في كل من المغرب وتخرج على يده رجال الفكر والدين من مختلف الدول الإسلامية آنذاك عرفوا بحملة العلم، ينظر: الدرجيني، المصدر نفسه،ج2، ص45، وبكير بن سعد أغوشت، المرجع نفسه، ص17،18

[4]-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص80.

[5]-ابن الصغير ،المصدر السابق، ص117.

[6]- إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص311.

وقد كان التنافس على أشده بين المذاهب الإسلامية داخل العاصمة، وعلى شكل مناظرات بين الإباضية والمالكية[1]،والحنفية[2]،والمعتزلة[3]،والصفرية[4].

كان لهذا الجو التنافسي أثر في توجيه اهتمام العديد من العلماء إلى هذا العلم، فكان الإمام عبد الوهاب ،الذي ألف كتابا في الفقه الإباضي سماه " نوازل نفوسة "[5]،جاءت في حوالي ثلاث مائة سؤال، كما ألف الإمام أفلح بن عبد الوهاب كتاب الجوابات، الذي بحث فيه على أسئلة فقهية ومازال هذا الكتاب عبارة عن مخطوط يشمل ثمانين ورقة ويحتاج إلى التحقيق[6]،إلى جانبه الكثير من المؤلفات التي تحتاج إلى التحقيق.

ولا يمكن الحديث عن الفقه في الدولة الرستمية دون التطرق إلى واضعي أسس هذا العلم في هذه الدولة وفي المغرب الإسلامي بشكل عام ونعني بهم حملة العلم الخمسة [7]،فضلا عن الذين اختارهم الإمام عبد الرحمن بن رستم قبل وفاته لخلافته، لقد قام هؤلاء بجهود كبيرة لترسيخ المذهب الإباضي، ومن ثم إيجاد إطار سياسي يحميه ويضمن استمرار يته وهو الدولة الرستمية[8]

---

[1]-المالكية: هؤلاء أهل السنة ،يأخذون بفقه الإمام مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة وشيخ المدينة ،ينظر: أحمد تيمور باشا، المذاهب الفقهية الأربعة ،الحنفي والمالكي، والشافعي، والحنبلي وانتشارها عند جمهور__المسلمين،ط1،دارالأفاق العربية1421هـ/2001م،ص64،وعبد المنعم الحفني، الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ،ط1،دار الرشاد للطبع والنشر والتوزيع1413هـ/1993م،ص337.

[2]-الحنفية: يقال الأحناف أيضا، وهم أتباع مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت فقيه العراق وإمام الأئمة، وكان ظهوره في عصر كثرت فيه الفرق الإسلامية، ينظر: عبد المنعم الحنفي، المرجع نفسه، ص189.

[3]-المعتزلة: يسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، وأصول مذهبهم هي التوحيد والعدل والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن خالفهم في التوحيد سموه مشركاً، ومن خالفهم في الصفات سموه مشبهاً، ومن خالفهم في الوعيد سموه مرجئاً، ومن اكتملت له وتحققت فيه هذه الأصول الخمسة فهو معتزلي، ينظر: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاستقرائني، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت (د.ت)، ص118.

[4]-الصفرية: هم أتباع زياد بن الأصفر، وهم في آرائهم أقل تطرفاً من الأزارقة، ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ،دار الفكر العربي للطبع والنشر، ،(د.ت)،القاهرة، ص72.

[5]-نفوسة: إذ يعتبر جبل نفوسة حصناً هاماً للإباضية، وخلال قرن كامل أبدى أهل نفوسة مساندتهم الكاملة للدولة الرستمية، ينظر: ،Jean des pois, le djebel nefoussa, paris, 1935.p286.

[6]-بلحاج معروف، المرجع السابق، ص 244، 245.

[7]-وهم إسماعيل بن درار الغدامسي حي سنة211هـ/826م، وأبو داود القبلي النفزاوي، وعاصم السدراتي وعبد الرحمن بن رستم، وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المغافري وهو من اليمن وقد ألتحق بهؤلاء الأربعة حينما كانوا في لبصرة يتلقون العلم على أيدي أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، وكان ذلك بين 135هـ إلى 140هـ،ولا يوجد في المصادر ما يثبت التقاءهم، ينظر: محمد عيسى الحريري، المرجع السابق ،ص81.

[8]-محمد عليلي، المرجع السابق،ص83

،وإن حرية الفكر وإفساح المجال أمام المذاهب الأخرى غير الإباضية أفضى إلى نتيجة ايجابية وهي ازدهار الفقه، لأن التنافس بين الفقهاء على اختلاف مذاهبهم أدى إلى غزارة التأليف، فكثرت بذلك المدونات الفقهية[1]،وأدلّ على ذلك ما ذكره ابن الصغير:.. ومن بالبلد من فقهاء الإباضية، وغيرهم لم يطالب بعضهم، ولا سعى بعضهم ببعض، كانت مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون فيه وخطيبهم لا ينكرون عليه شيئاً إلا أن الفقهاء تناجت المسائل فيما بينهم وتناظرت واشتهت كل فرقة أن تعلم ما خلفتها فيه[2].

لقد كانت هذه الفترة، البداية الحقيقية للاجتهاد الفقهي في المغرب العربي ، خاصة بالنسبة للمذهب الإباضي الذي بدأت تعالمه تأخذ شكلها النهائي بتدوين آرائه الفقهية، وهي عملية لاشك انها انطلقت في زمان الدولة الرستمية[3]،ومن بين الذين تصدوا الى المسائل الفقهية في هذه الحقبة الزمنية كذلك على سبيل المثال:

1-عبد الله بن الخير الونزريفي (أبو محمد)،كان حياً في 283هـ/896م[4]:من تين ورزيرف بجبل نفوسة،،وبرع حتى كان من شيوخ نفوسة،وله حلقة علم ومجلس ذكر، كان عالماً فاضلاً أثيراً كانت الأمثال تضرب به[5]،وكانوا يقولون: "من ضيع كتاباً كمن ضيع خمسة عشر عالماً مثل عبد الله بن الخير"[6]،ولا شك ان المثل يعبر عن منزلته العلمية،إذ الكتاب في ذلك الوقت هو اعز ما يطلب،وهو زمان ليس من السهل توفير الورق أو المداد لإعادة استنساخ الكتاب الضائع[7]،أخذ العلم عن أبي ذر إبان بن وسيم الويغوري النفوسي[8]،ذكر أنه كان يقول:" العلماء يقولون أذا النجس يتوجه من تسعة وتسعين وجهاً، والطهارة من وجه واحد، وغلبت الطهارة" [9]، **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**[10]،وهذ إشارة أخرى على أنه كان من المشايخ الفقهاء الثُقاة.

---

(1)-نفسه،ص83.

(2)-ابن الصغير، المصدر السابق، ص117.

(3)-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص311.

(4)-أبو العباس الدجيني، المصدر السابق، ج2، ص130.

(5)-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص314.

(6)-أبو العباس الدجيني، المصدر السابق، ج2، ص131.

(7)-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص318، 319.

(8)-أبو العباس الدجيني، المصدر السابق، ج 2، ص114 وما بعدها.

(9)- نفسه،ص131.

(10)- سورة الحج، الآية 78.

2- عمروس بن فتح المساكني النفوسي،أبو حفص،(تـ283هـ/896م)[1]:من أبناء نفوسة،ولد في طريق الحجِّ، ونشأ في قرية قطرس من أرض الرحيبات بجبل نفوسة[2]،عاصر الإمام أبا اليقظان محمد بن أفلح وتلقى علمه على مشايخ الجبل، ولم يشغله الجهاد في سبيل الله عن طلب العلوم والتَّفقُه في الدين حتى صار أعلم أهل زمانه.

ولم يلهه التبحُّر في العلم عما تعين عليه من مصادرة تلك الهموم، فكابد وصابر وعُرف بالحفظ والاجتهاد والمعرفة والدراية، تولى القضاء بجبل نفوسة في أواخر الدولة الرستمية، قام باستنساخ مدونة أبي غانم[3]،التي لها أهمية في الفقه الإباضي حيث يعتمد عليها بعد القرآن الكريم والسنة الشريفة ومسند ربيع،وله عدة تصانيف في الفقه والعقيدة، فقد ألف كتابه المسمى بالعمروسي والمعنون بالدينونة الصافية، وله رسالة في الرد على الناكثة وأحمد بن الحسين[4].

3- عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ(أواخر:القرن3هـ/9م[5]:محمد بن افلح فقيه من تاهرت، من مشايخ تاهرت الرستمية و فقهائها،أخذ العلم من علماء عصره ،لذا رشحه فقهاء زمانه لتولي القضاء وعمل مع إدارة الحسبة والشرطة للقضاء على الفساد، عاصر الإمامين أبي اليقظان وأبي حاتم يوسف، وقد كان متطلعاً في الفقه[6]،ومجموعة أخرى من العلماء والفقهاء أمثال ابن أبي عياض اللواتي الذي عاش في القرن الثالث الهجري ،الموافق للقرن التاسع للميلاد، بين عهدي أبي حاتم يوسف ويعقوب بن افلح[7]،وأبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي الذي كان يشتغل بالتدريس في الفقه واللغة بجبل نفوسة[8].

---

(1)- أبو العباس الدرجيني ،المصدر السابق،ج2، ص135.

(2)-جمعية التراث، المرجع السابق،ج2، ص321، 322.

(3)-يذكر في هذا السياق انا أبا غانم بشر بن غانم الخرساني خرج من المشرق متوجهاً نحو المغرب قاصداً الإمام عبد الوهاب ومعه مدونته،وأثناء مروره بجبل نفوسة استودعها عند عمروس بن فتح الذي عكف هو وأخته على استنساخها، وكان الكتاب في اثنى عشر جزءاً، وفي إثر هذا كان ما كان من تلف ديوان تاهرت، ولو لا تمسكه بهذا الكتاب لم يبق لأهل المذهب بجهات المغرب ديوان يعتمد عليه،ينظر:الحبيب الجنحاني، ،دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي،دارالطليعة، بيروت، لبنان، 1990، 1990،ص105،وابي العباس الدرجيني، المصدر السابق،ج2، ص138.

(4)-جمعية التراث، المرجع السابق، ص322.

(5)-سليمان الباروني، المرجع السابق، ص68،

(6)-محمد عيسى الحريري،المرجع السابق، ص178،

(7)-جمعية التراث، المرجع السابق،ج2، ص273

(8)-أبو العباس الدرجيني ،المصدر السابق، ج1،ص110.

نستنتج من خلال عرض لهؤلاء الفقهاء والعلماء مكانة كبيرة ومهمة عند أئمة بني رستم الشيء الذي دفعهم الى تعيينهم في أعلى مناصب في السلطة مثل القضاء باعتباره جهازاً إدارياً مهماً وحساساً له علاقة وطيدة بالفقه، ولأن إصدار الأحكام القضائية يجب أن يتطابق مع الأحكام الفقهية الشرعية هو أن يكون المؤهل له درجة عالية من الفقه والفتوى.

كان لهؤلاء الفقهاء أو المشايخ الإباضية دورُ في إثراء الفقه الإباضي،اذ يعتبرون من الأوائل الذين حملوا المذهب في المغرب، فكانت لهم فتاويهم واجتهاداتهم وأحكامهم في العديد من النوازل فمنهم من دونها في تصنيف له، ومنهم من تركها شفوية تروي عنه في كتب السير والتراجم[1]،وهو الأغلب، ولم يقتصر الإنتاج الفقهي على المذهب الإباضي فحسب بل فتح المجال لمختلف العلماء والفقهاء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم الفكرية ،مما مكّن من وجود تعايش مذهبي جعل من تاهرت رمزاً لما يمكن أن نسميه "حواراً مذهبياً "إلا ما كان يعترض هذا التعايش من تصادم بين الإباضية والمعتزلة الواصلية وأسبابه في غالب الأحيان النزعة القبلية[2]،وإلى جانب هؤلاء الفقهاء الاباضية وكانوا من الكثرة، بحيث اقتصرنا على أهمهم، وهناك طائفة من العلماء غير الاباضية، خاصة بالعاصمة تاهرت التي كانت تعج بالفرق، ومما يدل على كثرتهم قول ابن الصغير: " وكانت مشايخ البلد من غير الإباضية قد استولوا عليه "[3]،ومنهم رجل يعرف بأبي مسعود وكان كوفياً فقيهاً بمذاهب الكوفيين، ومنهم شيخ يعرف بأبي دنون، كان على مثل صاحبه من الفقه الكوفي، ومنهم رجل يعرف بعلوان ابن علوان لم يكن من أهل الفقه ولكن كانت له رياسة في البلد ومحبة عند العوام"[4].

وسبق وذكرنا أن تاهرت فتحت أبوابها أمام الوافدين إليها دون تضييق أو تعصب في ظل الأمن والأمان الذي عمل أئمة الدولة الرستمية على توفيره جعل التنافس العلمي هو المحك الذي يبرز تفوق الفقهاء، لذلك كان من الطبيعي أن يتواجد عدد من الفقهاء وعلى وجه التحديد فقهاء المالكية، نذكر منهم:" أبو الفضل العباس بن محمد الصواف الغدامسي (ت309هـ/921م) [5] ،وإبراهيم بن عبد الرحمن التنسي سمع من أبي علي القالي (تـ 307هـ/919م)[6]،وكذلك الفضل بن سالم البجائي (تـ 319هـ/931م) .

---

[1]-المقصود العلامة أبو يوسف إبراهيم الورجلاني، في مؤلفه الدليل والبرهان في جزئين.

(2)-محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص323.

(3)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص92

(4)-نفسه، ص92

(5)-معروف بلحاج ،المرجع السابق، ص246.

(6)-رابح بونار ،المرجع السابق، ص92.

كان له باع كبير في الفقه من تآليفه" جامع المسائل الموازنة والمستخرجة"[1]،وهذه الجماعة من الفقهاء التي ذكرناهم في موضوع البحث لعبت دور كبير ومُهم في نشر المذهب الإباضي في الكثير من مناطق المغرب الأوسط، إلى جانب مذاهب أخرى وسط نوع من الحرية المذهبية.

- الفقه الإسماعيلي الشيعي:

تعريف الشيعة: أ/ لغة:

قال الجوهري رحمه الله:" شيعة الرجل أتباعه وأنصاره، يقال شايعه كما يقال والاه من الولي، وتشيع الرجل أي أدعى دعوى الشيعة وتشايع القوم صاروا شيعا، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع ،والشيعة هم كذلك الأتباع والأنصار ،وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة صفا لجماعة معصومة فالشيعة من حيث مدلولها اللغوي تعني القوم والصحب والأتباع والإخوان[2]،وقد ورد هذا المعنى في بعض آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى:"...**فوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ** ۖ."[3]،وقال تعالى:" **وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ**."[4]،فلفظ الشيعة الآية الأولى تعني القوم، وفي الآية الثانية تشير إلى الأتباع،وقوله عزّ وجل:" **وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚإِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ**[5]،أي بأمثالهم من الأمم الماضية ،وعند ابن منظور هي الفرقة من الناس[6]،كقوله تعالى:".. **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚإِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** "[7]،أي فرقاً واحزاباً ،وقوله تعالى:". **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَافِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚإِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**"[8].

---

[1]-رابح بونار ،المرجع السابق ، ص93.

[2]-علي محمد الصلابي ،الدولة الفاطمية،ط1، 1427هـ/2006م،مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ص12

[3] - سورة القصص، الآية15

[4]-سورة الصافات، الآية83

[5]-سورة سبأ،الآية54.

[6]-ابن منظور، المصدر السابق ،ج8، ص189.

[7]-سورة الأنعام، الآية105.

[8]-سورة القصص، الآية4

إن التشيع كما ذكر" الشهرستاني" مبدأ يقوم على حب آلا البيت من عِترة الرسول–صلى الله عليه وسلم –ويقضي بحصر الإمامة بعده في علي بن أبي طالب بالنص ،ثم في أبنائه وأحفاده[1]، فالتشيع بمعناه اللغوي هنا يعني المناصرة، والمتابعة، أو الإجماع على أمر، أو التحزب لشخص.

ب/ اصطلاحــا:

كلمة "شيعة" اتخذت معنى اصطلاحياً مستقلاّ حيث أطلقت على جماعة اعتقدوا أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي ترجع إلى نظر الأمة، وبتعين القائم بها بتعيينهم، بل إنها ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفالها و لا تفويضها إلى الأمة ،بل يجب أن يعّين الإمام للأمة[2]. فقد قال:"...شيخ أهل السنة والجماعة الإمام أبو الحسن علي بن أبي اسماعيل الأشعري في صدد ذكره للشيعة:" وإنما قيل لهم الشيعة: "لأنهم شايعوا علياً–رضوان الله عليه–ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم"[3]،أما تسميتهم بالشيعة والرافضية فلتمذهبهم بمذهب شيعة المشرق والرافضية من سبهم للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ورفضهم للسنة وإتباعهم للبدعة ومدحهم لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه دون سواه[4].

وأما تسميتهم بالعبيدين فذلك نسبة لجدهم عبيد الله الشيعي أول ملوكهم[5]،وأما تسميتهم بالعلويين، والفاطميين فذلك نسبة لجدهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وجدتهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله– صلى الله عليه وسلم، اختلفت المصادر التي أرخت لهذه الفترة في حقيقة نستهم وما قيل فيه عبر العصور، وحتى الدراسات الحديثة.

فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعد، فتعريف الشيعة في الصدر الأول: أنهم الذين يقدمون عليا على عثمان فقط[6]،لهذا ذكر ابن تيمية:" أن الشيعة الأولى كانوا على عهد علي– كرم

---

(1)–أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني،(548–479هـ)،الملل والنحل،ج1، تحقيق: محمد سيد كيلاني،ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر،1395هـ/1975م، ص146.

(2) –علي محمد الصلابي المرجع السابق، ص11

(3)–أبو الحسن علي بن أبي إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،ج1،ط1/1369هـ/1950،مكتبة النهضة المصرية، ص65.

(4)–لآغا بن عودة المزاري ،طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن_التاسع عشر،تحقيق ودراسة :يحي بوعزيز، ج1،دار البصائر الطبعة الأولى 2007،الجزائر،ص116.

(5)–نفسه،ص116

(6)–ناصر بن عبد الله القفاري،أصول مذهب الشيعة الإماميةالإثنى عشرية،ج1،دار الرضا للنشر والتوزيع، ،الجيزة،مصر 1418هـ/1998م، ص64

الله وجهه – كانوا يفضلون أبا بكر وعمر [1]،ولهذا سمي الطاعنون على الشيخين بالرافضة[2]،ويقول الذهبي: بضربين من التشيع، تشيع أصغر، أو بدعة صغرى كالتشيع بلا غلو، وبدعة كبرى كالرفض الكامل ،والغلو فيه، فالشيعي الغالي في زمان السلف هو من تكلم في عثمان و الزوبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليا– كرم الله وجهه –وتعرض لسبهم، والغالي في زمننا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، وتبرأ من الشيخين فهذا ضال مفتر[3]،وإن التشيع درجات، وأطوار،كما أنه فرق وطوائف، فقد أنقسم إلى عدة فرق حسب الشهرستاني[4]،وكل فرقة تشعبت إلى فرق عديدة ومن أشهرها الإسماعيلية. وقد انقسم الشيعة إلى فرق عدة، وأساس الاختلاف بينها شيئان: اختلاف في المبادئ والتعاليم، فمنهم المغالي المتطرف في التشيع الذي يسبغ على الأئمة نوعا من التقديس، ويبالغ في الطعن على من خالف عليا وحزبه إلى درجة الكفر، ومنهم المعتدل المتزن الذي يرى أحقية الأئمة في اعتدال، وخطأ من خالفهم خطأ لا يبلغ الكفر[5]،ولاختلاف في تعيين الأئمة، فقد أعقب عليّ وأبناؤه كثيرين، واختلف الشيعة فيما بينهم على الأئمة من ذرية علي، فمنهم من يقول هذا، ومنهم من يقول ذاك، فكان ذلك أيضا من أسباب الاختلاف[6].

أفكار ومعتقدات المذهب الإسماعيلي:

– ضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل على أن يكون الابن الأكبر وقد حدث خروج على هذه القاعدة عدة مرت.

– العصمة لديهم ليست في عدم ارتكاب المعاصي والأخطاء بل إنهم يؤولون المعاصي والأخطاء بما يناسب معتقداتهم.

– من مات ولم يعرف إمام زمانه ولم يكن في عنقه بيعة، له مات ميتة جاهلية.

– يضفون على الإمام صفات ترفعه إلى ما يشبه الإله، ويخصونه بعلم الباطن، ويدفعون له خمس ما يكسبون.

---

[1]–أحمد بن تيمية ،مجموع الفتاوى،ج3،دار الفضاء بالمنصورة،ط1،مكتبة العبيدات،الرياض،1418هـ /1998م،ص153.

[2]–الرافضة: هي إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت،مع البراءة من أبي بكر وعمر ،وسائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ،أنظر: أبو حسن الأشعري، المرجع السابق،ص89.

[3]–شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال،ج1،تحقيق:علي محمد البجاوي ،دار المعرفة ،بيروت، لبنان، ص5.

[4]–الشهرستاني، المصدر السابق،ج1، ص147.

[5]– أحمد أمين، ضحى الإسلام،ج3،ط7،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة، ص210.

[6]–نفسه، ص210.

– يؤمنون بالتقية، والسرية ويطبقونها في الفترات التي تشتد عليهم فيها الأحداث.

– الإمام هو محور الدعوة الإسماعيلية، ومحور العقيدة يدور حول شخصيته.

– الأرض لا تخلو من إمام ظاهر مكشوف، أو باطن مستور فإن كان الإمام ظاهر أجاز أن يكون حجته مستوراً، وإن كان الإمام مستوراً، فلا بد ان تكون حجته، ودعاته ظاهرين.

– يقولون بالتناسخ، والإمام عندهم وارث الأنبياء جميعا ووارث كل من سبقه من الأئمة.

– ينكرون صفات الله، أو يكادون لأن الله–في نظرهم–فوق متناول العقل، فهولا موجود، ولا غير موجود، ولا عالم، ولا جاهل، ولا قادر، ولا عاجز، ولا يقول بالإثبات المطلق، ولا بالنفي المطلق، فهو إله المتقابلين، وخالق المتخاصمين، والحاكم بين المتضادين، ليس بالقديم، وليس بالمحدث، فالقديم أمره، وكلمته، والحديث خلقه، وفطرته[1].

وكانت هذه الأفكار والمعتقدات التي جاء بها الفاطميين سبباً رئيسياً في وجود خلافات، وصدّامات بينهم، وبين أهل السنة والجماعة، حيث شمل جميع المجالات التي لم يتفق فيها الفريقين، ولم يتخذا موقفاً موحداً في الكثير من الأمور العقائدية والمذهبية رغم الدراسات الحديثة حول الفكر أو الفقه الإسماعيلي الذي انتشر بأرض المغرب الأوسط، ولقى معارضة شديدة من قبل أهل السُنة من فقهاء وحتى من عامة الناس، خاصة بعد الإعلان على قيام دولتهم والتي كلفت أمهر الدعاة على نشر المذهب الشيعي، ورفض غيره من المذاهب.

أمتّاز المذّهب الإسمّاعيلي في عهد بني عبيد بأرستقرّاطية دينّية متعّالية وبسيّاسة مُلوكية مقدسّة يعتمد فيها على الدّعاية المنظمّة المشوبة بأسرّار دينيّة، وبخطط سيّاسية ماهرّة[2]، استخدّمت شّتى الوّسائل التي تمَكن من خلالها دُعاة هذّه الطائفة لنشّرِ مذّهبهم بين الناس ومحاولة التخلص من بقية المذّاهب الأخرى التي كانت سائدة آنذاك، واعتبرت الدعاية السياسية في مقدمة العوامل التي تساعد على نشر أي مبدأ من المبادئ، وتمكينه وغرسه، وتهيئة الأفكار لتقبله، لهذّا السلاح أثره الفعّال في تكوين الرأي العام في القديم والحديث، ولا تستّغني عنه أيه دولة من الدول في أي مكان وزمان من أجل نشّر أفكارها، والدّفاع عن نظريّاتها والتعريف بمبادّئها[3]،كان أسلوب الدّعاية المذّهبية الذّي أعتمّده العبيديون لجلبِ الأنصّار قد مكنهم إلى حد بعيد من بلوغ أهدّافهم السيّاسية من خلال

[1]–مانع بن حماد الجهني،الموسوعة الميسرة في الأديان،والمذاهب،والأحزاب المعاصرة،ط1420/4هـ ،ج1،الناشر :دار الندوة العالمية للطباعة، والنشر والتوزيع، ص387.

[2]–رابح بونار، المرجع السابق، ص163.

[3]–مرمول محمد الصالح، المرجع السابق، ص129

الشعارّات البرّاقة التيّ حاول أبو عبد الله الشيّعي تمريرها بين قبائل كتامة، تراه مثلاً يناديهم "الأخيار "[1]،وأحياناً أخرى" بالإخوان"[2].

أنّ للشّيعة تأويلات اختّصوا بها ويرفضون كل ما روّى عن غيّرهم من المذّاهب[3]،وقد جنّدوا كل إمكانيّاتهم لفرضِ وجودهم بشتّى الوسّائل ومن بينها قِطّاع التّعليم، حيّث وجهوه ورّاقبوا مختّلف نشّاطاته فضّايقوا وحاصّروا كل تّعليم وثقّافة لا يخدمان مصلحّة دولتهم، ولا يتمّاشيان مع نحلتهم ومذّهبهم[4]،وبما أنّ دولة العبيدين لم تكن امتداداً في مذّهبها الدينيّ وخُطتها السّياسية ونظامها الإدّاري، إلى الدول التي كانت موجودّة قبلهاً بالمغرب الإسلامي[5]،التيّ اعتبّروها غير شرعية، ولأن رجالها لم يكونوا من آل البيت حسب زعمهم ،استغّل خلفّاء بني العبيد وجوّدهم ببلاد المغرب الإسّلامي، وأنهم بذّلوا جهود جبارة من أجل غرس جذور مذهبهم القائم على التقية والتستر إلى يومنا هذا عبر ربوع العالم .

وعملوا على طمس معّالمه الحضّارية ومحوها من الوجود، حتى يتسنىّ لهم بثّ أفكارهم بين تّلك المجتمّعات التي كانت متعطشّة للسماع عن سيرة آل البيت–رضوّان الله عليهم–،وخلفائها الذين سينشّرون العدّل والمحبّة بين النّاس من خلال مشّاريعهم في تلك الأرض، فقد عمّدت هذّه الدولة إلى طمس معالم حضّارة تلك الدول ومحوِ آثارها وإخفّاء أخبّارها، حتى تقطع كل صّلة لها بالماضي والحاضر ،ومن ثم يتسنّى لها غرس نفوذّها، وأنها أزّالت أسماء الأمرّاء المنقوشّة على بعض المعّالم والرسّوم ،وكتبت بدلها أسماء رجالها كي تنْسب تلك المعالم إليها[6]، وهذّا يعتّبر محاولة لتشويه الحقّائق التّاريخية، وبدون شّك فإن قصد العبيدين من هذّا هو البرهنّة على ما حققوه من نتّائج في ميدّان التّعليم والثقّافة والحضّارة بصفّة عامة، إنما إنشاؤه من العدم، وإن الفضّل يعود إليهم وحدهم في تحضير وتمدين بلاد المغرب.

ويلاحظ أن المذّهب الشّيعي يوحي إلى الأذّهان بمذّهب الخوّارج وهو مذّهب مشّرقي أيضاً، كان على البربر الانّضمام إليه وان المذّهب السُّني كان يرفض هذّين المذّهبين اللذّين يمّثلان مبدأين متعارضين فالخّارجية ترى أن الاستفّتاء هو أسّاس الوُّصول للحكم، ويعتبّرون أنّ جميع المسلمين

5–تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ ...،ج1،المصدر السابق، ص57.

6–القاضي النعمان، المصدر السابق،ص123.

1–مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية_،دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دارالثقافة،1984، بيروت،لبنان،ص15.

(4)–مرمول محمد صالح، المرجع السابق، ص271.

(5)–نفسه، ص271.

(6)–مرمول محمد صالح، المرجع السابق ، ص272.

متسّاوين وليس هنّاك اعتّبار للجنس، بينما يرّى الشّيعة أن الإمام الشّرعي الوحيد يجب أنّ يكون من عِترة النّبي-صّلى الله عليه وسّلم- ويرفعون عائلة علي-رضي الله عنه-فوق الإنسّانية أجمع[1]،وكانت الأفكّار والمعتقّدات التيّ جاء بها سبباً رئيسياً في وجود خلافات وصدّامات بينهم وبين أهل السّنة والجماعة، حيث شمل جميع المجّالات التي لم يتفق فيها الفريقين، ولم يتخذا موقفاً موحداً في الكثيّر من الأمور العقآئدية والمذّهبية، قد استطاعت أنّ تبسط سُلطانها ونفوذّها في بلاد مختلفّة من العالم الإسلامي في أزمنّة مختلفّة، وفي الوقت الذّي ظّهر فيه عبيد الله المهدي ببلاد المغرب الإسلامي وأسس الدولة الإسماعيلية، وحيث كان لها نُظم خّاصة للدّعاية لمذّهبهم وامامهم، وكان لهم دُعاة محنّكون من ذّوي المؤاهب الخّاصة، لذّا استطّاع بهم إمامهم أن ينشُّر دّعوته وعقيدّتهم[2].

ونجد بأنّ كل عقيدّة تعمل الدولة على محاربتها لإن التمّسك بها يزدّاد ويشتد أكثر من السابق، فرّغم محاوّلات الدّاعي الشّيعي أبي عبد الله والخُلفاء الفاطميين بعده من أجل طمسْ معالم المذّاهب التيّ كانت موجودّة بالمغرب وفي مقدّمتها مذّهب مالك، فإنهم لم ينجّحوا النّجاح المطلوب، وإن فرضوا مذّهبهم بالقوةّ، بل نتَج عن هذّه السّياسية رّد فعل عنيفْ واضطرّابات وقلاقل حيث تعّتبر سيّاستهم المذّهبية إحدى العوامل التي أذكتْ نار الثورّات سوّاء من طرف السُنيين أو غيرّهم[3].فقد رأى عبيد الله بعد أن أخفقَ في تعميم مذّهبه بين رعايّاه، ونشّر بدأ تقديس الأئمة بين المغّاربة خاصة، أن ينشُّر خصّائص الدّعوة الإسماعيلية بين العّامة.

ظّل أسلوب الدعّاية الإسماعيلية قبل الخلافة العبيدية يختّلف عنه بعد قيامها، فقبل قيامها لم يكن لها قوةّ عسّكرية تُساندها بل اعتمّدت في الغالب على الاقناع، أما بعد قيامها فإنّ هذّه الدّعاية استمّرت ولكنها اعتمّدت أيضاً على قوةّ الدولة في فرض مبّادئها بحيث كان نشر المذّهب الإسماعيلي وغرسِ مبّادئه إحدى مُهمات الدولة لأنه وسيلة من وسّائل خدمتها وقوتها[4]،فقد كان لهذّه الدعوّة مراتبها وأساليبها المختلفّة بحسب دّرجة المؤمنين واستعدادهم النفسي ومزاجهم العقلي ومبلغ ثقافتهم إلى غير ذّلك من الاعتبارات التيّ نحسب أنّ الدعوّة كانت حريصّة على مراعاتها، واستخدمت الدولة جهّاز الدعوّة في استمالة فقهاء أهل السنة وإن هي استطاعت إقنّاعهم واستخّلاصهم لها وضّمهم

---

[1]- جورج مارسيه، بلاد المغرب، وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، راجعه واستخرج نصوصه: مصطفى أبو ضيف احمد، نشأة الإسكندرية، ص151.

[2]-محمد كامل حسين، طائفة الإسماعيلية – تاريخها، نظمها، عقائدها، ط 1 ،1959،مكتبة النهضة المصرية،ص130.

[3]-مرمول محمد الصالح، المرجع السابق، ص131.

[4]-نفسه، ص130.

إليها فقد توّطد الأمر لها [1]،وتستّطيع بذّلك أن تضمن وتطمئن من ناحية عامّة النّاس الذّين يتبعون هؤلاء الفقهاء ويثقون بهم ويجعلون زمامهم بأيديهم ،وقد رأى الخلفّاء العبيديين بأنّ بقاء الدولة يتوقف على انتشّار المذّهب رغبّة أو رهبّة.

لم يستطع المذهب الشيعي في زمن بني عبيد أن ينتشر في بلاد المغرب الأوسط أو أن يتغلغل في قلوب الناس فكثير من العلماء والناس أذعنوا أمام انتصارات الشيعة[2]، لكنهم استمروا متعلقين في أعمالهم بمذهب أهل السنة وكانت اتجاهات مذهب مالك مستقرة في قلوب الناس.

وبعد رحيل العبيدين إلى مصر وتولى بني زيري الحكم نيابة عنهم أصح المذهب الشيعي مهددا وهو الذي لم يستطع أن يمد جذورا عميقة في البلاد وخصوصاً أن هَمْ ولاة العبيدين لم يكن العقيدة والشريعة بقدر ما كان توطيد الحكم، فطالما كان سلطاتهم محترما لم يتشددوا في سائر الأمور بل تركوا لكل أن يسلك المذهب الذي يرتضيه[3]،لذلك نشط أهل السنة وبصفة خاصة المالكية في استعادة نفوذ هم ومكانتهم في البلاد وكانت الارض ممهدة لهم والشعب على استعداد لتقبل أفكارهم لكن بعد أن استقل حماد بن بلكين بالمغرب الأوسط و خلع ابن أخيه الأمير باديس وقتل الشيعة، وأظهر السُنة ورضَى عنْ الشيخين ونبذَ طاعّه العبيديين جملة[4]،وقد اشتهر عدد من الفقهاء في هذا العصر وعلى رأسهم عبد الله بن يحي العبدري وكان محدثا فقيها وعبد الله بن حمود وأصله من تاهرت وعبد الله بن زاهر الذي استوطن بونه[5]،وكذلك أبو عبد الله محمد بن علي المشهور بابن الرمامة ولد بقلعة بن حماد ومن كتبه "تسهيل المطلب في تحصيل المذهب" وقد أصبح مذهب مالك منذ أن طرح المعز بن باديس مذهب الشيعة هو المذهب الذي يحظى بمكانة رفيعة عند الفقهاء في معظم أنحاء المغرب الأوسط[6].

لم تذكر لنا المصادر الشيعية، وحتى السُنية أخبار وتراجم عن علماء وفقهاء تركوا لنا مؤلفات في المذّهب طيلة وجودهم في المغرب الأوسط، وإن وجدت فهي في حكم المفقود بسبب الحسّاسية المفرطة التي ظلت قائمة على يومنا هذا بين المذهبين السُني والشيعي، وبسب الخلافات والصدّامات

---

[1]- أمين فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد ، طبعة مصر ،1992م،ص37

[2]- عفيفي محمود إبراهيم عبد الله، مظاهر الحضارة في بلاد المغرب منذ انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر_حتى منتصف القرن السادس الهجري: أطروحة الدكتوراه في التاريخ (مرقونة) قسم التاريخ الاسلامي، كلية الأدب، القاهرة 1980،ص 295.

[3]- الفر ديل، المصدر السابق، ص206، 207.

[4]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص227، 228.

[5]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 260.

[6]- عفيفي محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 295.

التي كان يشهد حقل العلوم من خلال المناظرات الفقهية، ومجالس الجدل وحلقات العلم التي كانت تُقام تحت رعاية الأمراء، ولكن نتأسف كثيراً لعدم وجود انتاج فكري لهؤلاء الفقهاء، ونعتقد أنهم ما بخلوا على البشرية على كتابة انتاجهم العلمي والفكري رغم الظروف التي كانت آنذاك، وتبقى أسئلة كثيرة مطروحة بهذا الشأن تنتظر إجابات حول الكثير من الأمور التي تخص العلوم الدينية في العهد العبيدي، ويمكن القول أن هذا كان نتيجة الأساليب التي استخدمها دعاتهم و التي لم تلقى استحساناً من طرف أهل السنُة.

لم يأت عهد الزيريين والحماديين إلا وأصبحت البلاد تنافس المشرق والأندلس في جميع مسارب هذه الثقافة الفكري منها والأدبي والعلمي والفني والحضاري[1]،فلقيت هذه العلوم المختلفة حُب واهتمام من طرف آل حماد وحَفِلتْ بها المجامع والمعاهد الدينية، وقد أَسِستْ المساجد، فكانت المجال الخصب لازدهارها، وقد نجح العصر الحمادي في أن يقدم في مجال العلوم الشرعية عديداً من العلماء في سائر الفروع[2].

فقد رصدت لنا كتب الطبقات والتراجم والمناقب ما يزيد عن243 عالماً، وفقيهاً وأديباً، ومجمل علماء الدولة الحمادية ينتمون جغرافياً إلى عدة مناطق ومدن تابعة للنفوذ الحمادي، ومن الأندلس أيضا وإفريقية والمغرب الأقصى وصقلية وبلاد المشرق[3]،أغلبهم يعتنقون المذّهب المالكي[4]الذي كان يتصدر المذاهب والعقائد في المغرب الإسلامي كله، وأصبح مجال نشاط الفروع في ربوع المملكة، ومصدر الاحكام والتشريع، وهذا يدل في حد ذاته على أن حرية المعتقد المذهبي في القلعة كان سائداً، وقد عرفت العلوم رواجاً كبيراً بأقطار المغرب الإسلامي عامة والدولة الحمادية خاصة، حيث أولوا عناية بكل العلوم التي لها علاقة بهذا العلم رغبة في التفقه في الدين الإسلامي[5]،توفر العلوم الدينية لدارسها المناصب الإدارية، وفي مهنة التدريس، والإمامة والخطابة والقضاء والحسبة[6]،بينما يأتي عدد الادباء والشعراء في المرتبة الثانية من حيث العدد،أما علماء أصول الفقه والحديث والتفسير

---

(1)– محمد الطمار ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية،2010، ص190.

(2)– عبد الحليم عويس، المرجع السابق،ص257.

(3)– Allaoua Amara,Pouvoir ; économie et société dans le Maghreb Hammadide, thèsededoctorat ; université paris I Sorbonne ;2002,vol.I,p652.

(4)– عبد الحليم عويس، المرجع السابق،ص257.

(5)– كمال أبو مصطفى، حوانب حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي ،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،1997، ص122.

(6)– عبد العزيز فيلالي ،دراسات...المرجع السابق، ص82.

وفقه اللغة[1]، فإن عدد الدارسين فيها قليل أنها تحتاج إلى ثقافة موسوعية وجهد كبير ووقت أطول للتضلع فيها، ولهذا فإنها تأتي في المرتبة الثالثة بعد الفقهاء والأدباء من حيث العدد والكم.

وتعدد تأليف علماء بجاية في هذا النوع من العلوم[2]، وكثرت تعليقاتهم على المؤلفات السابقة كموطأ[3]الإمام مالك، والمدونة[4]،ورسالة أبي زيد القيرواني[5]،وغيره من أترابه من الفقهاء، وقد كان لعلماء بجاية دور كبير في توجيه الطلبة إلى دراسة الفقه،والاهتمام بعلومه من عبادات ومعاملات،والتي يحتاجها الإنسان في حياته اليومية، كما حفت مدارسهم ومساجدهم بالحلقات العلمية التي أولت عناية فائقة للفقه[6]،ونجد آخرين نبغوا في الفقه وغيره:

1-موسى بن حماد الصنهاجي: الذي كان فقيهاً حافظاً من جلة القضاة، وكان راوية لأبي الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي وغيره، وقد توفي سنة 535هـ بمراكش، و موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري من أشير، وكانت إقامته بتدلس من عمل بجاية وعني بالرواية ثم انتقل إلى مدينة جزائر بني مزغنه، وأمّ بها صلاة الفريضة، وحدث وأخذ عنه الى ان توفي بتدلس سنة 589هـ، ومن هؤلاء الفقهاء ابراهيم بن حماد من أهل قلعة بني حماد، وكان رواية لأبي علي الصرفي[7].

2-حجاج بن يوسف الهواري: من نواحي بجاية ترك ذكراً وعلماً الى أن مات سنة 572هـ، وأبو بكر ابن عتيق من أهل القلعة، المتوفي سنة 553هـ، وعبد الله بن محمد بن عيسى التاهرتي الذي ولع بالرواية ومعرفة الحديث[8].

---

(1)-Allaoua Amara ;op.cit,t2 ;p .674

(2)-ابن الذيب عيسى، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ،طبعة خاصة،وزارةالمجاهدين،الجزائر ،2007،ص126.

(3)-الموطأ: لأمام دار الهجرة مالك بن أنس(179-93هـ)، برواية: بن يحي الليثي(234-152هـ)، وعليه زيادات: رواية أبي مصعب الزهري المدني(242-150هـ) ورواية: محمد بن الحسن الشيباني،121-189هـ)،تحقيق: كلا حسن علي،ط1: 1434هـ/2013م،مؤسسة الرسالة ناشرون.

(4)-المدونة الكبرى: رواها الإمام سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي عن إمام دار الهجرة وأوحد الائمة الأعلام أبي عبد الله الامام مالك بن أنس الأصبحي، مطبعة السعادة ، مصر.

(5)-**الرسالة:** في فقه الإمام مالك، تأليف: أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، المتوفي 386هـ، ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد علي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(6)- بن الذيب عيسى، المرجع السابق، ص126.

(7)- عبد الحليم عويس، المرجع، ص259.

(8)- نفسه، ص259.

3-عبد الله بن الحجاج المعروف بابن السكات(641-562هـ):ومن أشهر فقهاء بجاية وأبرزهم على الإطلاق والذي تنوه المصادر التاريخية بنبوغه في الفقه فقد أشتهر هذا الأخير بنبوغه في الفقه المالكي، والدليل على ذلك أنه ولي قضاء مدينة مالقة بالأندلس عرفاناً له بمستواه العلمي[1]، كما اشتهر الفقيه أحمد بن عثمان عبد الجبار المتوسي الملياني بتقييداته المتنوعة والتي درس فيها مؤلفات القاضي عبد الوهاب البغدادي المتوفي سنة422هـ،خاصة كتاب التلقين الذي حظي كذلك بشرح من الفقيه إبراهيم بن يخلف أبو إسحاق التنسي(ت670هـ) ،وتذكر المصادر أن هذا الشرح جاء في عشرة مجلدات[2].

كما نبغ في بجاية العالم الفقيه أبو يوسف عبد السلام يعقوب الزواوي البجائي(ت690هـ) ،والذي يدرس الفقه على مذهب الإمام مالك في المدينة، كما كان يزور مختلف حواضر المغرب الإسلامي، ويلقي الدروس بها واستمر النشاط العلمي على هذه الوتيرة حيث قدم الى بجاية العديد من العلماء المتضلعين في الفقه وفروعه من أمثال أبي عبد الله محمد المقري(ت759هـ) الذي عرف بمؤلفه القيم" القواعد الفقهية "،كما وفد العالم أبو البركات محمد بن أبي بكر من الأندلس الى بجاية،واستقر بها ردحاً من الزمن،وكان هذا العالم مشهوراً في الحواضر الأندلسية حيث كانت له حلقات علمية في كل مدينة المرية ومالقة[3].

وتذكر المصادر أن هذا الشرح جاء في عشرة مجلدات[4]،كما نبغ في بجاية العالم الفقيه أبو يوسف عبد السلام يعقوب الزواوي البجائي(ت690هـ)، والذي يدرس الفقه على مذهب الإمام مالك في المدينة،كما كان يزور مختلف حواضر المغرب الإسلامي،وفي بجاية اجتمع حوله الطلبة للاستفادة من علمه الغزير، ومن دروسه الفقهية ومواعظه،ودراسة كتابه الشهير الموسوم بـ :" المدخل الى الفقه المالكي "كما زار بجاية العالم الفقيه أبو سعيد عثمان العقباني الأندلسي(811-720هـ)[5]وتولى القضاء فيها.

ولا يستبعد أن يكون قد درس في مساجدها خاصة وأنه كان متضلعاً في مختلف فنون العلم النقلية منها أو عقلية، وتذكر له المصادر تصنيفا عنوانه" المختصر عن ابن الحاجب"، " شرح الحوفية في

---

(1)-أحمد بن محمدالمقري التلمساني،نفخ الطيب ، ج5،المصدر السابق، ص428.

(2)-نفسه، ص428.

(3)-بن الذيب عيسى، المرجع السابق، ص127.

(4)-أحمد بن محمدالمقري، نفخ الطيب_،ج5،المصدر السابق، ص428.

(5)-ولد بتلمسان وأخذ بها العلم عن ابنا الإمام والآبلي ،ونبغ في المنقول والمعقول ،تولى القضاء ببجاية وتلمسان ووهران وسلا وهنين،من تلامذته: ابن مرزوق الحفيد وإبراهيم المصمودي وابن زاغو، ينظر: محمد بن مريم، المصدر السابق، ص106، 107.

الفرائض "،" تفسير سورتي الأنعام والفتح" " شرح البردة" و" شرح جمل الخونجي"و "شرح أرجوزة بن ياسمين في الخبر والمقابلة[1].

حفلت المصادر التاريخية بأسماء العديد من العلماء، وعثر على لائحة الى الحقبة الحمادية بها 140 عالماً،شاعراً،فيلسوفاً،أديباً،وعالم دين هؤلاء العلماء كانوا في أغلب الأحيان من المدينة نفسها أو من قلعة بني حماد[2]،أنجبتهم بيئتها الثقافية تلقوا العلوم في المشرق على علماء مشهورين، وعادوا الى بجاية وأغلبهم عرف بلقب الزواوي وأقلهم عرف بلقب البجائي[3]،ومازالت القائمة طويلة للكثير من الفقهاء التي لم تقدم لنا كتب التراجم شيئاً عن مصنفاتهم وعن أحوالهم الشخصية، في حين البحث مازال متواصل من طرف باحثين شُّغلهم الشّاغل هو تعريفنا عن عُظماء أهملهم التاريخ أو تنّاساهم الزمن، وما زال الأبحاث الأكاديمية في الجامعات و المؤسسات المعنية بالتاريخ الإسلامي في العصر الوسيط قائمة وتلعب دور جدُ مهم لأحياء التراث وتعريف الأجيال بالإشعاع الحضاري والثقافي الذي شهدته بلاد المغرب الأوسط لفترات طويلة.

ثالثاً: علم الحديث:

لغة: يعني الجديد من الأشياء والجمع أحاديث وهو شاذ على غير قياس[4]،و**اصطلاحاً:** اسم من التحديث وهو الأخبار، ومعنى الاخبار في وصف الحديث كان معروفا عند العرب الجاهلية منذ كانوا يطلقون على " أيامهم المشهورة" اسم الاحاديث، ومن هنا شاع على الالسنة صار "أحدوثة "أو صار حديثا إذا ضرب به المثل[5]،والحديث والأحدوثة مترادفان، ويراد به كذلك السُنة أي ما ورد عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم–من قول أو فعل أو تقرير، وبعده ضم إلى الحديث ما ورد عن الصحابة[6]،لأنهم كانوا يعاشرونه ،ويسمعوا قوله، ويشاهدوا عمله، ويحدثون ما رأوا وما سمعوا، وللحديث قيمة كبرى تلي القرآن الكريم، فكثير من آيات القرآن جاءت مطلقة او مجملة، فجاء قول رسول الله–صلى الله عليه وسلم–أو عمله فبَّينها او قيّدها أو خصَّصها.

---

(1)–محمد بن مخلوف،المرجع السابق، ص250، وعبد الحميد حاجيات ،أبو حمو.. المرجع السابق،ص170.

(2)–عبد الحميد خالدي،الحياة التعليمية ببجاية،مجلة الثقافة (عدد خاص بالملتقى الخامس للبحث الأثري ،والدراسات التاريخية)،سوق أهراس 22–1997/9/26،تصدرها وزارة الاتصال والثقافة،الجزائر،ص144.

(3)–لقبال موسى، مميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة، الأصالة العدد 19،المرجع السابق، ص9.

(4)–ابن منظور، المصدر السابق،ج2، ص131.

(5)–صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، عرض ودراسة، ط15، دار العلم للملايين ،بيوت،لبنان،ص4، وحسن الحاج حسن، حضارة العرب في صدر الإسلام،ط1، 1412هـ/1992م، المؤسسة الجامعة للدراسات للنشر والتوزيع، ص309.

(6)–أحمد أمين ،المرجع السابق،ص208.

عرف الإباضية بروايتهم عن شيوخهم بالمشرق منهم حملة العلم الخمسة بالإضافة إلى هؤلاء ذكر ابن الصغير أبو عبيدة الاعرج الذي كان يأتي إليه ليسمع منه كتاب اصلاح الغلط وهو تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة[1]،ولعل النقص في المصادر التي تتحدث على مؤلفات الإباضية في هذا العلم دال على عدم الاهتمام الكبير به،فتراجم وسير العلماء لا تأتي على ذكر المحدثين إلا قليل،ولعل ذلك راجع إلى أن تعدد المذاهب في تاهرت ،جعل الفقه يحظى بالاهتمام الكبير في بيئة تميزت بالمناظرات الفقهية والكلامية، ومع ذلك تشير المصادر إلى أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب(208-258م) له روايات في الحديث[2]

لقد ذكر الشماخي بعض أسماء رواة الحديث منهم المفسر محمد بن يانس[3]،ولعل أبرز الكتاب إباضي الحديث، وهو مسند الربيع بن الحبيب الآزدي[4]،الذي كان على اتصال بعلماء المغرب، وقد اعتمده الإباضّية في الحديث وأولوه عناية كبيرة واعتبروه سند صحيحاً ،وأن هذا المسند يعتبر عند الإباضية من أصح الكتب بعد القرآن الكريم، ويليه في الرتبة الثانية الصحاح من كتب الحديث[5].

و يبدوا السلسلة التي ذكرها الشماخي لإباضية المغرب تحت عنوان[6]:" هذه نسبة دين المسلمين(الإباضية) واحد عن واحد، ثقة عن ثقة، من زمنيناً إلى نبينا محمد عليه السلام"، يقصد بها علماء اهتموا بالحديث وروايته كما اهتموا بالفقه الإباضي، ويذكرها عن الشيخ أبي القاسم سدرات بن الحسن البغطوري عن أبي ذر ابان بن وسيم عن أبي خليل صال من أهل دُر كل عن أبي المنيب محمد بن يانس، قد قال جابر يتحدث عن نفسه لقيت سبعين رجلاً من الصحابة فحويت ما عندهم إلا البحر ويعني ابن عباس، أما رواة الحديث من غير الاباضية[7]، فقد قدم تاهرت العديد من أسهموا

---

[1]-ابن قتيبة: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي، بها مولده، ويقاله الدينوري لأنه كان قاضي الدينور ،توفي سنة 270هـ،له كتاب: اصلاح غلط ابي عبيدة في غريب الحديث ،ينظر: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق النديم ،الفهرست ،ضبط وشرح : يوسف علي الطويل،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996، ص58، 59.

[2]-بلحاج معروف، المرجع السابق، ص242.

[3]-محمد بن يانس: الدركلي النفوسي، أبو المنيب(250-200هـ/815-846م)،أخذ العلم عن عاصم السدراتي، وكان يغدو ويروح على إسماعيل بن درار الغدامسي يغترف من نبعه، اشتهر بمعرفته العميقة لمعاني القرآن الكريم، ينظر: الشماخي، المصدر السابق، ص165،والدرجيني،المصدر السابق،ج2، ص109.

[4]-مسند الربيع الأزدي: الفراهدي العماني، من علماء القرن الثاني الهجري، تولى الإمامة الاباضية بعد أبوعبيدة مسلم ابن أبي كريمة ،ينظر:أبي العباس الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 84.

[5]-بحاز إبراهيم بكير، المرجع السابق، ص304.

[6]-أبو العباس الشماخي، المصدر السابق،ص578-580.

[7]-نفسه، ص580.

بعلمهم في الحياة الفكرية، نذكر منهم أبو عبد الرحمن حماد[1]،هو سُني مالكي، ويعد من ثقات المحدثين المأمونين، وأن قاسم بن أصبع[2]،قال:" رحلت الى المشرق ونزلت القيروان، فأخذت عن بكر بن حماد حديث مسدد.

فقرأت عليه يوماً فيه حديث النبي–صلى الله عليه وسلم–: أنه قدم عليه قوم من مصر مجتابي النمار، فقال:" إنما مجتابي الثمار، فقلت:"إنما مجتابي النمار، هكذا قرأته على كل من لقيته بالأندلس والعراق، فقال لي:" بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا؟ أو نحو هذا، ثم قال لي:" بنا إلى ذلك الشيخ لشيخ كان في المسجد"، فان له يمثل هذا علماً، فقمنا إليه وسألناه عن ذلك، فقال:" إنما مجتابي النمار كما قلت"، وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم أمامهم،ولقي في البصرة مسدد بن مسرهد[3]،وجماعة من العلماء، ما أخذ الحديث منه كذلك أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي[4].

ويوجد من الأعلام الذين اهتموا بالحديث وروايته العديدين إلا أن في الذين ذكرناهم وهم الذين عاصروا الدولة الرستمية ومن رعاياها، ويوجد من وهران ومن تنس وتاهرت الكثيرين، إلا أنهم عاشوا في القرن الرابع والخامس للهجرة، وهو بطبيعة الحال يعبر عن استمرار علماء المغرب الأوسط في العناية بالحديث منذ أول دولة شهدها في القرنين الثاني والثالث الهجريين[5]،الموافق للقرن الثامن والتاسع للميلاد ،وأن الحديث لم ينته بانتهاء الدولة الرستمية بل استمر في واحات ورجلان(ورقلة)وسدراتة وجربة،إذ نزح يعقوب بن أفلح[6]إلى ورجلان، هذه المناطق كانت في الحقيقة معاقل لانطلاقة جديدة للفكر الاباضي بعد سقوط تاهرت ،فقد أنجبت هذه المدن علماء وفقهاء مثلوا

---

(1)–أبو عبد الرحمن حماد: من أهل القيروان ،يكنى أبا زيد، قدم الأندلس، حدث عن أبيه وكتب عنه ،توفي بقرطبة، ينظر: أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ،ابن الفرضي،ت سنة403هـ،تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة،1966، ص268.

(2)–قاسم بن أصبع بن محمد بن يوسف: أبو محمد البياني ،وبيانة من أعمال قرطبة ،ينظر:احمد بن محمد المقري التلمساني، ،المصدر السابق،ج2، ص47–48.

(3)–مسدد بن مسرهد: محدث بالبصرة،أورد له صاحب الأنساب نسبين، توفي في مسد سنة288هـ: ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري الدباغ ،(ت696هـ/1320م)، معالم الإيمان في معرفة أهل__القيروان،ج2، مكتبة الخانجي، مصر،1968م،ص281.

(4)–أبو عبد الله المعافري الأندلسي: كان من أفاضل الناس،ومن ثقاتهم، مع تاريخ الأندلس،رحل الى المشرق والمغرب طلبا للعلم،توفي ببخارى سنة383هـ،ينظر:المقري،المصدر السابق،ج2 ،ص142.

(5)–إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص310 .

(6)–يعقوب بن أفلح: بايعوه بالإمامة سنة284هـ،ينظر:ابن الصغير، المصدر السابق، ص111، وعبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 172.

استمرارية فكرية ومذهبية للدولة الرستمية وعرفوا بقوة الاستماتة في الدفاع عن مذهبهم.وعاش الكثير منهم خلال القرن الرابع والخامس للهجرة، الموافق للقرن العاشر والحادي عشر للميلاد، حتى يومنا هذا، ولقد اشتهر في تلك الفترة جماعة من المحدثين، ذّاع صيتهم في حواضر تاهرت وغيرها، نذكر منهم:

1-سعيد بن زنغيل،أُبو نوح(ق 4هـ/10م)[1]:شيخ الشيوخ، ،نشأ بالجريد ثم استوطن ورجلان، برع في علوم الفصاحة، والبيان، وفنون الجدل، وكان يدعوا إلى مذهب الإباضية الوهبية، كانت له مناظرات مشهورة خص بها علماء المعتزلة والنّكار منهمً يكُنى الأعرج النكاريً[2]وهو من كبار شيوخ النكارة ومن علمائهم في هذا العهد،فقال له أبو نوح:" أسألك عن حجة السمع فأخبرني عن رجل مشرك دعاه رجل من المسلمين الى دينه، فأخذ يعلمه التوحيد، ويدرجه فيه حرفاً حرفاً، ما منزلته قبل تكميل التوحيد ؟ اهو على حالته الأولى من الشّرك أم هو مسلم؟ قال أبو نوح ثم قلت له:" إن قلت مسلماً فإذا يسلم الإنسان ببعض التوحيد دون بعض، وإن قلت مشركاً فبماذا أشرك؟أبِالذي سمع من التوحيد أم بالذي لم يسمع منه! فوقف، وقال:" لا أعلم، قال فقلت له:" لا تحتشم ولا تخجل فإنك بلغت مبلغ إمامك عبدالله[3]،كان أبو نوح من جملة الإباضيين الذين أمنّهم الخليفة الفاطمي المعز ،بعد أن شفع له بلكين بن زيري،وكان عالماً بفنون المناظرات والرّد على أصحاب المقالات، فكانت له مناظرات وأخبار مشهورة وأيام في جميل الذكر مذكورة[4]،أخذ علمه عن الإمامين الكبيرين: أبي القاسم يزيد بن مخلد،وأبي خزر يغلا بن زلتاف[5]، ومن تلاميذه أبو الخطاب عبد السلام بن منظور ،وهذه إشارة تؤكد على أن أولاد واحفاد بني رستم كانوا على درجة كبيرة من العلم والتواضع لأهل المعرفة من فقهاء وطلبة بعاصمتهم.

1- بكر بن حماد الزناتي التاهرتي (200هـ-296هـ /815م-908م)[6]: سهل،(وقيل :صالح ،وقيل:سهِر ،وقيل: سمك) بن أبي إسماعيل الزناتي ،أبو عبد الرحمن، من شعراء الطبقة الأولى في

(1)-سعد بن زنغيل: أحد أقطاب العلم عند إباضية المغرب ،ينظر:الدرجيني،المصدر السابق،ج2،ص172

(2)-نفسه،ج1،ص148.

(3)-نفسه، ص150

(4)-أبو العباس الدرجيني، المصدر السابق،ج1 ، ص148

(5)-جمعية التراث، المرجع السابق،ص176.

(6)- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق،ج2،ص48.

عصره،من علماء الحديث غير الإباضية ورجاله، فقيه، ولد بتاهرت، والتحق بالقيروان حوالي سنة 217هـ/832م فأخذ بها عن الإمام سحنون[1] ،ثم انتقل منها إلى المشرق .

وطاف بحواضره العلمية الشهيرة لذلك العصر،وتزود بها ما يكفيه من علوم الدين والحديث والأدب، فأخذ بالبصرة في العراق الفقه والأدب واللغة عن جماعة من الشيوخ أمثال مسور وعمرو بن مرزوق وابن الاعرابي والرياشي وبشر بن جعفر وغيرهم[2] وهو حدث السن، فأخذ عن مسدد الأسدي وغيره[3]،وارتحل إليه الكثير من أهل افريقية والأندلس للأخذ عنه، وابتداء من عام 274هـ/887م تفرغ للتدريس في جامع القيروان والتف حوله عدد من الطلبة منهم قاسم بن أصبع البياني القرطبي الاندلسي[4] ،الذي نقل مسند بن مسدّد إلى الأندلس وهو في عشرة أجزاء وفي سنة 295هـ/910م عاد الى تاهرت،وتوفي بعد عودته296هـ/911م في قلعة ابن حمة شمال تاهرتوهي السنة التي سقطت فيها الدولة الرستمية بين العبيديين[5]،له في جميع أغراض الشعر قصائد طويلة وقطع رائعة هي متفرقة في كتب الأدب والتاريخ[6].

2- أبو زكريا يحي بن أبي بكر بن سعيد، اليراساني:تـ:500-550هـ/1106-1155م[7]:هو أخو أبي زكريا يحي بن أبي بكر الوارجلاني صاحب كتاب سير الائمة وأخبارهم ،له باع في علم النظر ومأثورات وأقوال خالدة متناثرة في بطون الدفاتر والسير[8]، ويذكر ابراهيم بحاز: أنه لم يرد في التراجم القديمة غير الإباضية التي بين أيدينا ذُكر له[9]،وأما كتب التراجم الإباضية التي تعرضت لسيرته، فهي تعود كلها الى أصل واحد، ويصنف ضمن علماء الطبقة العاشرة(500-450هـ)[10]،له باع في علم النظر بأدلة ذات إقناع، وحجج تملأ القلوب والاسماع ومأثورات، وأقوال خالدة متناثرة في بطون الدفاتر والسير، عُرف بالمشيخة والتقوى.

---

[1]- سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، الفقيه، واسمه عبد السلام،إنما سمي بسحنون لِحدَّة ذِّهنه، ينظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص109.

[2]-رابح بونار ،المرجع السابق، ص121، وعبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص179.

[3]-عادل نويهض ،المرجع السابق، ص57.

[4]-يحي بوعزيز ،**الموجز....**،المرجع السابق،ص123،وجودت عبد الكريم،المرجع السابق، ص174.

[5]-عادل نويهض، المرجع السابق، ص58.

[6]-عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج2،ص180،وسليمان الباروني النفوسي، المرجع السابق، ص70.

[7]-جمعية التراث، المرجع السابق، ص155 ..

[8]- نفسه، ص155.

[9]-أبو زكريا يحي، المصدر السابق، ص23.

[10]-أبو العباس الدرجيني، المصدر السابق،ج2، ص272-275

وكانت حوله حلقة العلم وله وصايا واشعار لتلامذته منها:" إياكم والتسارع الى قبول صنائع الناس وهداياهم ،فإنه قيل: "كن عبدّاً لله ولا تكن عبدّاً للناس"، وانشد في ذلك:

ولســـتُ وإن قـــــربت يوما ببائـــــع لديـــــني واخلاقي رجاء التقـــــرُّب
و يعتـــــــاده قوم لقـــــوم تجــــــارة ويمنعني من ذاك ديـــني ومنصبي[1]

نستنتج من خلال حلقات الدرس والابيات التي كان يلقيه الشيخ على تلامذته لا دلالة واضحّة على العناية بعلوم الحديث، ومازال الكثير منهم ممن ورثُوا عاصمة الرستميين المصنفات والمؤّلفات الضّخمة التي حملت أنواع فنون العلم والمعرفة، وهذا ما ذكرته المصادر التاريخية في هذه الفترة بالذّات كالدرجيني والشماخي وغيرهم من عني بالشأن الإباضي بأرض المغرب الأوسط، نجد بأن هناك استمرار علماء المغرب الأوسط في العناية بعلم الحديث، ومن هنا يمكن القول ان جهود هؤلاء الفقها والعلماء عملت على فكرة التواصل الفكري عبر العصور ،إضافة إلى سياسة الاعتدال التي اتبعها دعاة المذهب الإباضي، وإقناع معتنقيه بقوة الحجّة، لا بقوة القوة هذا ما جعله قائماً إلى يومنا هذا.

لم يواكب الحديث التطور والازدهار الذي عرفه الفقه عند العبيدين في المغرب، قد اهتم العبيد يون بعلم الحديث فاعتبروه مصدرا مصدرا من مصادر العقيدة الإسلامية، وعملوا على تأويل أحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– بما يناسب ميولتهم وتصوراتهم ومبادئهم ولعل أول حديث أوله الفاطميون بعد دخولهم للمغرب هو ما ذكره لنا القاضي النعمان في كتابه اختلاف الأصول أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– قد نبأ بقدوم المهدي ونص الحديث هو" المهدي من ولدي يحي سنتي ويتمم أمري، يطالب بثأر أهل بيتي يملئ الأرض عدلا وقسط ،كما ملئت ظلما وجورا[2]،ففي نظر الشيعة الإسماعيلية أن المهدي المقصود في الحديث هو عبيد الله المهدي الخليفة العبيدي[3].

ظّل الشيعة يُعلِنون الثورات على الأمويين فقابلها هؤلاء بالعنف والقسوة، ما جعل مشاعر الناس تتجه إلى الشيعة وتعطف عليهم، تمكن من ذلك العباسيين من استغلال الموقف وأقاموا دولتهم، لكن توليه واحد من ذرية العباس الخلافة أختنق العلويين، ودفعهم إلى القيام بثورات تمكن خصومهم من القضاء عليها[4]،وقد صنّف العلماء المتشّيعون من المؤّرخين الأسفّار الطوّال في تأييد هذه المقالة

---

[1]–جمعية التراث، المرجع السابق، ص156.

[2]–القاضي النعمان ، اختلاف أصول المذاهب، تحقيق: مصطفى غالب، ط3،دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ،1983،ص33.

[3]–محمد طه الحاجر، مرحلة التشيع في المغرب العربي_،ط1،دارالنهضة العربية،بيروت،1403ه/1983م، ص29 .

[4]–عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص5.

وذهب بهم الاعتقاد إلى القول بأن الخلافة سلخت من بيت علي، أو بعبارة أخرى اغتُصِبتْ من بيت النبي- صلى الله عليه وسلم- [1]،ولم يقف الحال عند هذا الحد، فقد أشتد الغُلاة من الشيعة فقالوا إن الإمامة في بيت علي، وان الأئمة معصُومون، وإن صفات الله سبحانه قد حلت فيهم وتقمصت أجسامهم، وإن من قال بغير ذلك من الفرق الإسلامية-حتى بعض فرق الشيعة منهم-خارجون على الدين، ودلّلوا صحّة هذا القّول بأن علياً كان أول من أعتنق الإسلام من الرجال، وأسند هؤلاء الغلاة من الشيعة إلى النبّي أحاديث تشهد بما لآل علي من حرمة، وبما لعلي من حق في الإمامة بعد الرسول عليه السلام[2].

وأكد هؤلاء الأنصار أن علياً تلقى من النبي-صلى الله عليه وسلم-وديعة مذهبية وإلهية، هي نوع من الميراث الصوفي لا يحق لأحد أن يشاركه فيه، وهذه الوديعة المقدسة جعلت من عليّ إنساناً أعلى فيه شيء من القدرة الإلهية، وأنه نائب الله على الأرض، ووسيط بين الله والناس، وهذا الميراث من الصفات والفضائل انتقل إلى وريثه وهكذا[3]،وظلوا متأثرين بهذه الأفكار، واختلفوا مع غيرهم في الكثير من الأمور الدينية والدنيوية إلى يومنا هذا، ويبدو أن الخلاف كان على أشده بين علماء السنة، والشيعة الإسماعيلية حول بعض المسائل الشرعية التي ارتبطت أساساً بفهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، الأمر الذي لم يدع مجالاً للمقاربة بين الطرفين حسب إشارة بعض المصادر[4]، وخاصة أن للشيعة تأويلات اختصوا بها.

ويرفضون كل ما روى عن غيرهم من المذاهب[5]،ومن هنا يمكن القول أنّ هذه الأحاديث التي وصلت إلينا كانت-على ما هو مشهور-موضع جدل بين فقهاء المسلمين والمحدّثين ونقدة الحديث.

كما اتجهت الحياة الدينية إلى دراسة الأحاديث المجموعة في كتب الفروع وفقا لمدرسة الحديث التي كان قد أسسها الإمام مالك، واهتموا بالكتب المالكية التي جمعتها في فقه المالكية

---

(1)-حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص1

(2)-نفسه، ص1.

(3)-ألفرد بل، المرجع السابق ،ص151.

(4)-عبد العزيز المجدوب،الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية،ط1،دار سحنون للتوزيع والنشر، وابن حزم للنشر و التوزيع، 1429هـ/2008م، ص167.

(5)-مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ودار الثقافة، بيروت، لبنان ،1984،ص15.

وهي كالتالي موطأ الإمام مالك، التلقين[1] لعبد الوهاب البغدادي، الواضحة[2] لابن حبيب والعتبة للعتبي[3]، والملاحظ ان هذه الكتب كانت المرجع الأصلي للفقه المالكي حيث كانت الاجتهادات تستنبط [4]،وغيرها من أمهات الكتب التي تهتم بالمذهب المالكي،والذي تدور حوله سائر الاجتهادات،وهناك جماعة من المحدثين الذين اشتهروا في تلك الفترة من ظهور دولة بني حماد على سبيل الذِكرُ لا الحصْر، اعتمادا على المصادر التاريخية التي قدمت لنا بعض التراجم لهؤلاء الفقهاء والعلماء وعلى اختلاف مناهجهم وتخصصاتهم :

1-علي بن القاسم بن محمد التميمي أبو الحسن القسنطيني الأشعري (تـ519هـ/1125م) ولادته بقسنطينة ،قدم دمشق وسمع بها صحيح البخاري من الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي، وخرج إلى العراق وقرأ على أبي عبد الله بن عتيق القيرواني ولقي الائمة، هذا العالم جال دار الإسلام واشتهر بالحديث، كتب تأليفاً في العقيدة والاصول تحت عنوان "كتاب تنزيه الإله و كشف فضائح المشتبهة الخشوية "[5]، ووفاته كانت بدمشق في 18 رمضان.

2-عبد الحق عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي الإشبيلي البيجائي المعروف بابن الخراط (تـ 581هـ/م1185)، ولد ونشأ بإشبيلية من أرض الأندلس ودرس على يد كبار علمائها، استقر في بجاية في السنوات الأخيرة للحماديين، تلقى عدة إجازات من طرف حافظ دمشق الأيوبية ابن عساكر (تـ571هـ/1175م) وأصبح رأس المحدثين في بلاد المغرب، له عدة كتب لها صلة بالفكر العقدي منها " العاقبة في ذكر الموت"، و" كتاب الرقائق" وكتاب" العاقبة في التذكير[6].

3-أبو العباس أحمد بن طاهر بن رصيص الداني (تـ1137/532م)،من علماء الحديث ،قدم من الأندلس ،ومرّ بقلعة بني حماد ،ثم استقر ببجاية، وله تصانيف على الموطأ[7].

---

(1)-القاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي، التلقين في الفقه المالكي ،تحقيق ودراسة: محمد ثالث سعيد العاني،(1-2)،مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض ،السعودية.

(2)-عبد الملك بن حبيب الأندلسي ابن مروان السلمي،174هـ-238هـ، الواضحة ،كتب في الصلاة، وكتب في الحج ،رواية يوسف بن يحي المغامي وغيره عن ابن حبيب، دار البشائر الاسلامية، ط:1431هـ/2010، ،بيروت، لبنان.

(3)-بن الذيب عيسى، المرجع السابق، ص126

(4)- نفسه، ص127

(5)-ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص349.

1-أبو العباس الغبريني ، المصدر السابق، ص41.

(7)- ناصر الدين مولود سعيدوني، المرجع السابق، ص91.

4-أحمد بن عبد الله الأنصاري الظاهري(549هـ/1154م):من علماء الحديث، مرّ على بجاية ودرس بها، له كتاب المنتقي الذي جمع فيه ما تفرق من أمهات المسندات، ونوازل الشرع[1].

5-أبو جعفر أحمد عبد الحق الخزرجي القرطبي (تـ572هـ/1186م)،كان عالما بالحديث، والرواية ،له تأليف عدة منها آفاق الشموس، وإعلان النفوس، وقامع الصلبان، ومرتع أهل الإيمان[2].

4- علي بن منصورالطبني[3] : ترجم له ياقوت الحموي عند ذكره لمدينة طبنة في طرف افريقية مما يلي المغرب على ضفة الزّاب، ولغيره من أعلامها، فقال عنه أنه أشتهر بالحديث ومن روى عنه غندر البصري.

5- أبو محمد القاسم بن علي بن معاوية بن وليد الطبيبي[4]:اشتهر بالحديث، وله عقب بمصر وحدّث عن ابن المغرب وغيره.

وما زال البحث قائم على لمعرفة علماء الحديث كغيره من العلوم التي أُولت باهتمام من طرف أهل المعرفة في هذه الفترة من تاريخ المغرب الأوسط في العهد الحمادي.

نستنتج أن الأوضاع السياسية والاختلافات المذهبية التي شهدها المغرب الأوسط منذ قيام أول دولة مستقلة على أرضه (الدولة الرستمية) والتي تبنت المذهب الإباضي لسنيين طوال، والمذاهب المختلفة التي عاشت في كنفها، إلى غاية سقوطها على أيدي بني عبيد الذين هم بدورهم عملوا على نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي بكل ما أتوا من قوة حتى رحيلهم إلى مصر، وحلّ محلهم بن زيري وأبناء عمومتهم بن حماد، ولم يمنع ذلك من ظهور إشعاع حضاري جعل مريدي العلم يأتون إليه لأخذ المعرفة من المشايخ ،في نفس الوقت يجد العلماء والفقهاء منهم العناية الكافية من طرف الأمراء ووُلاة الأمر، وطبيعة النظام للكل فترة، وظاهرة الرحلة التي عرفها العالم الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط خاصة، وانتشار المراكز العلمية عبر أنحاء البلاد من أجل نشر العلوم والنهوض بالمجتمع إلى الحضارة، عن طريق التدريس بالمساجد والمدارس وعملية التأليف التي كانت الشغل الشاغل في مختلف الفنون.

---

(1)- نفسه،ص91.

(2)-نفسه، ص92.

(3)- ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج4، ص21.

(4)- رابح بونار، المرجع السابق، ص264.

الفصل الثالث

العلوم الدينية في المغرب الأوسط من العهد المرابطي إلى الزياني

أولا:- علوم القرآن الكريم

أ - علم القراءات

ب - علم التفسير

ثانياً: علم الفقه:

أ- المذهب المالكي

ب- المذهب المالكي في العهد الموحدي

ج- المذهب الظاهري في العهد الموحدي

ثالثاً: علم الحديث:

رابعاً: علم التصوف

تعتبر هذه المرحلة منعرجاً جديداً في تاريخ المغرب الأوسط، وذلك نتيجة الاستقرار النسبي الذي شهدت القبائل العربية والبربرية في ظل حكم بنو تاشفين وتوسعاتهم العسكرية، ودعوتهم الإصلاحية، ومن ثم دعوة ابن تومرت فما بعد، فكلاهما من خلال مخططاتهم السياسية حاول أن يصلح ما أفسده الدهر في المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، ويؤسس كل منهما إمبراطورية، وذلك بالاعتماد على أهل الرأي والعلم.

ان الحركة الفكرية في عهد المرابطين هي امتداد للحركة الفكرية في عهد ملوك الطوائف، وان اصطناع الدولة لنوع خاص من العلوم كثيراً ما كان ظاهرة ملحوظة في كثير من الدول، فلم يَعبْ عليها بل أُعتبر من أسباب نهضة ذلك العلم، وعلى أن اهتمام المرابطين بعلوم الدين كان يزينه تشبعه بالروح السلفي المتسامح وعدم مجاراته للخلافات المذّهبية للبدع والأهواء التي كانت حينّئذٍ تنخر جسم الوحدة الإسلامية بالمشرق[1]، فقيام حضارة هذه الدول قائمُ على النشاط الفكري والعلمي والثقافي الذي خلفته الدول التي سبقتها، فقد تأكدت الصلة بين الأندلس والمغرب الأوسط أيام المرابطين وتدعمت العلاقات بينهما وقد استفاد المغرب الأوسط كثيراً من الناحية الحضارية والعلمية، إذ الأندلس كانت تزخر بالعلم والعلماء.

تشتّت السلطة السيّاسية أيام ملوك الطوائف وأدت إلى هجرة كثير من علماء الأندلس إلى مختلف أقطار المغرب، فكان لذِّلك أثرٌ ملحوظ في تطور الحياة الدينية والفكرية بها، أضف إلى ذلك أن ما حل بأفريقية آنذاك من كوارث نتيجة قدوم الهلاليين وهجمات النصارى النورمان قد أدى إلى هجرة كثير من أهلها وعلمائها وأدباءها إلى الأقطار الإسلامية الأخرى من مشرقية ومغربية، فقدَّم كثيرٌ منهم إلى المغرب الأوسط واستوطنوه[2]،وكان للرُّوح الدينّية التي اتسمت بها الدولة واهتمام أمرائها برجال الدين أثرٌ كبيرٌ في ازدهار العلوم الديّنية من تفسير وحديث وفقه ،ولكن من خّلال العمل والبحث لم تقدم لنا المصادر التاريخية التي اهتمت بالشأن المرابطي في المغرب الأوسط إلا القليل عن الفقهاء الذي دَرسوا ودّرسوا شتّى العلوم وعن رحلاتهم وإجازاتهم ومؤلفاتهم وعن الحواضر التي وجدوا فيها وعن شيوخهم وتلاميذهم.

أولاً: علوم القرآن الكريم

حولت من خلال المادة التي بين أيدي أن أقدم ولو القليل حتى لا تكون حلقة مفقودة من تاريخ هذه الأمة عن علماء أهتموا بعلوم أخرى غير علوم القرآن كعلم القرّاءات ونحاول أن نعطي صورة

(1)- عبد الله كنون ،المرجع السابق، ص68.

(2)- رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص339

مشّرقة عن حضارة عاشّت على هذه الأرض، فُقدت نتيجة الصرّاعات السياسية والمذّهبية والعصّبية القبلية التي شهد مجتمع القبائل المتناحرة فيما بينها من أجل البقاء ليس إلاَّ، نكاد لا نجد أي عالم أو فقيه ذّيع صيتّه في علم القراءات رغم الحرية التي كان يتمتع به الفقهاء عند الأمراء والعناية التي كان يُولوها لهم ولطلاب العلم منهم، وأننا لا نتصور مجتمع يعطي أولوية واهتمام منقطع النظير في فترة كان الناس أحوج إلى معرفة دينهم، وما تحمله الرسالة النبوية الشريفة إلى البشرية جمعاء.

عرفت العلوم الدينّية تطوراً بفضل ظهور دعوة المهدي ابن تومرت ونشأة دولة الموحدين على أسس اعتقاديه وسياسية وتشريعية وأخلاقية مما أدى إلى تحولات عميقة في سائر هذه المجالات[1]،ويلاحظ أن بوّادر هذه التحولات ظهرت منذ قيام دولة المرابطين وتوسعها في اتجاه سائر أنحاء المغرب الأوسط لأنها نشأت على أساس الإصلاح الديني والتمسك بعقيدة أهل السنة والفقه المالكي[2]، إن المعاملة الحسنة التي عامل بها الخلفاء الموحدون العلماء والفقهاء لم يحظ بها كل الفقهاء من آل المذاهب بل اقتصرت على الفقهاء السائرين على نهج الموحدين، والباحثين في عقيدتهم.وعُومِل غيرهم بقسوة حتى أنهم خرجوا من البلاد خوفا من بطش الخلفاء وظلمهم[3]، فقد كان شأن الدولة الموحدية الذي استطال زهاء قرن ونصف من الزمان من أحفل عصور التاريخ الاندلسي و المغربي [4]،رغم المطاردة الفكرية التي كانت تشهدها من حين لآخر، إلا أنها كانت حامية للعلوم والآداب والفنون .

أهتَّم الموحدين في مجال العلوم النقلية بالفقه وبعلمي القراءات والتفسير، فازدهرا ذلك بسبب دعوتهم للرجوع إلى الكتاب والسُنة والأخذ بظاهرهما[5]،وفي هذا يقول أحد الباحثين:" لا شّك أن الإصلاح الديني الذي حاول الموحدون تطبيقه في المغرب قد ترك أثاراً هامة في تطور الحياة

---

(1)-عبد الحميد حاجيات، دراسات ...، ج1، ص169.

(2)- نفسه، ص170،169.

(3)-علي أحمد، الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع_الهجري،ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشردمشق،1989. ص8

(4)-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، القسم الثاني، المرجع السابق، ص645..

(5)-أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الأنصاري ابن الأحمر، ت810هـ/1408م، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصورة للطباعة والورق، الرباط، المغرب،1972، ص19.

الدينية، ومن أبرز نتائجه ذُيوع كتب الغزالي وكتب غيره من الأشاعرة[1] كأبي بكر الباقلاني[2]،وإمام الحرمين الجويني[3]،وغيرهم ولهذه خرجت العلوم الدينية في المغرب من طور منابذة الرأي والعقل، وانتقلت إلى طور عقائدي أكثر توازناً واعتدالاً[4]، وكما أهتموا بالقرآن الكريم وحافظوا عليه من خلال تدريسه وتشجيع دارسيه، كما كان مصحف عثمان-رضي الله عنه-يقدمه أبو يعقوب المنصور في غزاوته بالأندلس[5]، وهذا يبين الاهتمام البالغ عند علماء المغرب الأوسط بالقرآن الكريم علومه وإلى القرار السياسي والفكري الذي أتخذها أمراء وحكام هذه الدولة بإحياء فنون المعرفة،وتنوع مهام الدولة لوجودها بين ملتقى حضارات ،ازدهرت العلوم، وكان من نتائج ذلك وُجود مشيخات مهمة في مختلف حواضر المغرب الأوسط يمثلها علماء كبار قد توفرت لها من ضُروبِ الإفّادة العلمية التي يرغبُ فيها الناس، جعلها مقصد الرحلة عند المهتمين بذلك، ومن بين هذه العلوم:

أ-علم القراءات:

كان علم القراءات في مقدمة العلوم الدينية باعتباره أول محاولة في تفسير القرآن الكريم، وكان المغرب الموحدي من أشد الأقطار الإسلامية اهتماماً بهذا العلم لذا وضع بن تومرت نظاماً يوجب عليهم قراءة حزب من المصحف الشريف كل يوم جمعة عقب صلاة الصبح والمغرب قراءة مرتلة وكان الأمير يوسف بن عبد المؤمن قد درس القراءة ،وكان من أحسن الناس نُطقاً بالقرآن الكريم[6]وأحفظهم للغة العربية وكان القصد من القراءة التلاوة الصحيحة للقرآن الكريم، وبين المقرئين الذي عرفهم العهد الموحدي بالمغرب الأوسط، وعلى سبيل الذكر:

---

[1]-هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت 324هـ)، المنتسب إلى أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه – وقد ظهرت الأشعرية عندما اشتدت حملة المعتزلة على الفقهاء والمحدثين، ينظر: صبري خدمتلي، العقيدة والفرق الإسلامية،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائرص102.

[2]-أبو بكر ابن الطيب الباقلاني، الانتصار للقرآن، تحقيق: محمد عصام القضاة، المجلد1، دار الفتح للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دار ابن الحزم،1422هـ/2001م، ص18.

[3]-محمد الزحيلي،الإمام الجويني، إمام الحرمين،419-479هـ، ط2، دار القلم، 1412هـ/1992م، دمشق، ص41وما بعدها.

[4]-عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد26، جويلية-أوت1975م،تصدر عن وزارة الشؤون الدينية، مطبعة البعث ،قسنطينة ،الجزائر ،ص139.

[5]-عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق:محمد سعيد العريان، الكتاب الثالث، لجنة احياء التراث الإسلامي،الجمهورية العربية المتحدة، ص326، ومؤلف مجهول أندلسي من أهل القرن الثامن للهجرة، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،حققه: سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة،(د.ت)، ص152.

[6]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص309.

1-عبد الله الونشريسي[1]يقرأ القرآن قراءة حسنة[2]،كان يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم في السرِ بحيث لا يعلم به أحد ولقي بذلك احترام وإعجاب الناس بشخصيته الفقهية.

2-محمد بن عبد الله بن محمد المعافري القلعي،تـ581هـ /1185م[3]:الشيخ الفقيه النحوي ،المقرئ الصالح المعروف بابن الخراط أحد التقاة الأثبات الصُلحاء الروّاة حسن التلاوّة، صادق القراءة، قرأ بقلعة بني حماد لقي بها مشائخ، وانتقل إلى بجاية وأستوطنها وأقرأ بها وجلس للأستاذية وانتفع الناس به، وكان معروفاً بالصلاح[4]،كان إذا أحيا ليلة سبع وعشرين يُرغب الناس في القيام خلفه، لصدق قراءته والتبرك به.

يذكر الغبريني قائلا: "سمعت أن أبا عبد الله بن يؤمن والي بجاية في ذلك الزمان، كان يحضر لإحياء بالجامع ليلة سبع وعشرين"، فما دام الأستاذ أبو عبد الله يقرأ ،فهو يصلي ولا يركن إلى الجلوس، فإذا قرأ غيره ممن يعيينه يجلس، وذلك بجامع القصبة المحروسة، خطب بالجامعين، الجامع الأعظم ثم غلب على الخطبة بجامع القصبة، لما عُلم من فضله وعلم وصالح عمله[5].

3-أبو بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الإشبيلي(تـ 600هـ /1203م)[6]: نزل تلمسان وعمرها وأخذ عنه الناس[7]،يكنى أبا بكر، وأبا عبد الله الفقيه المحقق، وكان مجوداً للقرآن الكريم ضابطاً محدثاً عالي الرواية، فكان مُقرِئاً فاضلاً أخذ القراءات من أبي بكر العربي،وعن أبي الحسن بن محمد ،وابي العباس بن حرب وغيرهم، وروي عنه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز بن أحمد الهواري،وأبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي[8]،توفي في رجب سنة ست مائة[9]،تخرج على يده الكثير من علماء القراءات.

---

(1)-عبد الله الونشريسي، فقيه وعالم نحوي من المغرب الأوسط، ينظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ،سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة،ج19،ط9بيروت 1413هـ، ص543.

(2)-ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص198، 199.

(3)-أبو العباس الغبريني ،المصدر السابق، ص140.

(4)-نفسه، ص 133.

(5)-نفسه، ص134.

(6)-شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري، الدمشقي الشافعي(تـ833هـ /1429م)،غاية النهاية في طبقات القراء،ج2،تحقيق:ج.برجستراسر ،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،لبنان، 2006، ص251 وما بعدها.

(7)- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص129.

(8)-نفسه، ص71.

(9)-ابن مريم ،المصدر السابق،ص227.

4-أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن حرْج،أبو جعفرالبلنسي ،(تـ601هـ/1204م) [(1)]:

،ويكنى أبا العباس، توفي بتلمسان وترك مؤلفاته بها وأنه أخذ القراءات عن أبي عبد الله بن حُميد ،كان حسن الذكاء والفهم والاستنباط والغوص على دقائق المعاني ومن تأليفه كتاب الأعلام بفوائد مسلم للمهدي الإمام، وكتاب حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة[(2)]، قيدت عنه في الفقه وغيره فتاوى بديعة وجوابات حسنة، ولم يخل من نظم زّانَ به علمه.

5-علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله(تـ652هـ/1254م)[(3)]:الشيخ الفقيه العالم العابد، أبو الحسن من أهل بجاية، ولد بها سنة ست وخمسمائة، وتوفي بها ليلة التاسع والعشرون لجمادي الأخيرة ،كان له فضل وعلم وصلاح، رحل إلى الأندلس وبعدها إلى المشرق، واستقر قراره ببجاية، وكان بها يروي ويسمع ويتفقه عليه، وله علو سند في الحديث.

6-مصعب بن محمد بن مسعود الخشني (تـ 604هـ /1214م):يكنى أبا ذر ويعرف بأبي رُكب، سمع عن أبي مروان عبيد الله بن هشام الحضرمي بتلمسان، وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي ببجاية،وقرأ بها،وقد ذاع صيته في الإقراء[(4)].

7-محمد بن عبد الرحمن بن علي،التيجيبي أبو عبد الله (تـ610هـ/1241م):نزيل تلمسان من العلماءأندلسي،ولد في لقنت من عمل مرسيه،ونشأ بأورويلةOrihuela،ورحل الى المشرق رحلة واسعة،وعاد فاستقر في تلمسان إلى أن توفي،ومن كتبة: معجم في تراجم شيوخه، والبرنامج الأكبر والبرنامج الأصغر، ومناقب السبطين الحسن والحسين، ومعجم شيوخ شيخه الحافظ السلفي، والفوائد، والترغيب في الجهاد والمواعظ الرقائق،وأربعون حديثاً[(5)]،ويعد من أكابر أعلام الرواية بالغرب الإسلامي

---

(1)-ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي البلنسي، ابن الابار،_التكملة لكتاب الصلة، عني بطبعه وتعليق حواشيه: ألفرد بل، وابن ابي شنب، طبع بمطبعة الشرقية للأخوين فونطانا في زقاق بلسيبي،العدد3، طبعة الجزائر،1237هـ /1919م ،ص117.

(2)-نفسه، ص117.

(3)- أبو العباس الغبريني ،المصدر السابق،ص142.

(4)-إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م،دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء،المغرب،2000م، ص140، وابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،ج1، حققه : شوقي ضيف،ط4،دار المعارف،2009م، ص55.

(5)-خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، ت1396هـ /1976م،الأعلام، ،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين ،ج1،دار العلم للملايين،ط15، ،بيروت،2006م،ص191.

أخذ عنه خلق كثير بالمشرق والمغرب[1]،أخذ القراءات عن قريبه أبي أحمد بن معط وأبو الحجاج الثغري، وأبو عبد الله بن الفرس وسمع منهم ومن أبي محمد بن عبد الله وغيرهم،ثم توجه الى المشرق وأخذ عن العديد من علمائها حتى استوسع في الرواية[2].

ساعدتنا كثيرا المصادر التي اعتمدنا عليها لمعرفة العلماء الذي اهتموا بهذا العلم وتفننوا فيه، وذّاع صيتّهم في العالم الإسلامي، إلا أنها لم تُعطينا كل التفاصيل أو بالأحرى تراجم شافية وكافية حول الشيوخ الذين أخذ منهم أهل القراءات الذّين برزّوا في أرض المغرب الأوسط، وحتى عن تلامذتهم سوى بالإشارة لهم، وهذا جعلنا نقوم بالمحاولة أحياناً والاعتماد على المراجع الحديثة حتى يتسنى لنا تقديم شروح لهذه الشخصيات التي كرست حياتها للعلم والمعرفة.

اهم الكتب المتدّاولة من هذا العلم في المغرب الأوسط في العهد الزياني قصيدة الشاطبي[3]المسماة بحرز الاماني ووجه التهاني في القراءات السبع المثاني ،وكما تعرف بالشاطبية التي نظم فيها صاحبها كتاب التيسير في القراءات السبع للداني وعدد ابياتها 1173 بيتاً ابدع فيه كل الابداع فصار عمدة هذا الفن وله شروح كثيرة؛وأرجوزة بن بري[4]،المعروفة بالدرر اللوامع في قراءة نافع[5]التي نظمها سنة697هـ، وتتضمن علم القراءات والتجويد ومخارج الحروف، وأرجوزة الخراز المسماة بمورد الظمآن في رسم أحرف القرآن[6]،وهي في رسم وضبط أحرف القرآن،وكان له صدى واسع في كل من بلاد المغرب والأندلس،يتكون من 154 بيت في ضبط القرآن[7]، ومن أهم علماء تلمسان الذين برزوا فيه:

---

[1]- محمد بن عبد الرحيم بن ابي العيش الخزرجي، التلمساني، تـ654هـ/1256م، التذكرة في قبول_المعذرة وفيما جاء في العفو عند المقدرة،تحقيق: عبد الرحمن بن محمد الهيباوي، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، ط1، 2008م، ص30.

[2]- ابن الأبار، المصدر السابق،ج2،ص303.

[3]-الشيخ إمام القراء محمد بن فيرة الشاطبي الضرير، كان أوحد زمانه في علم اللغة خاصة القراءات،ولد سنة 538هـ بشاطبة،وتوفي سنة590هـ،ينظر: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين ،أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون،المجلد5،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1992،ص828،وابن مريم، المصدر السابق، ص206.

[4]- ابن مريم، المصدر نفسه، ص206.

[5]-هو أبو الحسن بن علي بن محمد بن علي الرباطي الشهير بان بري(تـ709هـ/1309م)، ينظر: بسام محمد بارود، الفهرس المختصر للمخطوطات العربية والإسلامية، ج3، دار الكتب الوطنية، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، 2000، ص1001.

[6]-خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج7، ص33.

[7]-حسن عزوزي،التأليف في القراءات القرآنية وخصائصه بالمغرب والأندلس في القرن الثامن للهجرة، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، وهران، 1993، ص239.

1-أبوعبد الله الشاطبي[1]:محمد بن صالح بن أحمد الكتاني الشاطبي(ت بعد سنة699هـ/ 133م)، الشيخ الفقيه الأستاذ المقرئ ،من أهل شاطبة[2]، كان عالماً بعلم القراءات، متقنناً فيها، وله معرفة بالعلوم العربية من نحو ولغة وأدب، رحل إلى العدوة و أستوطن بجاية ودرس بها ولقى المشايخ بالعدوتين وروى ودرس واستجاز واجاز، وروى وقرأ .

استمتع واستنفع به خلق كثير، وله رواية متسعة في الحديث، وفي غيره وروايته عالية من جهات كثيرة، وله شعر حسن، ومن شعره:

جَعَلْتُ كِتَابَ رَبِّي لِي بِضَاعَهْ فَكَيْفَ أَخَافُ فَقْراً أَوْ إِضَاعَه

وَأَعْدَدْتُ القَنَاعَةَ رَأْسَ مَالِي وَهَلْ شَيْءُ أَعَزُّ مِنْ اَلْقَنَاعَه[3]

2- محمد بن أحمد بن علي الهواري (780-698هـ/1299-1379م)[4]: من أهل ألمرية[5] ،يكنى أبن عبد الله، ويعرف بابن جابر ،رجل كفيف البصر العالم الغزير العلم المشهور بالقصيدة المتضمنة للتورية بأسماء سور القرآن الكريم، ومطلعها:

فِي كُلِّ فَاتِحَةِ القَوْلِ مُعْتَبَرَة حَقُ الثَّنَاءِ عَلى المَبْعُوثِ بِالبَّقَره

فِي آلِ عِمْرَانَ قِدَمَا شَاعَ مَبْعَثُه رِجَالُهُم والنِسَاءُ استوضحوا خَبَره

مَنْ مَدَّ للِنّاسِ منْ نَعْمَاءِ مَائِدَةٍ عَمَّت فَلَيسَتْ عَلى الأَنْعَامِ مَقْتَصِرِه

أَعْرَافُ نُعْمَاه مَا حلَّ الرجَاء بِهَا إلا وَأَنْفَالُ ذَاكَ الجُدُ مَبْتَدره

بِهِ توسّل إِذَا نَادىَ بِتَوْبَته فِي البَحْرِ يُونسُ وَالظَّلْمَاءُ مُعْتَكِره[6]

---

[1] -أبو العباس الغبيريني ،المصدر السابق،ص104.

[2]- شاطبة: مدينة بالأندلس يضرب بها المثل في الجمال والمنعة ،ينظر: الحموي، المصدر السابق،ج3، ص310،وأحمدبن عمر بن أنس العذري، المعروف بابن الدلائي، نصوص عن الأندلس، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ص18.

[3]-أبو العباس الغبريني، المصدر السابق،)، ص104.

[4]- أحمد بن محمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ج7، ص302.

[5]-ألمرية: مدينة من المدن الإسلامية الهامة التي أسسها المسلمون في الأندلس، فقد كانت أعظم قواعد أسطول الأندلس في عصر الخلافة الأموية، وعصر الطوائف، والمركز التجاري الأول للتجارة البحرية مع أقطار البحر الأبيض المتوسط، ينظر: عبدالعزيز سالم، تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية، قاعدة أسطول_الأندلس،1984، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص7 وما بعدها.

[6]-أحمد بن محمد المقري التلمساني،المصدر السابق، ج7، ص324.

3- **عبد الله بن عبد الواحد المجاصي،أبو محمد التلمساني (ت741هـ/1340م)**:الشيخ الصالح من أهل الحديث والدين والورع كثير البكاء حتى شهر به ذو مواعظ حسنة وتديس للعلم وعبادة[1]. يذكر ابن مريم:" أن أيام مجاورته بمكة أخذ عنه الخطيب بن مرزوق الجد" [2]،ونقل عنه في مواضع من كتبه الإمام المقري[3]وقال في حقه: هو عالم الصلحاء وصالح العلماء وجليس التنزيل وحليف البكاء[4]،وقبره مشهور بعين وانوته من باب الجياد قرب العباد السفلى.

4-**أبو إسحاق المصمودي(ت805هـ/1402م)**: يعرف بأبو إسحاق وهو أحد شيوخ الإمام ابن مرزوق الحفيد، يقول عنه ابن صعد في كتابه" النجم الثاقب " كان هذا الولي أحد من أوتي الولاية صبياً وحلَ رئاسة العلم والزُّهد مكاناً علياً صاحب الكرامات المأثورة ،أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة وبها ولد ونشأ ،فلما كبر طلب العلم فأخذه من فاس عن جماعة من العلماء، كالشيخ موسى العبدوسي[5]وشيخ التعاليم الآبلي، وقرأ كثيرا على العلامة أبي عبدالله الشريف التلمساني[6]ثم انتقل إلى المدرسة التاشفينية[7] كان يحب مجالسة أهل العلم وكان على دراية بأخبار العلماء والصالحين المتقدمين والمتأخرين لاستكمال تحصيله العلمي، توفي بروضة آل زيان من ملوك تلمسان.

5-**أبا عبد الله محمد بن محمد بن مرزق الحفيد(842هـ/1438م)**،الإمام العلامة، الزاهد الورع، الفقيه المجتهد المفسر المحدث المسند الرواية الأستاذ المقرئ، غرب وشرق مثل والده واجداده، وأختار طريق العلم والرحلة في سبيله، فكان له فضل الإقراء من المغرب إلى الديار المصرية، اخذ

---

(1)- يحي بن خلدون،المصدر السابق،ج1، ص106.

(2)-الخطيب بن مرزوق الجد(781-710هـ /1310-1380م) ،محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق ،المشهور بالخطيب وبابن مرزوق الجد التلمساني، ولد بتلمسان، عرف برحلاته الكثيرة في البلاد الإسلامية، ينظر: ابن مريم، المصدر السابق،ص184.

(3) -الامام المقري:(ت 759هـ/1358م) ولد بتلمسان، وبها تعلم العلامة المحقق القدوة، قاضي الجماعة بفاس، ومن كبار فهاء المذهب المالكي في وقته،ينظر: لسان الدين ابن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج2،تحقيق:محمد عبدالله عنان،ط1،مكتبة الخانجي،1394هـ/1974م،القاهرة،ص191- 226، والحفناوي ،المرجع السابق،ج2،ص493،والتنبكتي،المصدرالسابق،ج2، ص420،وعبد الحميد حاجيات ،الحياة ...المرجع السابق ، ص141،ومحمد بن مخلوف،المرجع السابق،ج2، ص232.

(4)-ابن مريم، المصدر السابق، ص121.

(5)-موسى العبدوسي بن محمد بن معطي، مدرس وعالم من أهل فاس، كان مجلسه بالمدينة من أعظم المجالس يحضره الفقهاء، والمدرسون ،ينظر: التنبكتي ،نيل...المصدر السابق،ج2، ص604.

(6)-أبوعبد الله الشريف التلمساني: امام تلمسان وعالمها والمغرب قاطبة، ينظر:_ابن مريم، المصدر السابق، ص164، ويحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1،ص120.

(7)-المدرسة التاشفينية: بناها الملك أبي تاشفين عبد الرحمن الأول ما بين سنتي 718-737هـ بجانب المسجد الجامع،ينظر: محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص141،وعبد الحميد حاجيات،أبو حمو ...،المرجع السابق، ص61.

العلم عند شيوخ تلمسان مسقط رأسه، ثم انتقل الى عاصمة بني حفص حيث ألتقى بمجالس شيوخها وارتحل الى فاس ودر على علمائها، ثم أختار الأندلس وعكف على الدراسة بها،وشد الرحال إلى المشرق للتزود بمعارفه فدرس بمصر،والحجاز،وقد اشتهر بفضله وبعلمه في الامصار التي زارها[1]،ولما هاجر الأندلسيون إلى المغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري،نقلوا معهم كفاءتهم وتميزهم في القراءات نظراً لكون الأندلس كانت موطناً لكبار علماء هذا العلم[2]،وكان من بين الشخصيات العلمية التي برزت في هذا العلم: أبوعثمان بن سعيد بن زاهر (577-654هـ/1181-1256م) من أهل بلنسية، كان شيخاً مشهوراً وقارئاً عارفاً إماماً بالرواية والقراءات وحظ من العربية ،استوطن المغرب الأوسط، وتولى القضاء ببجاية والتدريس والإقراء بجامعها الجُموع الكثير و إلى غاية وفاته ،اشتهر بكتابة القراءات[3]، وأبو العباس أحمد بن محمد الصدفي الشاطبي (ت674هـ/1276م)[4]،له رواية واسعة، ومعرفة بالقراءات، ألف كتاباً في " مرسوم الخط " وهو كتاب حسن كثير الفائدة ،وألف أيضاً في بيان " تمكين ورش "حروف المد واللين الثلاثة، الالف والواو والياء إذا تقدمتهن الهمزة، وألف أيضاً جزءاً آخر في بيان مذهب ورش في تفخيم اللام وترقيقها، ويذكر الغبريني: روينا عنه بعض كتب الحديث، واستفدنا منه بالمشافهة في علم القراءات، وقلَ ما كان يجيز في طريق القراءات إلا بعد التحصيل الجيّد لأنه كان مشدداً في هذا المعنى، ولم يكن عنده من المسامحة شيء[5].

- **علم التفسير:**

يعد التفسير الخطوة الثانية بعد القراءات في سبيل بيان معاني القرآن الكريم، وعلى الرغم من أن الموحدين تبنى أوائلهم الفكرة المهدوية الشيعية وتأثر مذهبهم التوحيدي بأراء المعتزلة إلا أن ذلك لم يخرجهم عن الجو السُني مطلقاً[6]،ففقهم سُني سَلفي مقتبس من مذّهب مالك، ومظهرهم

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان ...،ج2،المرجع السابق، ص135،وعبد الحميد حاجيات، الحياة..،المرجع السابق،ص146،والمقري،المصدرالسابق،ج5، ص419،والتنبكتي،نيل الابتهاج، المصدر السابق،ج2، ص499،وابن مريم،المصدر السابق،ص201،وأبي الحسن علي القلصادي الأندلسي، (ت891هـ) رحلة_القلصادي_،تحقيق: محمد أبو الأجفان،الشركة التونسية للتوزيع،ص96.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون،المقدمة،المصدر السابق، ص552.

[3]- أبو العباس الغبريني،المصدر السابق،ص245.

[4]- نفسه، ص85.

[5]- نفسه، ص86.

[6]- عبد الله علي علام الله، المرجع السابق،ص297.

العبادي سُني واضح فهم يسيرون على القرآن الكريم وتفسيره المأثور، ويتأسون بالنبي الكريم وصحابته الأبرار.

عُني العلماء المفسرون في العهد الموحدي بالمغرب الأوسط بدراسة القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي، واهتموا بتفسيره وفهمه، لذا كان الأمير يوسف بن عبد المؤمن[1]من أحسن الناس نطقاً بالقرآن الكريم ومحاولة معرفة معانيه[2]،فشجع ذلك علماء المغرب الأوسط على الإقبال على كتاب الله حفظاً ومدارسة، وأفنوا زهرة شبابهم بتأليف مصنفات كثيرة، والحفاظ على خصوصياته المذهبية، ومن أبرز المفسرين للقرآن الكريم بالمغرب الأوسط:

1-أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني (تـ 570هـ/1174م): الشيخ العلامة،نزل بالأندلس من تأليفه تفسير القرآن في سبعين جزءاً[3]،" العالم الفقيه الفطن النبيه اليقظان الذكي الورع ذو الجهادين الأكبر والأصغر"، كان يلقب بشيخ الرأي الناصح وذكر أنه كان في مدة قضائه يقضى بين الناس، كون هذا العالم الفقيه حلقة علمية في أحد مساجد وارجلان، فكان إلى جانب توليه القضاء يقوم بتعليم التلاميذ ويلقي دروس الوعظ في مساجد المدينة وأثمرت حلقته بتخرج العديد من العلماء[4]، يذكرهم الدرجيني في طبقات المشايخ بالمغرب، وأبو العباس الشماخي في كتابه السِيَّر.

2-أبو زكريا يحي بن علي الشهير بالزواوي،(تـ611هـ/1214م)[5]،من أهل أمْسِيون[6] خارج مدينة بجاية وبها مات بعد صلاة العصر يوم الجمعة منتصف رمضان عام أحد عشر وستمائة،رحل إلى المشرق فأخذ عن العلماء،ثم عاد إلى المغرب ،وكان عابداً زاهداً ورعاً ،وكان إذا أهل هلال رجب انقطع في جبل رجراجة إلى أن ينتهي شهر رمضان،ويخبرنا عنه الغبريني قائلاً: " كان عندما يكتب اسمه يكتب الحسيني -منسوب إلى بني حسن- من أقطار بجاية، ولد في بني عيسى من قبائل

(1)-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص308.

(2)-نفسه، ص309.

(3)-محمد الطمار، الروابط ...المرجع السابق،1983 ،ص166،وعبد الحميد حاجيات،الجزائر ...المرجع السابق،ج3،ص340.

(4)-مسعود مزهودي، الاباضية في المغرب الأوسط من سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بن هلال إلى بلاد المغرب، رسالة ماجستير مرقونة كلية الأدب قسم التاريخ جامعة القاهرة، مصر 1988.،ص249.

(5)-أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي، المصدر السابق، ص428،وأبي العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفد القسنطيني(تـ810هـ/1408م)،أنس الفقير وعز الحقير،أعتنى بنشره: محمد الفاسي،وأدولف فور ،منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي،1965،الرباط، ص27.

(6)-أميسون أو أمسيول جبل ببجاية ،ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص6.

"زواوة " قرأ بقلعة بني حماد على الشيخ الصالح ابي عبد الله ابن الخراط[1]وغيره ثم ارتحل الى المشرق، ولقي الفضلاء والأخيار والمشايخ من الفقهاء والمتصوفة وأهل طريق الحق"[2] ،ثم استوطن بجاية وجلس بها لنشر العلم وبثه ،فانتفع الخلق على يديه وظهرت عليهم بركته وفعلت فيهم سريرته الصالحة ونيته، ولم يكن أحد أجلد منه على القيام والصيام[3] ،وكان يجلس لعلوم الحديث ولعلوم الفقه ولعلوم التذكير، تلقى فنون العلم والمعرفة على جماعة من المشايخ والفقهاء ذكرهم صاحب عنوان الدراية.

3-**محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي(تـ بعد654هـ /1256م)**[4]:التلمساني المولد والمنشأ، فسر القرآن الكريم، وشرح الأسماء الحسنى، وصنف عقائد أصولية في الدين،وكتاباً في أصول الفقه، روى ببلده عن أبي بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة، وأبوي عبد الله، وغيرهم كان أديباً بارع الكتابة، شاعراً ،رائق الخط ذا مشاركة في فنون من العلم ،دخل الأندلس وكتب عن بعض الولاة بها ثم تخلى عن ذلك ولزم الانقباض، وآثر الخلوة والعزلة عن الناس[5].

4-**عثمان بن صاحب الصلاة(582هـ/1186م)**[6]، أبو عمرو ،كان من أهل الدين والعلم والرياسة على أهل بلده، وهو شارح كتاب" الأحكام الصغرى في الحديث " لعبد الحق الإشبيلي[7]،كما كان يجلس لعلوم الحديث والتفسير ولعلوم الفقه والتذكير ،وان هناك جماعة من المفسرين عرفتهم أرض المغرب الأوسط، منهم محمد بن يخلف بن يوسف وموسى بن الحاج بن ابي بكر الأشيري وأبو الوليد يزيد بن أبي الحسن بن عبد الرحمن وأبو عبد الله محمد بن علي بن مروان من الجيل الذي درس بالأندلس التي كانت حارة يحج إليها الطلاب للنهل من مختلف العلوم "[8]، وهناك الكثير من المفسرين منهم من استوطن بلده بعد الرحلة من طلب العلم، ومنهم استقر خارج الديار للاستزادة من المعرفة،أو للظروف السياسية التي شهدها المغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط خاصة.

---

(1)-أبو العباس الغبريني، المصدر السابق،ص140.

(2)-نفسه،ص 127.

(3)- نفسه، ص128.

(4)-أبوالقاسم الحفناوي،المرجع السابق،ج2، ص333،ويحي بن خلدون،المصدر السابق، ص29.

(5)-أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الأوسي المراكشي ،الذيل والتكملة لكتاب الصلة الصلة،ج1،تحقيق:محمد بن شريفة،1984،ص314.

(6)- رمضان شاوش، المرجع السابق، ص418، ويحي بنخلدون ،المصدر السابق،ج2،ص116.

(7)- أبو العباس الغبريني، المصدر السابق،ص73.

(8)- محمد الطمار، الروابط ...، المرجع السابق، ص166-168.

واهم الكتب المقررة في علم التفسير والتي كانت تدرس ببجاية وتلمسان وكل أنحاء المغرب الأوسط، كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن الكريم لأبي إسحاق احمد بن محمد الثعالبي المقرئ(427هـ/1035م)،وكتاب أحكام القرآن لأبي الحسن علي بن محمد الطبري (تـ504هـ/1110م) وكتاب التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لأبي العباس أحمد بن عمر المهدوي التميمي القيرواني(تـ440هـ /1048م)،وكتاب الوجيز في شرح كتاب الله العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي(تـ542هـ 1147م)،وكتاب الكشف عن حقائق التنزيل لأبي القاسم محمود الزمخشري(تـ538هـ/ 1143م)[1]،وقد أهتم علماء المغرب الأوسط خلال العهد الزياني اهتماماً كبيراً بالقرآن الكريم وعلومه، فكانوا يتدارسونه في المساجد والمدارس والكتاتيب، ومن أجل المحافظة على حفظه كانوا يقرؤون عدة أحزاب يومياً بعد صلاة الصبح والمغرب[2]، ومن أهم الأعلام الذين عملوا في حقل التفسير في العهد الزياني:

1-أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو المغراوي التلمساني[3]:العالم المفسر الصوفي ولد سنة782هـ،أخذ عن سعيد العقباني،وعن أبي يحي الشريف وغيرهما من علماء تلمسان،وقد تصدر للإقراء والتدريس بالمدرسة اليعقوبية[4] بتلمسان،فكان يعلم التفسير والحديث والفقه في الشتاء والأصول العربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة في الصيف،ألف تفسير الفاتحةحسن مفيد وشرح التلمسانية في الفرائض،وله فتاوى عدة منقولة في المازونية والمعيار[5]،ومن أشهر تلاميذه أبوزكرياء يحيى ابن إدريس المازوني صاحب النوازل،والحافظ التنسي،وأبو الحسن القلصادي الذي ذكره في رحلته،فقال:"شيخنا الإمام المصنف المدرس اعلم الناس في وقته بالتفسير وافصحهم فاق نظراءه وأقرانه في دلائل السبيل والمسالك إلى سبق في الحديث والأصول والمنطق وقدم راسخه في التصوف مع الذوق السليم والفهم المستقيم،وبه يضرب المثل في الزهد والعبادة[6]،توفي في 14 من شهر ربيع الأول سنة845هـ.

---

[1]-عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص554، وعبدالقادر بوباية،_طرق التدريس في المغرب الإسلامي، فاس وبجاية نموذجاً، مجلة عصورالجديدة،العدد1،منشورات مخبر البحث التاريخي، تاريخ الجزائر،2001، ص54.

[2]-عبد العزيز فيلالي،تلمسان ...،ج2،المرجع السابق،ص437.

[3]-ابن مريم ،المصدر السابق، ص41.

[4]-المدرسة اليعقوبية: شيدها السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة765هـ/1363م بالقرب من مسجد سيدي إبراهيم المصمودي وسماها اليعقوبية نسبة الى والده يعقوب،ينظر:فايزة بوسلاح،المدارس العلمية بتلمسان في عهد بني زيان،اشعاع فكري وحضاري،عصورجديدة،العدد2،عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية،1432هـ/2011م، ص186.

[5]-التنبكتي، كفاية المحتاج،ج1،المصدر السابق، ص112.

[6]-القلصادي،المصدر السابق، ص102، والتنبكتي، نيل الإبتهاج،ج2،المصدر السابق، ص120.

2-محمد بن أحمد بن أبي بكر المقري، أبو عبد الله التلمساني(تـ758هـ/1357م)[1]: المولود بتلمسان أيام السلطان أبي حمو موسى الأول(718-707هـ/1307- 1318م)، ،قاضي الجماعة بمدينة فاس وتلمسان نشأ ودرس على أكابر علمائها كابني الإمام،وعمران المشدالي،وابن هدية القرشي وغيرهم[2]،ألف كتاب القواعد اشتمل على ألف قاعدة ومائتي قاعدة وهو كتاب عزيز مفيد وحاشية بديعة على مختصر ابن الحاجب الفرعي والحقائق في التصوف وغيرها[3]

3-محمد بن أحمد بن علي الحسيني،أبوعبد الله الشريف التلمساني(تـ771هـ/1370م)[4]: شيخنا الفقيه العالم، أخذ عن الشيخين أبي زيد وأبي موسى ابنا الإمام، وعن أبي عبد الله الآبلي وغيرهم، وبلغ الغاية القصوى من الادراك والتبحر وفصاحة اللسان عند الإلقاء، واحد عصره، فسر القرآن الكريم في خمس وعشون سنة، اتى فيه بالعجب العُجاب[5]، قال القلصادي في رحلته: شيخنا الفقيه الصدر العلم الحسيب الأصيل السيد الشريف إمام مسجد الخراطين، اختصر شرح التسهيل لأبي حيان، قرأت عليه تلخيص المفتاح وبعض التسهيل لأبن مالك ومفتاح الأصول، وحضرت عليه الالفية وبعض المرادي عليها جمل الزجاجي وتنقيح القرافي[6]،وتوفي في ذي الحجة سنة771هـ،فأمر السلطان أبو حمو بدفنه عند قبر والده أبي يعقوب تبركا له بجواره وولده الفقيه أبو محمد عبد الله من عليه الفقهاء وصدور المدرسين في فنون التعاليم والنظر والفقه[7].

4-محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي،الجد الخطيب(تـ781هـ/ 1379م)[8]:من أهل تلمسان، يكنى، أبا عبد الله، ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين، متسع الرواية، مشاركاً في فنون من أصولِ وفروع وتفسير[9]،رحل إلى المشرق مع والده فحج وجاور، ولقي الجلة ،وقد عرف بالمشرق حقه، وصرف وجهه إلى المغرب[10]،وشيوخه الذين أخذ عنهم العلم،

---

(1)-التنبكتي،نيل الإبتهاج،ج2،المصدر نفسه، ص420،

(2)-الحفناوي،المرجع السابق،ج2، ص352.

(3)-المقري،المصدر السابق،ج5،ص203،ومحمد بن مخلوف،المرجع السابق،ج2، ص232.

(4)- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص120

(5)- ابن مريم ،المصدر السابق، ص172.

(6)-القلصادي، المصدر السابق، ص99، 100، وابن مريم، المصدر نفسه، ص222.

(7)- الحفناوي ،المرجع السابق، ج2، ص343.

(8)-لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص103

(9)-ابن فرحون، المصدر السابق،ج2، ص396.

(10)-لسان الدين بن الخطيب ،المصدر السابق،ج3، ص104،وابن مريم ،المصدر السابق، ص186.

وروى عنهم الحديث مذكورون في مشيخته المسماة " عجالة المستوفى المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز، وأئمة المغرب والشام والحجاز[1]،وتصانيفه عديدة في فنون متنوعة، وكلها بديعة كثيرة الفائدة، تدل على كثرة اطلاعه منها" شرح العمدة" في خمس مجلدات وغيرها.

ثانياً: علم الفقه:

- المذهب المالكي:

يعتبر مالك بن أنس[2] أحد أئمة السلف وعلم من أعلامهم، الذين أثر عنهم حديث كثير في الجانب العقدي،والدليل على ذلك أقواله المبثوثة في كتب العقائد والتراجم[3]،ولا تخفى صلته القوية بالمغرب عن طريق كتبه وتلاميذه الذين نشروا مذهبه بالمغرب حتى أصبح هو المذهب السائد بعد مذهب الاوزاعي[4](تـ157هـ)الذي كان في الاندلس[5]،ومذهب أبي حنيفة(تـ 150هـ) الذي كان موجوداً بنواحي المغرب جاء في ترتيب المدارك[6]،وأما افريقية(تونس)وما وراءها(أي الجزائر والمغرب والأندلس) فقد كان الغالب عليها مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد (تـ184هـ)[7]،وغيره بمذهب مالك،وبقي هذا المذهب ينتشر إلى أن جاء الإمام سحنون(تـ240هـ)[8]،فغلب في أيامه وفض حلق المخالفين واستقر المذهب بعده في أصحابه،فشاع في تلك الأقطار الى وقتنا هذا.

---

(1)- ابن فرحون، المصدر السابق،ص396 وما بعدها

(2)- هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن ابي عامر الاصبحي، ولد بالمدينة واختلف في السنة التي ولد فيها، وهي بين سنة 90 و97هـ،وهو إمام دار الهجرة وتوفي سنة 179هـ بالمدينة،ينظر :أبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني،المتوفي سنة 430هـ، حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، ج6، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الفكر للطباعة والتوزيع،1416هـ/1996، ص316، والذهبي، المصدر السابق، رقم4664، ص3145.

(3)- إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة اهل السنة(دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي الى نهاية القرن الخامس، مؤسسة الرسالة ناشرون،1،بيروت،لبنان، 1426هـ/2005م،ص39.

(4)- هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي،كان واحد زمانه ،وإمام عصره، ينظر: أبي نعيم الأصفهاني،المصدر السابق،ج6، ص135 وما بعدها.

(5)- أحمد بن محمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص230.

(6)- القاضي عياض ،المصدر السابق،ج1، ص25.

(7)- هو أبو الحسن علي بن زياد التونسي، كان تلميذا لمالك، وألف عدة كتب حول أراء مالك ،بارع في الفقه، ينظر: ابن فرحون ،المصدر السابق،ص292.

(8)- هوعبد السلام بن سعيد بن حبيب بن سحنون التنوخي، من حمص أصله، ينظر: سعدي أبو حبيب ،سحنون مشكاة نور وعلم وحق،ط 1،دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق،1401هـ /1981،ص11.

دخل المذهب المغرب الإسلامي قبلهم ،وعّم على المغرب الأقصى وغرب المغرب الأوسط في عهد المرابطين على يد طلبة العلم أمثال: وجاج بن زلو[1] و أبي عمران الفاسي[2]، والقاضي عياض[3] الذّين درسوا على ايدي فقهاء الأندلس وكانوا على المذهب المالكي[4]،وساعدهم في القضاء على الشيعة[5]،وفي هذا العصر توطد مذهب مالك لأن المرابطين لم يعرفوا الدين إلا على يد عبد الله بن ياسين المالكي، ثم ملكوا الأندلس وأهلها مالكيون.

كان الناس في المغرب الأقصى وغرب بلاد المغرب الأوسط حيث بسط المرابطون نفوذهم لا يعرفون في عقائدهم سوى عقيدة السلف وفي عبادتهم مقلدين لمذهب" مالك بن أنس" [6] ،وكان انتصار المذهب المالكي على غيره من المذاهب أثر فعال في تغلغل الإسلام في مختلف الجهات للمغرب الأوسط، وانتشار اللغة العربية[7]،وان ما نلاحظ أن قيام هذه الدولة يختلف عن قيام دول البربر التي سبقتها ،فقد قامت دولة الأدارسة مثلا على أساس البيعة لعلوي فر بنفسه وآوى الى المغرب معتصماً من بطش العباسيين وانتقامهم، وقامت دولة بني زيري بعد أن حالفت صنهاجة كتامة وأزرت الدعوة الإسماعيلية بالمغرب وظلت تدين للعبيدين بالبيعة والولاء دهراً طويلاً، أما دولة المرابطين فقد قامت على أسس مختلفة كل الاختلاف.

فقد قامت على أساس نشر مذهب مالك في صحراء المغرب ومحاولة بعث القوى الإسلامية والعودة بالمجتمع الإسلامي الى عهد السلف الصالح ورسمت لنفسها طريق الإصلاح واضحاً جلياً [8]،وفي

---

(1)-وجاج بن زلو: الإمام الزاهد مام بالعلوم الشرعية على المذهب المالكي،ينظر:حامد محمد الخليفة،المرجع السابق، ص16،وعبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب، العصر القديم والعصر الوسيط،_نشر وتوزيع مكتبة السلام، الدار البيضاء،ومكتبة المعارف، الرباط، ص100.

(2)-أبي عمران الفاسي: موسى بن عيسى بن أبي حاج بن وليم بن الخيرالغفجومي، مهندس الخطوط العريضة لدولة المرابطين (368هـ-430هـ)،ينظر: القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي،المتوفي سنة 544هـ،ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،تحقيق:عبد القادرالصحراوي،ج7،ط2، ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،1403هـ/1983م، ص243.

(3)-القاضي عياض:إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب ينظر:_علي محمد الصلابي، فقه_التمكين عند دولة المرابطين،ط1،مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة،1427هـ /2006م، ص195.

(4)-عمارعمورة،المرجع السابق،ص135

(5)- نفسه، ص135.

(6)-محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984، ص46.

(7)-رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص340.

(8)-حسن أحمد محمود ،المرجع السابق، ص326.

ظل دولة المرابطين أحرق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي 503 هـ / 1109 م، وذلك على عهد علي بن يوسف، ثم صدر مرسوم من تاشفين بتعقبه وتعقب كل مذهب غير مذهب الإمام مالك[1]،وقد حدثت واقعة الحرق لكتاب الإحياء قبيل عبور علي بن يوسف إلى الأندلس بأسابيع قلائل، وكان يوسف بن تاشفين على صلة طيبة بالغزالي، ولكن الأمور تغيرت في عهد ولده علي، وكان يميل إلى إيثار الفقهاء، ولا يقطع أمرًا من الأمور صغيرًا كان أو كبيرًا إلا برأيهم، وهكذا علت مكانتهم واشتد نفوذهم، حتى سيطروا فيما بعد على الدولة، وكان من أشدهم نفوذًا لدى علي قاضي قرطبة أبو عبدالله محمد بن حمدين،وكان الفقهاء عندئذ يؤثرون علم الفروع بعنايتهم، وهو علم العبادات والمعاملات، ويهملون علم الأصول، وكان لا يحظى لدى أمير المسلمين إلا من بَرَّع في علم الفروع[2].

لما وصلت كتب الإمام الغزالي إلى المغرب والأندلس وذاع صيتها فيها سخط الفقهاء المرابطون وأنكروا كثيرًا من المسائل التي وردت في كتاب الإحياء وزعموا أنها مخالفة للدين، وكان ابن حمدين من أشد الفقهاء مبالغة في ذلك، حتى إنه قال بتكفير من قرأ كتاب الإحياء ورفع ابن حمدين ومعه فقهاء قرطبة الأمر إلى علي بن يوسف وأجمعوا على وجوب مطاردة كتاب الإحياء، وإحراقه؛ فأخذ عليٌّ برأيهم وجمع نسخ الكتاب واحتفل بإحراقها في رحبة المسجد الجامع بقرطبة أمام الباب الغربي بعد أن أشبعت جلودها بالزيت، ونفذت كتب أمير المسلمين إلى سائر أنحاء المغرب، وشدد في ذلك، حتى إنه أنذر بعقوبة الإعدام ومصادرة المال لكل من وُجِدَ عنده، واستمرت المطاردة للإحياء وباقي كتب الغزالي طوال أيام المرابطين، وجدد المرسوم بذلك في أواخر عهد تاشفين بن علي بن يوسف 358 هـ[3].

ورأى البعض أن حملة الفقهاء على كتاب الإحياء لم تكن راجعة لأمور تتعلق بالعقيدة أو لأنه يخالف الدين في شيء، بل ترجع قبل كل شيء إلى ما ورد فيه من حملة لاذعة على علماء الفروع، والتنويه بجهلهم، وسخف مجادلتهم السطحية، وكونهم يجهلون علم الأصول.

---

(1)- محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية ،في الغرب والأندلس، ط1، دار الجيل،1997م، بيروت،لبنان، ص165، وعبد الرحمن الجيلالي،المرجع السابق،ج2،ص312.

(2)- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص236-237،و عبد الله كنون،المرجع السابق،ج2،ص69.

(3)- محمد إبراهيم الفيومي،المرجع السابق، ص 186.

لقد كان أساس دعوة المرابطين العلم وعليه قامت دولتهم، وكانت نزعة عبد الله بن ياسين الى علم الفقه والدين أقوى منها إلى أي علم آخر لأنه كان عالماً دينياً فغلب هذا الميل على الدولة، ومن ثم كان تقديمها للفقهاء واختصاصها لهم دون من عداهم من أرباب المعارف المتنوعة[1].

كان المرابطون يهتمون بعلوم الدين المتشبع بالروح السّلفي المتسامح الخالص من شوائب التنطع والتعمّق الذي لا يجاري الخلافات المذهبيّة والبدع والأهواء، وكان الزهد والتقشّف هما شعار الدولة وطابعها الخاص[2]،فقد حفل عصرهم بالحركة الفكرية والحياة يفيض بالعلماء الثُقاة الدّارسين لأنواع الثّقافات العربية حتى صّار المغرب والأندلس في مستوى علماء المشرق الإسلامي فمن مدرسة فاس إلى مدرسة بجاية التي وفد إليها العلماء والطلاب من مختلف النواحي[3]،عكس ما يذكره أعداء تاريخ هذه الأمة على أنها بعيدة كل البعد على الكثير من العلوم وفنونه.

عرفت الحركة الفقهية في الدولة المرابطية نشاطاً كبيراً وكانت تدور حول المذهب المالكي، باعتبار أن داعيتهم عبد الله بن ياسين نفسه كان مالكي المذهب وأن من جاء من بعده من الامراء المرابطين كانوا يتخذون من مذهب الإمام مالك وأحكامه مصدراً لتشريعاتهم، ومن هنا كان الفقه المالكي هو مناط الدراسة والبحث[4]،وأصبح الفقه في هذه الفترة فقه فروع لا سبيل إلى الاجتهاد فيه بسبب موقف المرابطين أنفسهم والذي يميل إلى التسليم بأقوال أئمة المذهب المالكي[5].

فقد انصرف المرابطون في معظم أيام دولتهم الى تشجيع الفقهاء حملة لواء المذهب المالكي، وكان طبيعتهم الصحراوية وعقيدتهم الدينية تبعدهم عن التشبت برجال الأدب والفلسفة، لذلك كان عصر هم عصر فقهاء[6]،وعمّ المذهب المالكي سائر أنحاء المغرب، وكثر الاهتمام بالعلوم الدينية وخصوصاً الفقه لحاجة الناس الى معرفة مختلف المسائل الدينية، من عبادات ومعاملات ولحاجة الحكام الى اصدار الأحكام الشرعية مختلف القضايا[7]، قد اشتهر في هذا العهد علماء وفقهاء أجلاء أخذت عنهم أعداد كثيرة من الطلبة وانتفع الناس بهم، سنذكر نماذج منهم:

---

(1)-عبد الله كنون، المرجع السابق، ص66، 67.

(2)-محمود شيت خطاب، قادة ....، المرجع السابق، ،ص184.

(3)-عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص49

(4)-حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ،1980، ص485.

(5)-إبراهيم حركات، المغرب ...،المرجع السابق، ص226.

1-إبراهيم حركات ،المغرب ....،المرجع السابق، ص226.

(7)-رشيد بورويبة واخرون، المرجع السابق،ص339.

1- أبو الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمن ابن أبي قنون (ت557هـ)[1]:كان فقيهاً مالكياً، متبحراً في الفقه محققاً لأصوله، ولي قضاء الجماعة بمراكش ثم تلمسان قاعدتي الموحدين، ولا يحصل على وظيفة القضاء في العواصم إلا من طال باعه في أصول الفقه وفروعه وفاق غيره فيها[2]،روى عن أبي الحسن شريح وأبي عبد الله احمد الخولاني وأبي علي الصدفي وابي عمران بن أبي تليد وروى عنه أبو الحسن بن محمد بن خيار وأبو الخطاب بن الجميل وأبو طالب عقيل بن عطية وأبو عبد الله بن عبد الحق وأبو محمد قاسم ابن الحشا[3]،وله مصنفات كثيرة أجلها المقتضب لأشفى في اختصار المستصفى.

2- عبد الحق الإشبيلي: كان عالماً بالفقه والحديث، وترك تأليف في الزهد والتصوف وتولى الخطبة وصلاة الجمعة ببجاية وتولى كتابة الوثائق، ومن كتبه الأحكام الكبرى والأحكام الصغرى في الفقه والحديث[4]،وغيرها من المصنفات ،توفي في أواخر ربيع الثاني من عام اثنين وثمانين وخمسمائة[5].

ازدهر الفقه على عهد الموحدين ازدهاراً كبيراً وقد نهض في مذهبين المالكي والظاهري:

- المذهب المالكي في العهد الموحدي:

بقدر مان الخلفاء محبين للمذهب الظاهري وعلى خُطى إمامهم ابن تومرت،كان فقهاء عصرهم من المغاربة ساخطين على هذا المذهب متعصبين للمذهب المالكي ومناصرين له[6]،ظهرت نزعة الثقافة الموحدية في محاربة فقهاء المرابطين الذين كانوا سلفين مالكية يكرهون المتكلمين وينفرون من الرأي والتأويل، والخوض في مسائل التوحيد وعوضوا ذلك بتوجيه جديد يعتمد تأويل النصوص ونفي الصفات والتشبيه عن الخالق، فأتهم الموحدون المرابطين بالتجسيم لانهم يقرون الصفات بخلاف الموحدين الذين كانوا يفهمون معنى التوحيد الخالص لذات الله[7]،ويلاحظ أن بوادر هذه التحولات

---

(1)-ابن الأبار، المصدر السابق، ، ص 274، ومحمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص419.

(2)-محمد بن عمرو الطمار، تلمسان... ،المرجع السابق، ص74.

(3)-أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ص352.

(4)-عبدالله شريط، ومحمد مبارك الميلي، المرجع السابق،ص107.

(5)-الغبريني،المصدر السابق،ص73.

(6)-كان تشبث أهل المغرب بمذهب السلف في العقيدة والمذهب المالكي في الفقه ورفض ما سواهما، حتى في مذهب أهل السُنة، ناتجا عن كون المغرب لم يعرف تنوعا مذهبيا في العقيدة والفقه مثلما عرف المشرق، ،ينظر:عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت،الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن6هـ،المعهد العالمي للفكرالإسلامي،ط2، 1415هـ/1995م،فيرجينيا، و. م. أ،ص51.

(7)-الحسن السائح، المرجع السابق، ص206.

ظهرت منذ قيام دولة المرابطين، وتوسعها في اتجاه سائر أنحاء المغرب الأوسط، وذلك أن هذه الدولة نشأت على أساس الإصلاح الديني، والتمسك بعقيدة أهل السنة، والفقه المالكي[1]،وتلك هي نقطة الضعف التي استغلها ابن تومرت فاتخذ العقيدة سلاحاً حارب به المرابطين،واعتمد على نظرية التوحيد، التي أخذها عن المعتزلة[2] لإنكار آراء علماء المرابطين حول صفات الله تعالى، وسماهم المجسمين، وعُني كثيراً بالأخلاق ،وتشدد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وفيما يخص الفقه،فإنه أعتمد على القرآن الكريم والحديث خاصة، وذهب فيه مذهب الظاهرية[3].

ولا يمكن في الواقع الحديث عن شيء اسمه المذهب الموحدي أو التومرتي نظراً لكون الموحدين لم يبلوروا منظومة فقهية متميزة أو حتى نسقاً متماسكاً، ولكنهم دعوا بشكل عام إلى الرجوع إلى أصول الإسلام وركزوا على بعض الأولويات في هذا الاتجاه[4]،وفي كتب المناقب والتصوف أخبار متفرقة توحي باهتمام المتصوفة والفقهاء بتدارس المذهب المالكي والانكباب على بعض أمهات كتبه رغم الحضر الرسمي[5]،وهذه إشارة على أن المذهب المالكي كانت له جُذّور منذ القدم بأرض المغرب الأوسط ولم تستطيع أي قوة قامت لها قائمة على أساس مذّهبي أن تقضي عليه وعلى من أتخذوه منهاجاً في حياتهم الدينية والدنيوية، ودليل على ذلك بروز جملة من علماء الذين أفنوا أعمارهم لنشر المذهب عبر ربوع المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة.

1-أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جِرْح(تـ 601هـ/1204م)[6]:من أهل بلنسية وأصله من ألمرية ،يعرف بالذهبي، ويكنى أبا جعفر، وأبا العباس، وكان أعلم أهل زمانه بالعلوم القديمة ،ماهراً في العربية، وافر الحظ من الأدب، متحققاً بأصول الفقه، غواصاً على دقائق المعاني ،بارع الاستنباط، كان يراعي أصول المذهب المالكي فيفتي بما تقتضيه، وتدل عليه، قدمه المنصور استدعاه

---

[1]-عبد الحميد حاجيات، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مجلة الحضارة الإسلامية ،العدد الأول،1993، عدد خاص بالملتقي الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي، يصدرها المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، ص169، 170.

[2]-محمد بن محمد بن يعقوب الفيروزبادي الشيرازي ،817/729هـ،القاموس المحيط ،نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة المصرية،1302هـ، ج4،الهيئة المصرية للكتاب،1400هـ/1980م، ص15.

[3]-أحمد بكير محمود، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب ،دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ص16.

[4]-محمد المغراوي، خطة القضاء بالمغرب في الدولة الموحدية، رسالة ماجستير ،جامعة محمد الخامس،الرباط،1986، 1987م، ص87.

[5]-محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،المغرب ،1987، ص26.

[6]-ابن الأبار،المصدر السابق، ص117،والعباس بن إبراهيم السملالي،**الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، راجعه: عبد الوهاب ابن منصور،ج2، ط2، 1413هـ/1993م المطبعة الملكية،الرباط، ص127 وما بعدها.

واستخلصه وبسط أمله للشورى ،والفتوى في القضايا الشرعية[1]،وقد قيد عنه من أجوبته على المسائل الفقهية وغيرها الكثير الحسنُ البديع، توفي بتلمسان[2]،ومن تأليفه كتاب الأعلام بفوائد مسلم للمهدي الإمام،وكتاب حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة وقيدت عنه في الفقه فتاوى بديعة وجوابات حسنة[3].

2-محمد بن عبد الحق اليعفريني التلمساني (تـ625هـ/1227م)[4] :فقيه مالكي من أهل تلمسان،ولي بها القضاء مرتين ،من كتبه المختار ،في" الجمع بين المنتقى والاستذكار "الذي ألف كتاباً مهماً في الفقه رغم أنه لم يُكمل وأشار إليه أبن عبد الملك المراكشي وهو بعنوان "مستصفى المستصفى"[5]،وهذا الأخير للغزالي،كما ترك كتابًا آخر بعنوان" حدود أنواع الحكم الشرعي" وكتاب التذكرة للنوادر المتخيرة" في نحو ثلاث أسفار رغم أنه لم يكمله وكتاب" الأجوبة المحررة على المسائل المغيرة[6]،ومنهم كذلك أبو الحسن القلي الذي كان فقيهاً أديباً، وأقرأ بجامع قرطبة زماناً، وله مختصر الإشراف لابن المنذر [7] ، والفقيه لأبو عبد الله محمد بن يخلف بن يوسف بن حسون الجزائري ،الذي نشأ بمدينة جزائر بني مزغنة، ثم رحل نحو الأندلس، حيث نزل إشبيلية أين أخذ على محمد بن عبد الحق الإشبيلي وغيره، ثم انتقل إلى مالقة ،ثم رجل إلى جزائر بني مزغنة، واستقر بها واشتغل بالتدريس، وتوفي في سنة606هـ/1209م[8].

- المذهب الظاهري[9] في العهد الموحدي:

---

[1]- ابن فرحون ،المصدر السابق، ص120.

[2]-نفسه، ص121.

[3]- ابن الابار،المصدر السابق،ص117.

[4]-السملالي، المرجع السابق، ج4، ص184.

[5]-ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج2،ص319.

[6]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق،ج8، ص319.

[7]- يحي بن خلدون،المصدر السابق،ج1،ص101.

[8]-محمد الطمار ،تاريخ...،المرجع السابق،ص157.

[9]- نشأ المذهب الظاهري بالمشرق على يد داود بن علي بن خلف الاصبهاني،الذي كان شافعياً ثم تحول عنه، وبنى مذهبه على قوله:" إن المصادر الشرعية هي النصوص،فلا علم في الإسلام إلا مع النص" وأخذ بظاهر الكتاب والسُنة،وألغى ماسوى ذلك من رأي وضيق حدود الاجماع،فلم يأخذ إلا بما أجمع عليه الصحاب-رضوان الله عليهم- ونهى عن التقليد،ودعا إلى دراسة الكتاب والسُنة دراسة تعمق، وتفسيرها حرفياً،وقد انتشر مذهبه ببغداد وبلاد فارس،وقال به قوم قليل بإفريقية والأندلس،وقد وطد دعائمه العالم الأندلسي علي بن أحمد بن حزم،ينظر:حسيس عبد الهادي، موقف يعقوب المنصور من الظاهرية،مجلة دار الحديث الحسنية،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،ط2، 1981م، ص318،وأحمد بكير،المرجع السابق،ص20.

إن المذهب كان محبوباً من طرف الخلفاء الموحدين،وبصفة خاصة لدى يعقوب المنصور [1]، فقد بلغ من إعجابه إلى حد أن كان يقول عن أحد أشياخ الظاهرية الكبار –ابن حزم[2]– إن كل العلماء عيال عليه[3]،لقد ظل المغرب الإسلامي إلى مذهب السلف في الاعتقاد بظواهر النصوص والصفات الواردة فيها من غير تأويل ولا صرف لها عن مدلولها اللغوي مع التنزيه للخالق عزّ وجل وذاته العلية،على أن تشبيه الذوّات وتتصف بصفا المخلوقين،وكذا القول في الوجه واليدين والعين،والنزول والمّجيء والضحك وغيرها،مما ورّد إطلاقه على الله سبحانه وتعّالى في الكتاب والسُنة،فإنهم يمرونه على ظاهره[4]، فقد كان الموحدين يدعون إلى الاجتهاد، ونحن نعني ما نقول خلافاً لما شاع من انهم على مذهب الظاهرية، فإن أحداً من مؤرخيهم لم ينقل ذلك عنهم، وليس يكفي أن يظهر المنصور إعجابه بابن حزم لنحكم بأنه وقومه على هذا، كيف والذي ثبت من عمله أنه جمع من كتب السنة أحاديث في العبادات كان يمليها على الناس، وجعل لمن حفظها الجعل السني على ما مرَّ ؟ فالأمر يتعلق بالدعوة الى العمل بالسنة أكثر من الانتماء الى مذهب معين[5].

ونلاحظ ان المصادر التي روجت لإلصاق الظاهرية بالموحدين، هي الكتابات الفقهية المنتمية إلى مراحل لاحقة، وهذا يدعوا بطبيعة الحال على التوقف والحذر في مسايرتها نظراً لانطلاقها من مواقف أيديولوجية غير خفية[6]،وإن ابن تومرت في مناقشاته الأصولية قد تحفظ بشأن القياس وليس معنى هذا أنه خضع لتأثير حزمي مباشر، وكما أنه لا يشير إلى مصادره بخصوص المعطيات الأخرى، فإنه لا يشير إلى ابن حزم في أعز ما يطلب، ولا يحتج بمقولاته[7]،أي أن ابن تومرت كان ذا نزعة ظاهرية،ولكن من دون الجزم بظاهريته في المذهب،ولو كان كذلك ما تردد فقهاء المرابطين الذين صارعوه في اتهامه بالظاهرية كما اتهموه بالخارجية[8].

---

(1)–محمد المنوني،حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء،1989،ص37.

(2)–أحمد بكير محمود،المرجع السابق،ص35،وزكريا إبراهيم،ابن حزم الأندلسي،المفكرالظاهريالموسوعي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،توزيع مكتبة مصر ،ص13 وما بعدها.

(3)–المقري،المصدر السابق،ج3،ص238.

(4)–إبراهيم التهامي،الأشعرية في المغرب(دخولها،رجالها،تطورها،وموقف الناس منها)، ط1،1427هـ/2006م ،دار قرطبة،ص5.

(5)–عبد الله كنون، المرجع السابق، ص124، 125.

(6)–محمد مغراوي، العلماء والصلحاء والسلطة في المغرب والاندلس في عصر الموحدين ،رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،2001–2002، ص83.

(7)–عبد الله كنون، المرجع السابق، ص125.

(8)–مؤلف مجهول،الحلل الموشية،ص111.

لقد عرف العصر الموحدي تأليف في الرّد على ابن حزم من طرف فقهاء مالكية،وقد أفرزت عدة تأليف في الرّد على أفكار الظاهرية أهمها في المغرب الأوسط هو " النبراس في الرّد على منكر القياس"[1]،لقاضي بجاية حسن بن علي ابن محمد المسيلي(ت580هـ/1184م)، قال عنه الغبريني:" أنه كتاب مليح على ما أخبرت عنه،ولم يره، وأنا شديد الحرص عليه ولقد أخبرني بعض الطلبة المتمسكين بالظاهر، وهو من أنبلهم وأنه رأى هذا الكتاب، وأنه ما رأى في الكتب الموضوعة في هذا الشأن مثله "[2]،وكما أثار كتاب "الأيام وقدوة الأنام" للفقيه البجائي أبي زكريا الزواوي حفيظة بعض أصحاب الميول الحزمية فرفعوا أمره الى الخليفة الموحدي[3]،ولم تكن هذه الفئة من العلماء لوحدها على سبيل الذكر لا الحصر والتي تصدت للمذهب واتباعه، وإنما الكثير منهم ينتظر من الباحثين التعريف بهم وبأعمالهم، وإن كانت موجودة او في حكم الضياع من كتب التراجم والطبقات والتي تحتاج هي الأخرى أعادة قراءة وتحقيق لتخرج إلى النور ويستفيد منها كل باحث عن الحقيقة أو المعلومة التاريخية.

ورغم كل ذلك ظهر بعض الفقهاء من المغرب الأوسط، أوعاشوا به لفترة من الزمن وتركوا بصماتهم في أفكاره وحضارته، ومن الذين تبنوا المذهب الظاهري:

1-محمد بن عبد الله مروان،أبوعبدالله[4]: الهمداني الوهراني مولداً، التلمساني منشأً، وأصله من الأندلس[5]،جد في طلب الفقه والأدب وما إلى العلم الظاهر وأكثر من مطالعة كتب بن حزم القرطبي صاحب كتاب" الفصل في العلل والأهواء والنحل" ولي قضاء تلمسان واشتهر بذلك حتى أعجب الخليفة المنصور الموحدي به فاستدعاه إلى حضرته، وولاه قضاء قضاته بمراكش (ت601هـ/1204م)[6].

---

(1)-بدرالدين محمد بن يحي بن عمر القرافي(ت1008هـ/1599م)، توشيح الديباج وحلية الابتهاج،ط1، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2004، ص225.

(2)-الغبريني،المصدر السابق، ص66، 67.

(3)-التادلي، المصدر السابق، ص428.

(4)-هو مروان بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني أبو عبد الله، أخذ عن أبيه وغيره ببلده،وبمراكش وغيرهما، وكان فقيهاً حافظاً للمسائل بصيراً بالفتيا في النوازل،ولي قضاء تلمسان وسبتة وغرناطة ومرسيه وبها توفي، ينظر:يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص105، وابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8، ص339.

(5)-ابن الابار، التكملة، ج2،ص374.

(6)-نفسه، ص374.

2-أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك(توفي قبل7هـ/13م)[1]:الفقيه العالم المتقن المحصل،،عرف بابن يبكي[2]من أهل قلعة بني حماد، صاحب الرابطة المعروفة برابطة ابن يبكي بداخل باب أمْسِيوَن، وقال عنه الغبريني: "كان من حملة العلم، ومن أكابر أولي النُهى والفهم، وكان معروفاً عند خلفاء بني عبد المؤمن، وكان ينحو للظاهر[3]،وكانت له وجاهة وعلو قدر ورفعة في الدين والعلم، وإليه كان يرجع في الفُتيا وعلى قوله في العمل[4].

3-عمر بن حسن بن علي بن الجُميل الكلبي الدّانِي(تـ633هـ/1235م)[5]:ابن دحية الشيخ العلامة المحدث الرحال المتفنن مجد الدين أبو الخطاب، الظاهري المذهب[6]،الأندلسي من كبار المحدثين، استوطن ببجاية، وكان من أحفظ أهل زمانه في اللغة.

لم ينهزم المذهب المالكي مطلقاً أمام الدعوة إلى الاجتهاد التي كان الموحدون يتزعمونها ،ولا أمام المذهب الظاهري الذي كان نشطاً في هذا العصر، وذلك رغم الحملة المنظمة من رجال الدولة للقضاء عليه[7]،والدليل أن أمهات الكتب يعاد كتابتها فورق إحراقها ،وبهذا نستنتج أن بقاء الكثير من الفقهاء خلال العصر الموحدي على صلتهم بالمالكية، التي أضحت أكثر من مجرد مذهبية فقهية، كان و لاشك أحد الأسباب التي فوتت على المشروع الموحدي بلوغ غايته في تقليص ظل المالكية،والحد من سلطة فقهائها[8]

ثالثاً: علم الحديث.

فقد نال هو لآخر عناية فائقة من ولاة الأمور في الدولة المرابطية لكونه يعد المصدر الثاني الذي أعتمد عليه المرابطون في أحكامهم وقد كان اهتمام علماء الدين والفقهاء بالحديث بتعريف رجاله وسنده وبيان اصوله اكثر من عنايتهم بالقرآن الكريم،ولعل السبب في ذلك راجع إلىنشأة دولتهم

---

(1)-عادل نويهض ،المرجع السابق، ص352.

(2)- الحفناوي، ج2، ص222.

(3)-أي أنه كان يميل للمذهب الظاهري، ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص188.

(4)-نفسه،ص213.

(5)-الذهبي،المصدر السابق،ص2896.

(6)-المقري،المصدر السابق،ج2،المصدر السابق، ص99.

(7)- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص123.

(8)-بولطيف لخضر، الفقيه محمد بن سليمان اليفريني الكومي الندرومي،صورة من واقع المشهد الثقافي في_حاضرة تلمسان، مجلة عصور الجديدة،العدد2،وهران،الجزائر، 2011، ص319

التي قامت على مبدأ أهل السُنة والاهتمام الكبير بعلم الفروع،فروع مذهب مالك[1]فقد كان يشكل محور الدراسات المتصلة بعلم الحديث[2]،ومن بين الذين اشتهروا في علم الحديث:

1-أبو عبد الله محمد بن سحنون(750هـ/1184م)[3]: الطبيب الندرومي الكومي، نسبة إلى كومية بأحواز تلمسان، عالم بالعربية والأدب،هاجر أبوه إلى الأندلس،وولد هو بقرطبة ثم انتقل إلى إشبيلية، سمع كثيراً من الحديث وله من الكتب " اختصار كتاب المستصفى للغزالي، والأديب الكاتب البليغ محمد بن محرز الوهراني[4]،أحد الفضلاء الظرفاء وكان أكثر الناس يومئذ انشغالاً بالتفاريع الفقهية على مذهب مالك، فنفقت في ذلك الزمن سوق كتب في هذا الشأن، بخلاف العلوم الفلسفية وفن القصة فإن كتبها منبوذة وأهلها مهجورون[5].

1-**أبو جعفر أحمد بن أحمد علي، ابن غزلون المتوفي سنة 524هـ**[6]،من أهل العلم والعمل بهمن أهل نطيلة بالأندلس روى عن أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي[7]،جال بلاد المشرق وكان يصحب الرؤساء، ويقبل جوائزهم ،ولي قضاء مواضع كثيرة بالأندلس، نبغ في الحديث ورحل الى المغرب، وثم استقر بتلمسان يحدث بها، وأخذ عنه كثير من العلماء وبها توفي[8].

2- أبو عبد الله محمد بن عبد الحق اليعفري البطيوي التلمساني[9]:ولد سنة 562هـ،روى ببلده عن أبيه عبد الحق، وتفقه به وبعمران التليدي وبأبي بكر ابن عصفور ،وبأبي بكر اللقنتي، وبأبي الحسن جابر بن محمد[10]،ونشأ منصرفاً إلى العلم ومجالس رجاله، فأخذ بفاس عن ابن رمامة، وابن

---

[1]-الجيلالي سلطاني،اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس، رسالة ماجستير ،جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وأدابها، 1407هـ/1987م، ص52، 53.

[2]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص484.

[3]-عادل نويهض، المرجع السابق، ص330.

[4]- الحفناوي، المرجع السابق، ص 487، 488.

[5]-عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج2، ص313.

[6]- يحي بن خلدون، المصدرالسابق، ص127.

[7]-من القضاة ببلاد شرق الأندلس، ينظر: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الاندلس، سماه: كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا،ط5، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة،1403هـ/1983م، بيروت، ص95.

[8]-رشيد بورويبة وآخرون ،المرجع السابق، ص341.

[9]-العباس بن إبراهيم السملالي، الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام،ج4، راجعه: عبد الوهاب ابن منصور ،ط2، المطبعة الملكية،1413هـ/1993م، الرباط، ص185.

[10]- نفسه، ص185.

حنين، وابن أبي كنون وغيرهم،وبسبتة عن ابن رزق وأبي الصبر الفهري[1]،ولقي كثيراً من أهل العلم والدين والزهد والورع، فأخذ عنهم بفاس ومراكش وسبتة وإشبيلية،ودخل الأندلس فاستكثر من لقاء الشيوخ والجلوس إليهم، وكاتب المشارقة يستجيزهم، ونزل تلمسان متصدراً لإفادة العلم واسماع الحديث، فتولى قضاءها، وله مؤلفات عديدة، يذكر أبو الحسن الرعيني أنه أختار لها أسماء هائلة، منها: "كتاب المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار"[2]، وبرنامج في مشيخته سماه الاقناع في ترتيب السماع[3].

ذكر شيوخه وكيفية روايته عنهم، وله مصنفات كثيرة سمها في آخر برنامجه، فكان راوياً، فقيهاً، حافظاً، متكلماً، متفنناً في علوم جمة، بارع الخط، جماعاً للكتب الجليلة وله مصنفات كثيرة أجلها الخلق،رائق المبلبس وجيهاً عند السلاطين والأمراء ولي قضاء بلدة تلمسان مرتين فعدل وأجزل[4]، ومن نظمه هذان البتان في عدد أحاديث البخاري رحمة الله عليه:

جَميعُ أَحَادِيثُ الصَــحيحُ الذِّي رَوَى الـ ... بُخَـارِي خَمْسَـــة وَسَـــبْعُوَن فِي العَدِ

وَسَبْـــعَـــة آلاف تُضافُ وَما مَـــضَى ... إلاَّ مِئَّتينِ عَـد ذَّاكَ أُولُـــــو الجَّـدِ

وتوفي بتلمسان [5] سنة 625هـ،وهو ابن تسعة وتسعون سنة.

ازدّهر الحديث في العهد ازدهاراً لم يكن له من قبل،وقد استمد نهضّته من اهتّمام الموحدين به، وهذّا الاهتّمام الكبير ظهر جلياً في استدعائهم للمحدثّين من الأندلس، وأمرهم بتدريسه إلى جانب المحدثين المغاربة[6]،بذلك عني الموحدون بالحديث عناية فائقة، حيث استندوا إلى مذهب بن تومرت من انكار الرأي، وقد أمر عبد المؤمن سنة 555هـ/1160م ،الذي كان متبحراً في الحديث و القراءّات[7] وخلفه يعقوب[8] بحرق كتب الفروع، وردّ الناس إلى قراءة الحديث [9]،لكن المغاربة عادوا إلى إتباع مذهب الإمام مالك بن أنس صاحب الموطأ،وكتب بذلك إلى طلبة المغرب والأندلس ،كما

---

[1]- عبد الله المرابط الترغي،فهارس علماء المغرب،منذ النشأة الى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، منهجيتها_–تطورها–قيمتها العلمية،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،تطوان، سلسلة الأطروحات،2، 1420هـ/1999م، ص603.

[2]-يذكر العباس بن إبراهيم السملالي في الأعلام أن هذا الكتاب يوجد مخطوطاً بخزانة القرويين تحت رقم173، 174.

[3]-عبد الله المرابط الترغي ،المرجع السابق،ص603.

[4]-العباس بن إبراهيم السملالي ،المرجع السابق،ج4، ص185.

[5]- نفسه، ص186.

[6]-محمد المنوني، حضارة...،المرجع السابق، ص35.

[7]-عبد الله غلام الله، المرجع السابق، ص300.

[8]-ابن عذاري المراكشي ،المصدر السابق، ص170.

[9]-ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص189.

أهتم كذلك بالعلم والعلماء من خلال إشرّافه على جمع آثار المهدّوية،أو الفقه ليكون في كتاب واحد سمّاه " أعز ما يطلب" [1]وكما كان ابنه يوسف[2] مجتهداً في طلب الحديث،وظهر ايضاً ذلك الاهتمام في المكانة الكبرى التي كانت لطلاب الحديث في دولتهم خاصة أيام يعقوب الذي كان يحفظ متون الأحاديث ويتقنها[3].

كما أهتم بنفسه بطلبة الحديث أعظم عناية حتى نالوا على يده من الرعاية والنفوذ، ما لم ينالوه أيام أبيه وجده، فأجرى عليهم المرتبات على قدر مراتبهم وطبقاتهم[4]،وحتى يوسف كان يحفظ أحد الصحيحين[5]،والمأمون كان معدوداً من حفاظ الحديث لم يزل أيام خلافته يسرد كتب الأحاديث مثل البخاري والموطأ وسنن أبي داوود[6]،وكذلك الأمير إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن،قال عنه المراكشي: " لم أر في العلماء بعلم الأثر المتفرغين لذلك انقل منه للأثر "[7]،كان يذهب مذهب أبيه في الظاهرية،وهم أبناء المغرب الأوسط وقادة الدولة الموحدية.

ومن أشهر المحدثين بالمغرب الأوسط:

1-أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة محمد بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق[8]، الخزرجي الساعدي، يكنى أبا جعفر ،ينسب إلى سعد بن عبادة صاحب رسول الله- صلى الله عليه وسلم-قرطبي سكن غرناطة مدة وبجاية اخرى ،كان معروفاً بالذكاء والنبل مشهوراً بالحفظ للحديث ،ذاكراً للتواريخ والقصص ممتع المجالسة متين الأدب ،روى عن أبي عبد الله بن مكي، وأبي جعفر البطروجي، وعبد الرحيم الحجاري، وأبي بكر بن العربي ،وشريح بن محمد ،وابن ورد وأبن الخصال وغيرهم[9]،وكان معنياً بالحديث وروايته، وكف بصره في آخر عمره، وله تأليف في أحكام النبي- صلى الله عليه وسلم-وسماه آفاق الشموس وإغلاق النفوس، وتأليف آخر سماه مقاطع الصلبان،

---

[1]-ابن تومرت، المصدر السابق، ص3.

[2]-ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ،ص56-83،والذهبي،المصدر السابق،ص4274 .

[3]- المقري،المصدر السابق ،ج3،المصدر السابق، ص102.

[4]-عبد الواحد المراكشي ،المصدر السابق،(طبعة 1416هـ/1994م،القاهرة)، ص199،وعبد الهادي حسيس، موقف يعقوب المنصور من الظاهرية، مجلة دار الحديث الحسينية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، العدد2، 1981، ص315.

[5]- عبد الواحد المراكشي ،المصدر السابق، ص354، 355.

[6]-علي بن أبي زرع، المصدر السابق، ص249.

[7]-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق،،ص388.

[8]-أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، القسم الأول، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت ،لبنان، ص239.

[9]-ابن الأبار، التكملة ...،ج1، المصدر السابق، ص76.

ومراتع رياض أهل الإيمان، يرد به على بعض القسيسين بطليطلة توفي بمدينة فاس 582هـ/1186م[1] .

2-عبد الحق الإشبيلي[2]المشهور بابن الخياط(تـ581هـ/1185م):الإمام الشيخ الفقيه العابد الزاهد القاضي الخطيب أبو محمد عبد الحق بن عيد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الاشبيلي[3]،رحل الى بجاية وتخيرها وطناً، بعد الفتنة الواقعة بالأندلس ،وانقراض الدولة اللمتونية ،فنشر بها علمه ،فألف التآليف وصنف الدواوين وولى الخطبة وصلاة الجمعة بجامعها الأعظم،وجلس للوثيقة والشهادة وولى قضاء بجاية مدة قليلة، ويذكر صاحب الديباج:" انه كان فقيهاً حافظاً عالماً بالحديث وعلله عارفاً بالرجال، موصوفاً بالخير والصلاح والورع ولزوم السنة مشاركا في الأدب، وقول الشعر وصنف في الأحكام نسختين: " كبرى وصغرى "،وله " الجمع بين الصحيحين" و"كتاب في الجمع بين المصنفات الستة "و"وكتاب المعتل من الحديث " و" وكتاب في الرقائق" ومصنفات أخرى، ولد سنة عشر وخمسمائة، وتوفي ببجاية بعد محنة نالته من قبل الولاة في ربيع الآخر[4].

3-إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم (تـ569هـ/1173م)[5]:ابن قرقول الإمام العلامة،أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد، الحمزي الوهراني، من قرية حمزة من عمل بجاية ،مولده المرية إحدى مدائن الأندلس،سمع من جده لأمه أبي القاسم بن ورد،وصحب جماعة من علماء الأندلس صاحب كتاب" مطالع الأنوار" الذي وضعه على منوال كتاب" مشارف الأنوار" للقاضي عياض[6]، انتقل من مالقة إلى سبتة، ثم إلى سلا، ثم إلى فاس.

---

(1)-أحمد ابن القاضي المكناسي ،جدوة الاقتباس ،في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس،92-1025هـ،(2-1)،دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط،1973،ص141.

(2)-ولد باشبيلية سنة510هـ،ونشأ بها وأخذ عن شيوخها ثم انتقل الى لبلة من مدن الأندلس اخذ بها عن ابي الحسن خليل بن إسماعيل وتفقه عليه،وبعد الفتن السياسية أنتقل الى بجاية،ينظر :أبو العباس الغبريني،المصدر السابق، ص41،ورابح بونار ،عبد الحق الاشبيلي ،محدث القرن السادس الهجري، الأصالة،مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي،والشؤونالدينية،السنةالأولى،عدد خاص ببجاية عبر العصور ،العدد19،السنة الرابعة صفر- ربيع الأول1394هـ /مارس- أفريل1974م،ص260.

(3)-أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب،الشهير بابن قنفد القسنطيني،كتاب الوفيات ،معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة11-807هـ، تحقيق: عادل نويهض، ط4، منشورات دار الأفاق الجديدة، 1403هـ/1983، بيروت، ص292.

3-إبراهيم بن نور الدين، ابن فرحون المالكي،المصدر السابق، ص276.

(5)-الذهبي،المصدر السابق، ص717،ومحمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق،ج1، ص146

(6)-ابن خلكان، المصدر السابق، ج1،ص62.

تصدر للإفادة[1]توفي بفاس يوم الجمعة أول وقت العصر سادس شوال سنة تسع وستين وخمسمائة، وكان قد صلى الجمعة في الجامع، فلما حضرته الوفاة تلا سورة الإخلاص، وجعل يكررها بسرعة، ثم تشهد ثلاث مرات، وسقط على وجهه ساجداً فوقع ميتاً[2].

4-أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي:(500- 570هـ/1106-1174م)[3]:ولد بمدينة ورجلان في مطلع القرن السادس الهجري ،الموافق للثاني عشر للميلاد، واعتكف في بلده على الدراسة،والتحصيل منذ صغره ثم رحل الى قرطبة،وتفرغ لدراسة فنون اللغة والأدب،ونبغ فيها حتى لقب بالجاحظ ثم عاد الى وطنه ورجلان ، قام برحلة الى المشرق وتجول في معظم عواصمه العلمية للدراسة والتحصيل والاطلاع والمشاهدة، ثم عاد الى افريقيا وتجول في أقاليمها حتى بلغ الى الأقاليم الاستوائية[4]،قبل اكتشاف الاوروبيون خط الاستواء بقرون .

5-طاهربن علي بن محمد بن عبد الرحمن السلمي(تـ ق7هـ/13م)[5]:سكن مرسيه ثم تلمسان وتفقه على يد أبي زكريا بن أبي يحي أبو بكر بن عصفور العبدري التلمساني، ولقي علماء كثر ذكرهم ابن الابار [6]،وكان ذا حظ من النظم والنثر شديد العناية بتقييد الأشعار وله فيها مصنفات، وكتب بخطه الكثير في كل فن، وشهر بسرعة الكَتْب، إلى جانب محدثين أخرين مثل: محمد بن إسماعيل المتيجي(ت625هـ/1227م)[7]،أبوعبد الله،عارف بالحديث ورجاله ،مشارك في بعض العلوم،من أهل متيجة،رحل إلى الأندلس أبوالحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط،المعروف بالشبارتي(ت610هـ/1213م)[8]،سمع بمكة من أبي الحسن علي بن حميد الطرابلسي وأبي محمد المبارك بن الطباخ ثم قفل إلى المغرب فسكن تلمسان، وكان محدثا عدلاً[9].

حملت لنا المصادر التي اعتمدنا عليها الكثير من علماء الحديث من بلاد المغرب الأوسط، وكذلك جماعة من العلماء الأندلسيين الذين استقر بهم المقام بهذه البلاد، وكان لهم دور كبير

---

(1)-الذهبي،المصدر السابق، ص717.

(2)-ابن خلكان، المصدر السابق،ج1، ص62.

(3)-رابح بونار ،المرجع السابق، ص91.

(4)-يحي بوعزيز، الموجز ...، المرجع السابق، ص127.

(5)-ابن عبد الملك المراكش، المصدر السابق،السفر4،ص155، 156.

(6)- نفسه، ص155.

(7)-عادل نويهض،المرجع السابق،ص285.

(8)- ابن الأبار، التكملة،..المصدر السابق، ج2، ص676.

(9)-عبد القادر بوباية،اسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن7هـ/13م،مجلة عصور الجديدة،وهران،الجزائر،العدد2،2011، ص165.

في نشر علم الحديث، وبذلك انتشرت في عهد الدولة الموحدين خزائن الكتب منها كتب الحديث الخمسة وهي: صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن(ت261هـ/874م) [1] ،وسنن أبي داود(ت275هـ/888م)[2]،وسنن الترميذي(ت279هـ/892م)[3]،وعنوانه الجامع المختصر، وسسن النسائي(ت303هـ/915م)[4]، ومسند البزار [5]،إضافة الى صحيح البخاري (ت256هـ/869م)[6]،وموطأ بن تومرت [7]والشهاب للقضاعي المسمى بشهاب الأخبار في الحكم والامثال والآداب من الأحاديث النبوية[8].

اصبح الحديث في العهد الزياني من أهم العلوم الدينية بعد القرآن، أطلق على اسم المشتغلين به أسم المحدثين أو الحفاظ، الذين اتصفت حياتهم بالرحلة في طلب الحديث وجمعه، واتسمت ذاكرتهم بقوة الاستيعاب والقدرة على الحفظ والمهارة في نقد الرجال، والتمييز بين الصادق وغير الصادق، وتمكنوا من غربلته وتنقيحه ،بعد عملية بحث ودراسة واسعة ودقيقة[9]،وقد كثرالفقهاء الذين كانوا يدرسون الحديثحتى أصبح من الصعب إحصاؤهم، كما أصبحت مؤلفاتهم تقدر بكميات كبيرة،وعلى الرغم من أن بعض شيوخ ذلك العصر،كانوا موسوعيين في مجالات مختلفة في الفقه والحديث والتفسير وغيرهما من العلوم النقلية والعقلية، وأن التخصص بمعناه الحديث،لم يكن معروفا في ذلك

---

[1]-أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،(206هـ -621هـ ، صحيح مسلم،المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنق العدل عن العدل الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المجلد الأول، دار طيبة،1427هـ/2006م، ص17، ومحمد بن جعفر الكتاني،المتوفي سنة 1345هـ، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، كتب مقدمتها ووضع فهارسها: محمد المنتصر الزمري بن محمد بن جعفر الكتاني،ط5، 1414هـ/1993م، دار البشائر،ص11.

[2]-أبو داود سليمان بن الاشعت السجستاني،(275-202هـ)، سنن ابي داود،طبع على نفقه: محمد بن صالح الراجحي،اعتنى به: فريق الأفكار الدولية،ص11.

[3]-أبو عيسى محمد بن عيسى الترميذي،المتوفي سنة 279هـ،الجامع الكبير، حققه واخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف،ط1، دار الغرب الإسلامي،1996، ص6.

[4]-أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي النسائي(303-215هـ)،المجتبى من السنن ،المشهور بسنن النسائي ، طبع على نفقه: محمد بن صالح الراجحي،اعتنى به فريق الأفكار الدولية،ص12،ومحمد بن جعفر الكتاني ،المصدر السابق، ص11.

[5]-أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت292هـ904م) ومسنده بعنوان **البحر الزخار**، تحقيق:محفوظ الحمن زين الله،مكتبة العلوم والحكمة، ط1، المدينة المنورة،1988.

[6]-يوسف الكتاني،مدرسة الامام البخاري في المغرب،ج1، دار لسان العرب،بيروت، ص29.

[7]- أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الله الكتامي،ابن القطان المراكشي،(منتصف القرن السابع الهجري) نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان،درسه وحققه: محمود علي مكي،دار الغرب الإسلامي،ص173.

[8]-حسن السائح، الإمام البخاري في المغرب،مجلة دعوة الحق، العدد9، السنة16، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الرباط ،المغرب،يناير 1975، ص100.

[9]- عبد العزيز فيلالي،تلمسان ....،ج2،المرجع السابق، ص442.

الوقت،بل كان الشيخ والعالم الواحد، يأخذ من كل شيء بطرف، بحيث كان الطبيب فقيهاً والفقيه طبيباً، والفيلسوف أديباً، والشاعر فيلسوفاً والصوفي عالماً في ميدان الحساب والفرائض، وفقيهاً ومهندساً في نفس الوقت[1]، فقد كان علماء هذا العصر يلمُون بعلوم شتى، ويتقنون فنوناً مختلفة، مما يثير الدهشّة والإعجاب في عصرنا هذا، ولذا نجد العديد من أسماء الفقهاء والعلماء يتكرر ذكرها في الميادين العلمية المتباينة[2]، فبرز في علم الحديث من أهل تلمسان شيوخ كثيرون، على سبيل الذكر:

1- أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق الحفيد[3]:الإمام المشهور العلامة الحجة الحافظ المحقق الكبير،الأصولي المفسر المحدث الحافظ المسند الرواية الأستاذ المقرئ المجود النحوي اللغوي البياني العروضي الصوفي[4]فقد صنف وأفاد في كل فن من الفنون،فمن مؤلفاته فهي كثيرة : منها شروحه الثلاثة على البردة الأكبر المسمى" إظهار صدق المودة في شرح البردة" والمفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطيسية، والمفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية، ورجزان في علوم الحديث الكبير سماه الروضة وغيرها من المؤلفات في جميع فنون المعرفة[5]ولكن هذه الثروة ضاعت في مجموعها ولم يبق سوى بعض المخطوطات وكغيره ممن انجبتهم هذه الأرض تحتاج إلى وقفة تأمل مع الذاكرة من قبل أهل الاختصاص.

2-أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق[6]،بن الحاج التلمساني:الشيخ الصالح القيرواني الاصل،ولد سنة629هـ[7]،عندما نزل بنو هلال فيها هاجرت من هناك واستقرت في تلمسان في أواخر القرن الخامس الهجري، الموافق للقرن الحادي عشر للميلاد في عهد المرابطين ،فنشأ بنوه بها، وكان أهل صلاح ومعرفة بالدين يحترفون بالفلاحة ،كان من الصلحاء المشاهير والأولياء الأعلام، محدثاً فقيهاً متصوفا زاهداً عابداً، له كرامات ومكاشفات، وآثار في الترهيب اخذ عن أبي

---

(1)-نفسه، ص442، 443.

(2)- نفسه، ص443.

(3)- الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص124.

(4)-التنبكتي،نيل الابتهاج،ج2، المصدر السابق،ص499.

(5)- نفسه، ص506.

(6)-محمد ابن مرزوق التلمساني،المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ،دراسة وتحقيق: مارياخيوس بيغيرا، تقديم: محمودبوعياد ،الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،1401هـ/1981م،ص15- 17._M.L ‘abbé,j.j.l,Barges ;op.cit.p15

(7)- ابن مريم،المصدر السابق، ص226.

زكريا يحي بن محمد بن عصفور العبدري، وأبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي وغيرهم[1]،توفي أوائل رجب سنة احدى وثمانين وستمائة، فدفن في دار الراحة من الجامع الأعظم.

3-إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي،أبو إسحاق (تـ680هـ/1291م)[2]:الامام العالم العامل الفقيه الشيخ[3]،اصله من تنس،استوطن تلمسان بعدما الح عليه السلطان يغمراسن انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها،وترد عليه أسئلة من تلمسان وبلاد افريقية كلها[4]،أخذعن الناصر المشدالي والامام القرافي وغيرهما من علماء المشرق والمغرب،وتربع على عرش الحديث،وكانت بضاعته فيه وافرة،وكانتله طرق عالية بفاس ومكة المكرمة، ووصفت طريقته في تدريس هذا العلم بانها أحسن طريقة يضرب بها المثل[5]،وله شرح على التلقين لعبد الوهاب في عشرة أسفار وضاع هذا الشرح في حصار تلمسان[6]،توفي بتلمسان.

4-محمد بن النجار التلمساني(تـ786هـ/1385م)[7]:العلامة الاصولي، أخذ عنه القلصادي وعرف به في رحلته:" شيخنا الفقيه الإمام العلامة المتفنن سيدي أبو عبد الله، كانت له مشاركة في العلوم النقلية والعقلية ،قرأت عليه بعض مختصر الشيخ خليل، وبعض المستصفى للغزالي، وبعض ابن الحاجب الأصلي، وكذلك تلخيص المفتاح وحضرت عليه بعض تفسير الكتاب العزيز، وبعض كتاب الإرشاد لإمام الحرمين والمنهاج للبيضاوي، والبرهانية للسلالجي، والجمل للخونجي، وتلخيص المفتاح غير مرة، وبعض الخفاف، وشيئاً من المدونة[8]"،توفي عام ستة وأربعين وثمانمائة للهجرة، ودفن بمقبرته من بستانه خارج باب الجياد.

5-**الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الراشدي،أبوعلي (تـ868هـ/1464م)**[9] :شهر بأبركان ومعناه بلسان البربرية الأسود، الشيخ الفقيه الإمام العالم، العلم الولي القطب الغوث الشهير

---

[1]- يحي بن خلدون،المصدر السابق،ج1، ص114.

[2]- محمد بن مخلوف،المرجع السابق،ج2، ص218.

[3]- محمد العبدري البلنسي(تـ نحو720هـ)، الرحلة المغربية، تقديم: سعيد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات،1428هـ/2007م، ص30.

[4]-ابن مريم،المصدر السابق، ص66، 67،ويحي بن خلدون،المصدر السابق،ج1، ص114.

[5]-عبد العزيز فيلالي،تلمسان...، المرجع السابق،ص443.

[6]-ابن مريم،المصدر السابق، ص67.

[7]-التنبكتي ،نيل الابتهاج،ج2، المصدرالسابق، ص525،وعادل نويهض،المرجع السابق، ص76.

[8]-القلصادي،المصدر السابق، ص102.

[9]-نفسه، ص108.

الكبير ،قال عنه القلصادي:" شهرته تغني عن تعريفه "[1]أخذ عن الإمام سيدي إبراهيم المصمودي والإمام الحفيد بن مرزوق، عنه الحافظ التنسي وسيدي علي التالوتي وأخوه لأمه الإمام السنوسي ولازمه كثيرا وانتفع به[2]،ينتمي إلى أسرة صلاح دين وتقوى، أبوه مخلوف من أولياء الله الصالحين وجده سعيد المزيلي، وكانت قبورهم(قرب تلمسان) مزارات مشهورة للتبرك بها ،أمه امرأة مصمودية أقبلت مع السلطان ابي الحسن المريني وسكنت المنصورة إلى زواجه من مخلوف، وعاشت عمراً طويلاً صالحة تقية عابدة ذاكرة، وماتت ودفنها بـ" عين وانزوتة" خارج باب الاجياد[3]،توفي آخر شوال سنة سبع وخمسين وثمانمائة بتلمسان[4]، وكتب التراجم المحققة تحمل لنا أسماء كثيرة لمحدثين أفنوا أعمارهم لخدمة هذا العلم الشريف محولين تبسيط هذا الدين للناس كافة خاصة في تلك الفترة من تاريخ المغرب الأوسط.

رابعاً: علم التصوف:

أول بوادر ظهور التصوف وبروزه كظاهرة معروفة بهذا الاسم تعود إلى المائة الثانية من الهجرة ،وذلك نتيجة لما استجد في المجتمع الإسلامي منذ صدر الإسلام الذي كانت السمة الغالبة على المسلمين في ذلك الحين، الإقبال على الدين والزهد في الدنيا[5]،حتى عصر الخلافة العباسية إذ نجد الكثير من الناس تخلوا عن الحياة العامة هرباً من المشاكل السياسية والاقتصادية التي صاحبت عملية التحضر ونشوء الأمصار الإسلامية[6]،وخلال القرنين الثالث و الرابع الهجري ظهر التصوف في صورة تختلف تماما لاختلاف عن صورته الأولى، حيث لم يقف عند حدود الزهد والمجاهدة والرياضة، وإنما تعدى ذلك إلى غاية بعيدة وهي الفناء،أي فناء الإنسان في نفسه واتحاده بربه، وذلك على ما يبدو راجع بدرجة كبيرة إلى تأثره بالمذاهب الفلسفية القديمة من بوذية وفارسية

---

(1)-القلصادي،المصدر السابق، ص108.

(2)-التنبكتي،نيل الابتهاج،ج2،ص161.

(3)-عبد المنعم القاسمي الحسيني،أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي،الجزائر عاصمة الثقافة العربية،2007، ص139.

(4)- ابن مريم ،المصدر السابق، ص93.

(5)-رفيق العجم ،موسوعةمصطلحات التصوف الإسلامي،ط1 ،بيروت 1999 م،ص555.

(6)-براهيم زكي خورشيف وآخرون،دائرة المعارف الإسلامية_،دارالمعرفة ،بيروت،(دت)،ج13،ص275.

ويونانية ، نتيجة لحركة الفتوحات الإسلامية التي تولد عنها الاختلاط بين الثقافات[1]، ولهذا انتشر المتصوفة على امتداد الدولة الإسلامية، وبالأخص خراسان والعراق[2].

لم يسبق أن دار جدال حول موضوع بقدر ما دار حول التصوف والطرق الصوفية،ففي البداية وقع خلاف كبير حول التصوف كلفظ وأصله ومصدره واشتقاقه، وقد حاول المهتمون بالتصوف من العرب والمستشرقين الوصول الى المعنى الأصلي له، فقيل انه اشتقاق من الصوف،وقيل أنه من الصفاء، والبعض أعتبره نسبة إلى أهل الصفة،والبعض الآخر قال انه نسبة إلى الصف الأول[3]،جعل ابن خلدون من التصوف علماً قائماً بذاته:" هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والأعراف عن زخرف الدنيا وزينتها[4].

تطور حتى صار نظاماً للعبادة[5]،ومن التعريفات الأخرى التي أعطيت للتصوف عند المستشرفين أنه فلسفة حياة وطريقة في السلوك الفردي لتحقيق المثالية الأخلاقية والسعادة النفسية[6]، ومع مرور الزمن بدأت تتضح معاينة على أنه مبالغة في الزهد وأعراض على الحياة الدنيا والتعلق بالحياة الأخرى[7]،ولقد أنتشر المذهب الصوفي في بلاد المغرب الاسلامي لعدة عدة عوامل:

أ/البعثات الرسمية: فقد كان أمراء المغرب الاسلامي برسلون كل سنة بعثة إلى بغداد لمهام سياسية وعلمية وثقافية لجلب العلماء في سائر العلوم وشراء الكتب.

---

(1)– محمود إدريس ،مظاهر الانحرافات العقدية عندالصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، ط1،مكتبة الرشيد للنشروالتوزيع،الرياض،1419هـ/1998م، ص41.

(2)–نفسه، ص45.

(3)–منال عبد المنهم جاد الله،التصوف في مصر والمغرب، الناشر منشأ المعارف بالإسكندرية ،جلال حزي وشركائه، ص115.

(4)–ابن خلدون، المقدمة ،المصدر السابق، ص 611.

(5)–مختار الطاهر فيلالي،نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال الحكم العثماني،دار الفكر الغرافيكي ،باتنة،(د.ت،(د.ط)، ص11.

(6)–عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المرجع السابق، ص 25.

(7)–أبو بكر محمد الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق: عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار أحياء الكتب العربية القاهرة 1380هـ/1960م،ص 430.

ب/الهجرة:[1] فقد كان المغرب الأوسط منذ الفتح منطقة استقطاب لهجرة المشارقة والفرق الدينية والعلماء ومحطة للرحالة والجغرافيين والتجار ومن أهل الرأي الذين كان لهم نشاط مكثف في مجالات التعليم والتدريس.

ج/الرحلة في طلب العلم والحج[2]: فقد أخذ طلاب العلم والحجيج يشدون الرحال إلى المشرف إلى حواضر المدن الكبرى كمكة والمدينة والكوفة وبغداد والبصرة ودمشق والقدس ومصر لأخذ العلم من منابعه والتشبع بأراء العلماء والفقهاء ورجال الدين.

د/طريق التجارة : فقد ظل التاجر ينتقل بين المغرب والمشـــرق ولا يلتزم الابحدود الشـــرع، فكان منهم العالم والرحالة [3] والجغرافي والزاهد والشاعر.

يتبين مما سبق أن انتشار المذهب الصوفي في بلاد المغرب الاسلامي كان نتيجة للموجات الحضارية المشعة بنور الاسلام والتي أثرت على الحواضر التي كانت تمثل القلب النابض للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية[4].ويعد القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي عصر الزهاد والعباد والمتصوفة الذين اتخذوا من الأربطة أماكان لسكناهم وتطلعنا كتب طبقات الصوفية بأسماء المتصوفة[5]، وهذا الزهد والتبتل لم يتحل به ممثلوا السلطة المركزية بمراكش فحسب، بل وأيضـاً في أمراء الدولة بحواضـر المغرب الأوسـط، ففي تلمســان زهد الأمير أبو زكريا يحي بن يوغان الصنهاجي (ت 537هـ /1142م)[6] في الدنيا وأقبل على التصوف مقتدياً بشيخه عبد السلام التونسي(تـــ 512هــــ/1118م)[7]،الذي كلما جاءه أحد يطلب منه الدعاء ،أشار عليه بالأمير المتصـــوف أبو زكريا بن يو غان معلقاً على ذلك بقوله:" بأن ابن يوغان ملك زهد في الدنيا أما

---

[1]-محمد دبوب، مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ببلاد المغرب الاسلامي وتفاعلاتها، خلال القرنين (3هـ-5هـ/9م-11م) أطروحة لنيل رسالة الماجستير في التاريخ الاسلامي (مرقونة)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر كلية العلوم الانسانية ، ص 35.

[2]-نفسه ص ص 35 -36.

[3]- اسماعيل العربي، المدن ... ،المرجع السابق، ص 26 .

[4]-محمد دبوب المرجع السابق، ص 36.

[5]-ابن عبد الرحمان السلمي،الطبقات الصوفية، تحقيق أحمد الشرباصي ط2، كتاب الشعب القاهرة، 1419هـ/1998 م، ص 115 وما بعدها

[6]-من أمراء صنهاجة،مات في تلمسان، ينظر:ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص123، 124.

[7]-أصله من تونس نزل تلمسان وبها توفي، ودفن بالعباد كان عارفا بالمسائل وزاهدا في الدنيا، **أنظر**: المصدر نفسه، ص110-112.

أنا ففقير وبقيت فقيرا وما زدت شيئا"[1]، وكأن تصوف الأمراء وهم أصحاب الدنيا أكبر شأناً من تصوف الفقراء.

لقد شهد المغرب الأوسط ايضاً بداية من القرن الثاني الى القرم الخامس للهجرة الموافق للحادي عشر للميلاد،حركة زهدية برزت ملامحها الأولى في سياق الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، حيث استقر بتلمسان الزاهد وهب بن مينة[2] أحد كبار التابعيين الصلحاء ولما توفي اصبح قبره محل زيارة التلمسانيين، الذين اطلقوا على احد أبواب مدينتهم اسم باب وهب[3]وبالتالي فإن حركة التصوف التي ظهرت في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجرة، الموافق للقرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد وانها كانت نتيجة ارهاصات دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية.

تعود جذورها الى القرن الثالث الهجري، الموافق للتاسع الميلادي تخمرت عبر قرون ،وتمخض عنها ميلاد الحركة الصوفية التي بدأت معالمها تتضح في القرن السادس الهجري، الموافق للقرن الثاني عشر للميلاد[4]،كما شهدت فترة القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجريين أيضاً هجرة زهاد من تلمسان وجزائر بني مزغنة إلى الأندلس منهم المحدث الصالح بن علي بن جعفر التلمساني[5]وغيرهم ذكرهم يحي بن خلدون في بغية الرواد من التلمسانيين، حيث ألتف حولهم الطلبة،وأن هؤلاء أطلعوا عن كثب على فصول الصراع بين أنصار الغزالي وفقهاء المرابطين وخصوص ان تواجدهم بالأندلس أوائل القرن السادس الهجري، الموافق للقرن الثاني عشر الميلادي، يوافق زمنياً حوادث حرق المرابطين للأحياء والتنكيل بأنصاره[6]،فضلا على تأليف عبد الرحمن بن يوسف البجائي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري،الموافق للقرن الثاني عشر للميلاد، كتاب قطب العارفين ومقامات الأبرار والاصفياء الصديقين[7]،وأبي زكريا يحي بن

---

(1)- ابن الزيات،المصدر نفسه، ص123.

(2)- يحي بن خلدون،المصدر السابق، ص117.

(3)- أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص76.

(4)- الطاهر بونابي،التصوف في الجزائرخلال القرنيين6 و7 الهجريين/12و13 الميلاديين،نشأته-تياراته-دوره الاجتماعي والثقافي والفكري، دارالهدى، عين ميليلة ،الجزائر، ص47.

(5)- روى بإشبيلية عن القاضي أبي بكر بن العربي ،ينظر:يحي بن خلدون،المصدر السابق،ص47.

(6)- ابن عذاري المراكشي،المصدر السابق،ج4، ص59، 60.

(7)- صوفي كان حياً سنة 877هـ /1181م،ينظر: عادل نويهض،المرجع السابق، ص36.

محجوبة القريشي السطيفي(تـ677هـ /1278م)[1] الذي وضع على حد تعبير الغبريني (تـ704هـ/1306م) تأليفا حسناً في شرح أسماء الله الحسنى وتقاييد واشعاراً في التصوف مستحسنة، بهذا كانت حركة هجرة صوفية الأندلس الى المغرب الأوسط عاملاً رئيسياً إلى دخول المصنفات الصوفية ورواجها.

ويمكن تصنيف الصوفية الوافدين الى المغرب الأوسط منهم صوفية عادوا من المشرق يحملون معهم مصنفات التصوف المشرقية،وعملوا على نشرها وتبسيط مضمونها لجمهور الطلبة المريدين من بينهم أبو عبد الله محمد بن سعادة المرسي(تـ 565هـ/1196م)[2]،الذي مكث في تلمسان من 521هـ إلى 526هـ/1127م-1131م،حمل إليها مصنفات الغزالي التي كان تلقاها في مكة أبي الحسن علي بن عياش الغساني،تلميذ أبي حامد الغزالي.

ومن بين الذين أخذوا عنه:أبو إسحاق إبراهيم الهواري[3]،وأبو زكريا يحي بن عصفور[4]،وأبو العيش عبد الرحيم الخزرجي[5]،وقد أدى ضعف دولة المرابطين في أواخر حكم علي بن يوسف بن تاشفين(تـ500هـ-537هـ/1105م-1142م)،أدى الى هجرة المتصوفة من اشبيلية نحو المغرب الأوسط كأبو محمد عبد الحق الأشبيلي(تـ581هـ/1182م) [6]الذي استقر في بجاية، وغيره كثر لعبوا دور مهم في نشر تعاليم الدين الإسلامي ،ومن هنا يمكن القول أن المناخ السياسي للدولة المرابطية شكل عاملا أساسياً في نشأة التصوف في المغرب الإسلامي خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري الموافق للثاني عشر للميلاد، فالمرابطون قبل بداية دعوتهم وفي أثنائها أهل ربط ملتزمين بالسُنة على المذهب المالكي، وهذا ما تذكره أغلب الكتابات التاريخية التي أهتمت بشأن المرابطين. قد فتح الموحدون المجال أمام الفكر والنزعة العقلية في إدراك الله وصفاته،وفكوا القيود التي فرضها الفقهاء المرابطون،فكان لذلك اثر في تنمية التصوف وانتشاره في بلاد المغرب[7]،وصارت كتب الغزالي وغيره من المتصوفة والمتفلسفة،تُدرس في المؤسسات التعليمية،وتعقد لها المجالس الفقهية

---

[1]-كان حياً سنة677هـ/ 1278م،من المتعبدين الزهاد، ،رحل إلى المشرق ولقي مشايخ ،ينظر:أبي العباس الغبريني، المصدر السابق،،ص119.

[2]- المقري التلمساني،المصدر السابق، ج2 ،ص158.

[3]-يحي بن خلدون،المصدر السابق، ص 39.

[4]- نفسه، ص58.

[5]-نفسه، ص70.

[6]-محمد بن شاكر الكتبي(تـ764هـ)،فوات الوفيات والذيل عليها،ج2، تحقيق: احسان عباس،دار صادر ،بيروت، ص256.

[7]- ألفرد بل،المرجع السابق،ص378.

والفكرية[1]،فبرز في هذه المرحلة ببلاد المغرب المتصوف القطبأبو مدين الغوث[2](تـ 595هـ/1198م)،الأشبيلي الاصل[3]،العارف الواصل المحقق القطب،فقيه الأولياء وعمدة الأتقياء،كان زاهداً في الدنيا عارف بالله[4]،هومن المؤسسين الأوائل للفكر الصوفي بالمغرب الأوسط. لبس الخرقة عن الشيخ أبي عبد الله الدقاق[5]،وسلك على شيخ المشايخ أبي يعزى[6]،ثم قصد بيت الله الحرام فحج وأعتمر واجتمع بعرفات بالشيخ عبد القادر الجيلاني[7]،وكان أبو مدين مشغولا بالتربية والتعليم والعبادة والإقبال على الله تعالى في الظاهر والباطن، وكان يختلي بعيداً عن الناس[8]،ويقول عنه ابن قنفد:" نال من الزهد والتحقيق منالاً سُنياً، تبعه فيه المتقون واقتدى به المحققون ولازمه المصدقون[9]،وقد اتسم بالورع والتقوى ،تتلمذ عليه كثير من المردين أخذوا طريقته في مناطق عديدة من بلاد المغرب خاصة في بجاية واقامته بالعباد بتلمسان ،جعلت من هذه المدينة قبلة للزائرين الذين لا يدخرون جهداً في سبيل زيارة ضريحه والتبرك به والدعاء عنده[10]،وقلما تجد كتب التراجم لا تتحدث عنه ومآثره، ومن بين تلاميذه :

1-إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي(تـ611هـ/1215)[11]: أبا إسحاق، ويعرف بابن المرأة،روى عن أبي الحسن علي بن حرزهم[12]،حدث عنهما بالموطأ وغيره[13]كان متقدماً في علم الكلام ذاكرا للحديث والتفسير والفقه والتاريخ وغير ذلك، وكان الكلام أغلب عليه، فصيح اللسان والقلم، ذاكراً لكلام أهل التصوف، يطرزُ مجالسه بأخبارهم[14]،له شرح على ارشاد أبي العالي وشرح

---

[1]-نفسه، ص394.

[2]-ابن قنفد القسنطيني، أنس ...،المصدر السابق،ص 11-20.

[3]- ابن الزيات،المصدر السابق، ص319.

[4]- أحمد بن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ص530.

[5]-من أهل سجلماسة ،من كبار مشايخ الصوفية،ينظر: ابن الزيات،المصدر السابق، ص156

[6]- نفسه، ص213.

[7]-عبد الرزاق الكيلاني،الشيخ عبد القادر الجيلاني،الإمام الزاهد القدوة،ط1،دار القلم،1414هـ/1994م، ص85، وجمال الدين فالح الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني،دراسة تاريخية، تقديم: عماد عبد السلام رؤوف، المنظمة المغربية للنشر والتوزيع،2014، ص28.

[8]- ابن قنفد، أنس ... ،المصدر السابق، ص18-20.

[9]- نفسه، ص20.

[10]- نفسه، ص30.

[11]-ابن فرحون ،المصدر السابق، ص147.

[12]-ابن قنفد، أنس ...،المصدر السابق،ص12.

[13]-محمد بن مخلوف، المرجع السابق،ج2، ص173.

[14]-ابن فرحون ،المصدر السابق، ص147.

الأسماء الحسنى وشرح محاسن المجالس لأبن العريب ،المتضمن المقامات التي يمر بها السالك للوصول إلى معرفة الله على طريقة الغزالي وله تأليف في اجماع الفقهاء[1].

2-محمد بن أحمد بن الحجام(تـ614هـ/1217م)[2]:كان حسن الموعظة،طيب النغمة دائم العبرة،وكان مجلسه كهفاً للمريدين وأهل الخير، يأوون إليه وكان إذا أنشد بحسن صوته بديع الشعر شاق وراق، وأثار كامن الأشواق، وإذا نص صحيح الخبر لم يبق ولم يذر وكان وعظه بجامع القصر في أيام الجمع، فتاب على يديه من أراد الله به خيرا وانتفع به[3]،مولده بتلمسان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة[4]،له كتاب في الوعظ " حجة الحافظين ومحجة الواعظين " أختصره بعده أبو زكريا يحي بن محمد بن طفيل في سفر واحد، سماه " انوار مجالس الأذكار ،وأبكار عرائس الافكار[5]،ومما يؤثر من نظمه:

غَرِيـبُ اَلْوَصْـــفِ ذُو عِلْمٍ غَرِيـبٍ عَلِيـلُ اَلْقَلْـبِ مِنْ حُـبِّ اَلْحَبِيـبِ

إِذَا مَـا اَللَّيْـلُ أَظْلَمَ قَـــــامَ يَبْكِي وَيَشْـــكُو مَـا يَكُنُّ مِنَ اَلْوَجِيـبِ

يُقطِّعُ لَيْلَـهُ ذِ كْــــراً وَفِــــكْراً وَيَنْطِقُ فِيـهِ بِـاَلْعَجَـبِ اَلْعَجِيـبِ

بِـهِ مِنْ حُـبِّ سَـيِّدهِ غَــــرَامُ يَـجِـلُّ عَنِ الـتَـطَـبُّـبُ وَالْـطَّـبِـيـبِ

وَمَنْ يَـكُ هَكَـذَا عَبْـداً مُحِــــبـاً يَطِيـبُ تُرَابُـهُ مِنْ غَيْرِ طِيـبِ[6]

3-ابو عبد الله الشوذي الاشبيلي(كان حيا في بداية القرن7هـ/13م) [7]: المعروف بالحلوي ،نزيل تلمسان من كبار العباد العارفين، كان يدرس بمسجد صغير عند خندق عين الكسور بخارج باب القرمدين بتلمسان[8]،تكلم في فضل البسملة عشرة أيام وما أكل في نهار قط، وهذا دليل على زهده في الدنيا وتقشفه، وقد اوى إلى الكهف رفقة ابن دهاق خرج باب كشوطة بتلمسان، توفي ودفن خارج

---

[1]- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص80.

[2]-ابن الزيات،المصدر السابق، ص439.

[3]-نفسه، ص439، 440.

[4]-يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1،، ص102.

[5]- الحفناوي،المرجع السابق،ج1، ص352، 353، والسملالي،المرجع السابق،ج4، ص174.

[6]-ابن الزيات،المصدر السابق، ص440.

[7]-ابن مريم،المصدر السابق، ص68.

[8]-يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1،ص127.

باب علي بتلمسان[1]،وقد ساهم في نشر التصوف ي شكله الشعبي المتمثل في نزعة الزهد والخلوة كما دعم نظرية الوحدة المطلقة[2]

لا يعني هنا أننا ذكرنا كل متصوفة المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي، بل حاولنا بقدر المستطاع أن نبرز بعضهم على سبيل الذكر لا الحصر، وابن الزيات، والغبريني، ويحي ابن خلدون وغيرهم، لا خير دليل على وجود فقهاء متصوفة كثر لعبوا دور مهم في نشر مبادئ الإسلام عبر ربوع المغرب الإسلامي عامة، وكان الموحدون في بداية عهدهم، قد بذلوا جهداً كبير في سبيل نشر فكرة " المهدوية " القائمة على الحق الإلهي، وإقرار المذهب الظاهري في الفقه، وعلى الرغم من هذه الجهود المبذولة، فإن مقاومة السُنة كانت أقوى، وكان الانتصار في النهاية للمذهب المالكي في الفقهيات والأشعري في المعتقدات، بفضل انتشار أفكار الغزالي الصوفية والأشعرية[3].

ومما أمتاز به عصر بني زيان انتشار حركة التصوف بين جميع طبقات الشعب بما فيها طبقة الفقهاء الذين كانوا قد ناصبوا الأفكار الصوفية العداء من قبل ،وعلى الخصوص في عهد الملثمين[4]،ومن المعلوم ان أكثر أساطين التصوف المغربي قد ظهروا في العهد الموحدي[5]،قداصطبغت الحياة الدّنية والعلمية بالمغرب الأوسط بظاهرة التصوف[6]،وظهر الكثير من المتصوفة والزّهاد والعلماء الذين صنفوا في هذا المجال، يعد التصوف في هذه الفترة من أهم العلوم الدينية التي حظيت بأراضي الدولة الزيانية باهتمام كبير وعلى الخصوص التقاليد والرسائل والدراسات المتنوعة،فقد كان إقبال الناس على كتب التصوف من أعز ما يقتنيه الدارسون والهواة من جامعي الكتب ولا سيما من أنصار الطرق الصوفية[7]،فبرز في القرن السابع الهجري، الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي متصوفون آخرون في بلاد المغرب والاندلس ساروا على دّرب اسلاّفهم من التصوف السُّني، ومنهم على سبيل الذكر:

---

(1)-نفسه، ص128.

(2)-الطاهر بونابي،المرجع السابق، ص81.

(3)-عبد العزيز فيلالي،تلمسان ...،ج2، المرجع السابق،ص385

(4)-محمود بوعياد،المرجع السابق، ص49.

(5)-نفسه، ص50.

-(6)Abdelhadi Ben Ridouan ;Etude sur le Soufisme ,T.M Arnaud,in:revueAfricaine,n°32,1898,p338-383.

(7)-مختار حساني، تاريخ ....،المرجع السابق، ص215.

2- أبو الحسن الشاذلي(ت656هـ/1258م)[1]: هو الشيخ القطب علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الهُذلي الشاذلي نسبة إلى شاذلة قرية بإفريقية، الضرير الزاهد نزيل الإسكندرية وشيخ الطريقة الشاذلية، وقد اشتغل بالعلوم منذ صغره حتى أتقنها وصار يناظر عليها، ثم انتهج التصوف وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه وخبره وطار في الفضائل طيره وحمد في الطريق سراه وسيره[2]، تعد طريقته امتداداً لتصوف الغزالي وأبي مدين الغوث، وكان ينكر الكرامات الحسية الخارقة للعادة التي اشتهر بها سابقوه ونشروها بين عامة الناس،والكرامة عنده هي التي لا تخرج عن أمرين، هما كرامة الإيمان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة للسنة، وأن كل من خرج عنهما فهو مغتر وكذاب، ويرى بأن التصوف ليس بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنَخَالة، وإنما يكون بالصَّبر على الأوامر واليقين في الهدّاية، فالتصوف عنده اذنً ليس بالرسوم والاشكال وإنما هو بالنوّايا والأعمال[3] ويعتبر من أفراد هذه الأمة وأكابر أقطابها ويعتبر المحور الذي تدور عليه الطريقة الشاذلية المنتشرة في العالم الإسلامي، ويعد المجدد لطريق التصوف في القرن السابع الهجري والنّاشر لها والداعي إليها[4]، وله مؤلفاته عديدة[5].

أن هذه الحركة الصوفية التي بدأ انتشارها يسري شيئاً فشيئا في أوساط المغاربة، كانت تسير إلى جانبها اتجاهات دينية أخرى، وأن الطريقة التي كانت اكثر انتشاراً في عهد بني زيان، وتجاوباً مع الناس هي طريقتا ابي مدين والشاذلية، لأنهما أقرب الطرق إلى المذهب السُني، وأكثرهما انسجاما مع عقلية أهل المغرب، وإثارة لانفعالاتهم واستجابة لنزواتهم الفطرية، بعيدة عن التكلف لأنها لا تحتاج إلى جهود ذهنية ولا عناء فكري كبير، وأن رجال التصوف في حد ذاتهم يعبدون الله ويكثرون من ذكره ومن الصلاة في الليل والنهار، ويقومون حركات خاصة تجعلهم في موقف خاص[6].

برز في عاصمة المغرب الأوسط مدينة تلمسان، مجموعة كبيرة من شيوخ التصوف خلال العهد الزياني، لكنهم لم يرتقوا إلى مصاف اسلافهم، ولم يبلغوا مستوى الانتشار الذي بلغه سابقوهم من أقطاب التصوف الذين كانوًا لأنفسهم تلاميذ ومدارس وطرائق، ارتبطت بأسمائهم في ربوع المغرب

---

(1)-عبد العزيز فيلالي،تلمسان....،ج2، المرجع السابق،ص385.

(2)-الشيخ الحميري ،المعروف بابن الصباغ، درة الأسرار وتحفة الأبرار ،في أقوال وأفعال وأحوال ومقامات ونسب وكرامات وأذكار ودعواة سيدي أبو الحسن الشاذلي،الناشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ص5.

(3)- عبد العزيز فيلالي،تلمسان ....،ج2،المرجع السابق، ص.385.

(4)-ابن الصباغ،المرجع السابق، ص5، 6.

(5)-نفسه، ص6.

(6)-محمد بن أحمد ابن شقرون، المرجع السابق، ص53، 54.

والمشرق[1]،حرص رجال التصوف في تلمسان على العمل بالكتاب والسُنة، والاعتناء بالجانب التربوي العملي من التصوف،والابتعاد عن تيار التصوف الفلسفي[2]،وبرز منهم في القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي بتلمسان:

1-أبو موسى عمران المشدالي(تت745هـ/1344م)[3]:من كبار الفقهاء وخيار العلماء الصلحاء من زوواة بجاية،قدم تلمسان في ايم السلطان أبي تاشفين فأكرم مثواه، وله رسالة في اتخاذ الركاب من خالص الفضة ،وفتاوى كثيرة نقل الكثير منها الونشريسي في معياره[4]،ولم يكن في معاصريه أحد مثله علماً بمذهب مالك وحفظاً لأقوال أصحابه، وعرفاناً بنوازل الأحكام، وصوابا في الفتيا، توفي قافلاً من مراكش أيام السلطان أبي الحسن.

2-أحمد بن يحي التلمساني،ابن أبي حجلة(776-725هـ/1325-1375م)[5]:بن أبي بكر التلمساني،أبو العباس،شهاب الدين،الشيخ الإمام العلاّمة الأديب المتفنن نزيل دمشق ثم القاهرة، ولد بزاوية جده بتلمسان،اشتغل ببلده ثم قدم إلى الحج فلم يرجع ومهر في الأدب ونظم الكتب، ونثر وأجاد،وترسل ففاق، وعمل المقامات،ولي مشيخة الصوفية" الصهريج " الذي بناه منجك اليوسفي ظاهر القاهرة إلى أن مات،وكان كثير المروءة، وجم الفضل كثير الاستحضار والنكت ومكارم الأخلاق،وله مصنفات كثيرة تبلغ ستين مصنفا،منها: ديوان الصبابة ومنطق الطير والسكردان في علم المحاضرات والأدب الغض وأطيب الطيب والنعمة الشاملة في العشرة الكاملة وقصيرات الحجال[6]،وغيرها.

3-إسماعيل بن إبراهيم التونسي(تـ608هـ/1211م)[7]: أبو الطاهر،أصله من تونس وأشخص إلى حضرة مراكش،فقدمها ثم استقر أخيراًبتلمسان،وتولى التدريس بها،وأعرض عن لدنيا وأهلها،اهتم بتدريس كتاب " البرهان " وكان على سنن العلماء والصالحين،توفي تلمسان[8]

---

[1]-عبد العزيز فيلالي، تلمسان .....،ج2،المرجع السابق، ص387.

[2]-هو تيار ألتزم صوفيته تعاليم القرآن والسنة، ونزعوا إلى كشف حجاب الحس لأدراك الحقائق الإلهية، واكتساب العلوم اللدنية، ينظر: ابن خلدون ،المقدمة ،المصدر السابق، ص613.

[3]-يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1،ص130.

[4]- محمد بن مخلوف، المرجع السابق، ص220.

[5]-الحفناوي،المرجع السابق،ج2،ص42.

[6]- عبد المنعم القاسمي الحسيني، المرجع السابق، ص121، 122.

[7]-عبد المنعم القاسمي الحسيني، المرجع السابق، ص124.

[8]-ابن الزيات،المصدر السابق، ص406.

4-عبد الملك بن سائح البجائي[1]:أصله من قرى بجاية،كان من العلماء الحفاظ عارفاً بالعربية،استخرج من " الواضحة "وكتاب ابن المواز لم يكن في " المدونة" ولا في " المستخرجة" حج وانصرف إلى الأندلس، ثم رجع إلى مصر ،ومنها إلى الشام ورابط في سواحله على خير وعبادة إلى أن توفي[2].

5-عبد المهيمن بن محمد الحضرمي(ت749هـ/1349م)[3]:يكنى أبا محمد،كان خاتمة الصدور، وصاحب القلم الأعْلاَّ بفاس،نشأ بسبتة وبها ولد مقصوراً على الإجادة والإفادة والاستفادة إلى أن ولي كتابة الإنشاء لأبي الحسن المريني[4].

ومن هنا يمكن القول أن لا الحروب العسكرية، ولا الفتن السياسية ولا المذهبية، كانت حائلاً أمام عزيمة هؤلاء العلماء عبر سيرورة التاريخ الإسلامي للمغرب الأوسط في العصر الوسيط على أن تكون حواضره مراكز اشعاع ثقافي وحضاري، وأن تكون أرضه قبلة للعلم والفكر يشُد الرحال كل من يريد الاستزادة من أنواع العلوم التي كانت منتشرة آنذاك، ولكننا نتأسف لضياع الكثير من التراجم حول هؤلاء الشموع الذين أضاءوا بفكرهم وعلمهم العالم الإسلامي لفترات طويلة.

---

(1)- ابن فرحون،المصدر السابق،ص258.

(2)-عبد المنعم القاسمي الحسيني، المرجع السابق،ص222.

(3)-عبد الرحمن بن خلدون،المصدر السابق،ج7، ص515.

(4)- ابن القاضي،المصدر السابق،ج2، ص444.

الفصل الرابع:

نماذج لبعض علماء المغرب الأوسط من القرن2-8هـ/8-14م:

أولا: - نماذج لبعض علماء العهد الرستمي:

ثانياً: - نماذج لبعض علماء العهد العبيدي.

ثالثاً: - نماذج لبعض علماء العهد الحمادي.

رابعاً: - نماذج لبعض علماء العهد المرابطي.

خامساً: - نماذج لبعض علماء العهد الموحدي.

سادساً: - نماذج لبعض علماء العهد الزياني.

شهد المغرب الأوسط منذ القرن الثاني للهجرة، الموافق للقرن الثامن للميلاد حركة تأليف واسعة النطاق شملت مختلف أنواع المعرفة أنذاك والتي كانت تدرس في مساجد تاهرت، وبجاية وبونة، وتلمسان وغيرها من المدن والحواضر، ومما يشهد على اتساع هذه الحركة وازدهارها ما وجدناه في كتب السير والفهارس من أسماء ومصنفات كثيرة في هذه الحقبة من التاريخ، ولقد كان لهؤلاء العلماء والفقهاء نصيب وافر.

وان تدوين سير هؤلاء يعتبر ضرورة حضارية لاستمرار وجودنا، وربط أبنائنا بماضي سلفنا الصالح للانتفاع بعلمهم والسير على نهجهم، ومن الظواهر الطيبة في هذا العصر أن نجد جمهرة من الكتاب والباحثين قد تسابقت أقلامهم في الكتابة عن أعلام الأمة وقادتها وهدُاتها في العلم والأدب والسياسة[1]،وكما لم ينظر العلماء العرب والمسلمون نظرة عرقية للعلم، بل طلبوه حيث وجدوه، كما أنهم كانوا سمحاء في عطائهم فلم يحتكروه أو يستغلوه، وأنفقوا على مواليهم الذين توسموا فيهم الذكاء ومحبة العلم، فأصبحوا من أشهر علماء المسلمين[2].

ولا يخفى أن الدراسة التاريخية للأعلام تتطلب التعرف على نتائجهم العلمية والكشف على مناهجهم الفكرية، وجوانب الإبداع عندهم، ومواهبهم، وأسرار عبقرتيهم ضمن منظور علمي عالٍ، وسط الأحداث المحيطة بهم، مع إظهار الأثر الذي خلفوه في جيلهم، ومن بعدهم، وعليه فإن بيان الحقيقة وسط زحمة فكرية، ورُكام من الآراء طريق وعرة ملتوية، والتَّدْوين للفكر ضَرْبٌ من المُعاناة قدر صعوبته المفكرون، ومن هذا المنطلق كان انصرافنا إلى مطالعة أخبار العلماء فيما تيسر لنا في هذا الشأن من مصادر ومراجع ودوريات تخص عالمنا هذا.

من خلال هذا العمل حاولنا تسليط الضوء على بعض النماذج من العلماء والفقهاء الذين ساهموا في إشعاع نور الحضارة على هذه الأرض خلال قرون متتالية، والتعريف بمآثرهم التي خلدوها من خلال إنتاجهم الفكري.

---

[1] -عبد الله كنون،ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، قد له وأعتنى به ورتب تراجمه إلى طبقات:محمد بن عزوز،ج1،في العلم ،مركز التراث الثقافي المغرب،دار ابن حزم،1430هـ/2010م ،المملكة المغربية، ص أ.

[2] -زهير حميدان ،أعلام الحضارة العربية الإسلامية ،في العلوم الأساسية والتطبيقية، المجلد الأول، وزارة الثافة،1995،دمشق، ص9.

أولاً: نماذج لبعض علماء العهد الرستمي:

ولا نقتصر على هؤلاء وحدهم وان كانوا هم الذين خدموا الفقه في المغرب الأوسط خاصة، وإنما لا بد من ذكر غيرهم من المالكية ممن لهم ضلع بارز في نشاط الحياة الفقهية بالدولة الرستمية[1]، فبالإضافة إلى الأئمة أنفسهم الذين سبق أن ذكرنا علومهم وتصانيفهم كانوا من الفقهاء ،بحيث لم يتولوا منصب الإمامة، إلا لعلمهم بالفرائض وفقههم الغزير.

أ/ إباضيين:

1-هود بن محكم الهواري الأوراسي:(258-208هـ/823-871م)[2]:

فقيه وقاض من جبل الاوراس في عهد الرستمين، نشأ في قبيلة هوارة[3]،وان المصادر التاريخية لم تمدنا بكثير من الأخبار عن مكانته العلمية في فترة صباه أو شبّابه أو شيخوخته ،ولكنه يبدو أنه قد أخذ العلم في طفولته عن والده بعد حفظه لكتاب الله تعالى، وأنه تفقه في مجالس العلم وحلقات الدرس التي كانت تعقد بالمسّاجد في القرى الجبلية، أوفي البوادي أو حتى في المغارات إذ أختل الأمن، واضطربت الأمور[4]،كان الشيخ ينتقل بطلبته في بعض فصول السنة الى البوادي والأرياف، وتتواصل الدراسة هناك أوقات من ليل أو نهار تحت ظلال الأشجار أو تحت الخيام أو تحت السماء، أما في فترة شبابه فمن المؤكد أنه قد ترك قبيلته ليتلقى تعليمه بتاهرت حيث الجامع المشهور والمدرسة الإباضية، ذات الفقه الإباضي المدون باللغة البربرية، والقيروان حيث دولة بني الأغلب الموالية للدولة العباسية، وفي سجلماسة[5].

---

(1)-رابح بونار ،المرجع السابق،85، إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص311

(2)-جمعية التراث، المرجع السابق، ص355.

(3)-قبيلةهوارة:من قبائل البربر ومعقلها الأوراس شرق الجزائر ،ينظر:محمد سليمان الطيب،موسوعة القبائل العربية،بحوث ميدانية وتاريخية،دارالفكر العربي،ط1، 1414هـ/1993م، ص778

(4)-سامي محمود محمد أحمد، منهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره ، كتاب الله العزيز، دراسة ونقد، رسالة ماجستير ،الجامعة الاسلامية غزة، عمادة الدراسات العليا،كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن)1423هـ/2002،ص44

(5)-سجلماسة: هي من أعظم مدن المغرب بينها وبين البحر خمس عشرة مرحلة ،بنيت عام 140هـ،ينظر: محمد عبد المنعم الصنهاجي السبتي،الحميري(ت727هـ/ 1327م)،الروض المعطار في خبر الأمصار، ،تحقيق:احسان عباس،مكتبة لبنان،ط2، 1984،ص305.

تلقى العلم كذلك في إحدى المراكز العلمية التي كانت منتشرة أنداك في أربعة مدن هي سبتة[1]،حيث دولة بني عاصم الموالية لبني أمية، والتي كانت موطن العلماء الكبار، وظلت هذه المرّاكز خاصة تاهرت والقيروان تَّشع بأنواع المعرفة عامة، وبالعلوم الدينّية خاصة، حيث العلماء والأدّباء من مختّلف الطوائف الإسّلامية والمذّاهب الدينيّة، وكانت مجالس العلم والمنّاظرة في أوّج نشّاطها، وكان الجدّل يشّتد أحياناً حتىّ يأخذ أشكالاً من الصراع المذّهبي، وأحياناً أخرى يسود التسّامح فتنظم اللقاءّات وتعقد الندوّات بين العلماء، وتتّلاقح الأفكار فلا يستنكف هذا أن يأخذ من هذا وإن لم يكن على مذهبه أو من طائفته[2].

وكانت هذه المراكز كذلك دافعاً للشّيخ هود أنّ يشد رحاله إليها طلباً للمزيد من المعرفة، وحضور لمجالس الدرس والمناظرة والاتصال بالعلماء، وممّا يؤكد ذّلك الاعتّقاد بأنه زّار هذه المراكز العلمية وتعلم فيها، وأخُص بالذكر هنا تاهرت، وسواء طالت رحلته العلمية إلى هذه المراكز أو إلى أحدهما أم قصرت فإن الشيخ عاد إلى موطنه الأول وقد أصبح على قدر من العلم واتسعت أفاق معرفته وكثرت تجاربه واستقر في منطقة لأوراس[3]،وأصبح محط أنظار المتعلمين بل والناس عامة، يقصده المتعلمون ليقْتبِسوُا من علمه وأخلاقه وتجاربه، يقصده سائر الناس ليتلقوا منه التوجيهات الرشيدة والرأي السديد، والحل المرضي لمشاكلهم، فيقضي لكل من يقصده مآربه ويساعده في مطلبه[4]،يتضح من ذلك أن الشيخ كان يتمتع بمكانة عالية بين أفراد قبيلته والقبائل المجاورة، إذ كان مقصد طلاب العلم والمعرفة في عصره، تداولت المصادر والمراجع الإباضية وغير الإباضية، على أنه أشهر مفسر عرفته في الدولة الرستمية[5].

تلّقى تعليمه في تاهرت، وكان يفسر القرآن الكريم بالمأثّور من الأقوال، وقد اتبع في ذلك شروطاً ثمانية هي: معرفة المكّي والمدني، الناسّخ والمنسّوخ، التقديم والتأخير، المقطوع والموصّول، والخّاص

---

[1]-سبتة: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة، وهي مدينة حصينة تشبه المهدية التي بأفريقية وأنها ضاربة في البحر ،ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج3،ص182.

[2]-هود بن محكم الهواري، ت280هـ ،تفسير كتاب الله العزيز، حققه: بالحاج سعيد شريفي،ط1، 1990،ج1 ،دار الغرب الاسلامي ،ص13 بتصرف.

[3]- محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق،ص65.

[4]-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ،ت711هـ ،لسان العرب_،دار صادر، بيروت (د.ت)،م7،ص62.

[5]-موسى لقبال، دور كتامة في الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1979،ص77.

والعام، والإضّمار واللّغة العربية[1]،ألف كتاباً في التفسّير فيه أربعة أجزّاء، ويعتبر تفسيره مرجعاً أساسّياً للإباضية بالإضافة إلى الأحاديث النبوية[2]،ويذكر الشّماخي:" أنّه تقدم الكلام على أبيه وهو عالم متّقن، وهو صاحب التفسير المعروف وهو كتاب جليل في تفسير كتاب الله لم يتعرض فيه للنحو والإعراب، بل على طريقة المتقدمين"[3]فيه يروي في بعض الحالات أسباب النزول ويعتمد على أحاديث نبوية، ومن جانب آخر يقول إبراهيم بحاز:" انه لم يعتمد في تفسيره طريقة النقل فقط، بل كثيراً ما كان يسوق الرواية فينفيها نفياً قاطعاً، وأهتم باستخراج معاني الآيات، وما تضمّنته من حكم وأحكام[4]،ومن الأدلة على قيمة الكتاب وأهميته، أن رجلاً بينما هو في تجارته إذ ورد تفسير هود بن محكم واشتراه لنفسه لكن عن مال اقترضه، قال لصاحب المال لك رأس مالك عندي، وقال صاحب المال الكتاب لي، ولك نصيبك من الربح، فتعصب قوم كل واحد له[5]،أي كل واحد كان يدعي حق ملكيته، حتى كادت عشيرتاهما تقتتلان[6]،ولعل هذا الاهتمام بهذا التفسير يشير إلى أنه مرجع الاباضية في فنه ،يعتمدون عليه، ويتناولونه بينهم، أي أنه كان معتمد الإباضية[7]،تتلمذ على يد والده محكم الهواري ولم تذكر كتب التاريخ شيخاً آخر ممن تتلمذ هود بن محكم على أيديهم[8]،أما بالنسبة لتلاميذ الشيخ الذين تلقوا عنه العلم، أو ترّبوا على يديه فليس لدينا أي علم بأسمائّهم، سواء عند الشماخي أو الدرجيني في ترجمتهم لأكبر الشخصيات الإباضية الفاعلة في المجتمع أنداك.

2- أبو عبيدة الأعرج:(عاش في القرن 3هـ/9م)[9]:كان من العلماء البارزين في عهد الإمام أبي اليقظان، وكان شيخاً عالماً في ميدان الفقه، والعلوم الأخرى ولاسيما علم الكلام واللغة والنحو، ومن علماء الإباضية بتاهرت تحدث عنه تلميذه ابن الصغير في تاريخه عن عدد من الفقهاء، أنه كان:

---

(1)-محمد مختار إسكندر، المرجع السابق، ص41.

(2)-صالح باجية، الإباضية بالجريد في العصور الاسلامية الأولى، ط1، الجامعة التونسية، الزيتونة للشريعة وأصول الدين، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس1976، ص54.

(3)-الشماخي، المصدر السابق، ص381.

(4)-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص301.

(5)-الشماخي، المصدر السابق، ص290

(6)-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص302.

(7)-صالح باجية، المرجع السابق، ص55.

(8)-سامي محمود محمد أحمد، المرجع السابق، ص47.

(9)-جمعية التراث، المرجع السابق، ج2، ص285.

عالماً بالفقه والكلام والوثائق[1]،ويقول عنه بأن الإباضية:" كلهم مقرون له بالفضل معترفون له بالعلم مسلمون له بالورع، إذا اختلفوا في أمر من الفقه أومن الكلام صدروا عن رأيه[2]،كما يذكر لنا البكري عنه حادثة تدل على قدر أبي عبيدة عند الإمام وشأنه ،إذ كان لا يخاف في الله لوّمة لائم، يظهر على لسانه ما أسر في قلبه، وكان قليل الدخول على الإمام أبي اليقظان لا يجمعه وإياه إلا المسجد الجامع[3]، وكان أهل المغرب كلهم مشغوفين به ويرسلون إليه بزكاة أموالهم يصرفها حيث شاء من سجلماسة وغيرها[4]ولا نعرف المزيد عن حياة أبي عبيدة أكثر من هذا، رغم المنزلة التي بلغها بعلمه، إلا أننا لا نجد له ترجمة في المصادر الإباضية سوى ما نقله الشماخي عن ابن الصغير في سيره[5]،ولم تكن تاهرت وحدها حاضرة ومركزاً للحركة الفقهية الإباضية، فجبل نفوسة أيضا كان له نفس الأهمية، لأن انتشار المدارس وحلقات العلم جعلت منه مركز إشعاع فكري لا بل مستودعاً للفقهاء، والعلماء ورجال الفكر، وهذا ما يفسر لنا استعانة لائمة الرستميين بهم في المناظرات[6]،ومن أشهر الذين كانت لهم منزلة رفعة في جبل نفوسة، وكان المغرب كله مفتوناً بهذا الرجل حتى أن من كان بسجلماسة من الإباضية يبعثون إليه بزكاتهم يصرفها حيث شاء[7].

3-عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ(أواخر ق:3هـ/9م)[8]:

من مشائخ تاهرت وفقهائها ،أخذ علمه من علماء عصره ومصره، وعاش في فترة الفتن الداخلية التي أَلمت بالدولة الرستمية بعد فتنة ابن عرفة[9]،عاصر الإمامين أبي اليقظان وأبي حاتم يوسف(281-241هـ)،الذي عينه قاضياً،وقد كان متطلعاً في الفقه[10]،وكان ورعاَ عدلاً لا تأخذه

---

(1)-Bekri chikh,opcit,p46.

(2)-الشماخي، المصدر السابق، ص223.

(3)-ابن الصغير، المصدر السابق، ص83، وسعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي ،ج2،تاريخ دولة الأغالبة والرستمين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين،الناشر منشأة المعارف،حلال حزى وشركاه، 1993،ص369، ورابح بونار ،المرجع السابق،ص91

(4)-الشماخي، المصدر السابق، ص223.

(5)-ابن الصغير، المرجع السابق، ص83 وما بعدها.

(6)-محمد عليلي، المرجع السابق، ص85.

(7)-ابن الصغير، المرجع السابق، ص85.

(8)-جمعية التراث، المرجع السابق، ج2، ص273.

(9)-عبد الله الباروني النفوسي، المرجع السابق، ص266.

(10)-جمعية التراث، المرجع السابق، ج2، ص273.

لومة لائم،انتفع به الكثيرمن علماء الدولة الرستمية في وقته[1]،توفي بعد 241هـ/ 854م،بلغ في العلم مبلغاً كبيراً،وألتزم بشروط القضاء من الدين والورع والعلم والعمل والعدل أحسن إلتزام، وعمل مع إدارة الحسبة والشرطة على اجتثاث الفساد من المجتمع،وإعادة الأمور إلى مجاريها الطبيعية[2]،ذكر ابن الصغير قائلاً:" لماّ دخل أبو حاتم مدينة تاهرت بعد الفتنة التي كانت بينه وبين عمه يعقوب بن افلح،جمع مشايخ البلد إباضيتها وغير إباضيتها،فاستشارهم فيمن يوليه قضاء المسلمين"،فقالوا له:"إنّ أباك لماّ دخل كدخولك ولّى محمد بن عبد الله بن ابي الشيخ[3]،ولمحمد ولد يسمى عبد الله وما هو دون أبيه في الورع والعلم،وأنت عالم بورعه ودينه،كما نحن عالمون به،فقال: " أشرتم وأحسنتم وولاه القضاء.

4-عبد الله بن الخير،(حي في:283هـ/896م)[4]:

شيخ التُقى والإخلاص، والمُتحري مسالك الخلاص فاضلاُ أثيراً، عالماً كبيراً، من تين ورزيرف بجبل نفوسة، أخذ العلم عن أبي ذر أبان بن وسيم الحيوي النفوسي[5]،وبرع حتى كان من شيوخ وقُراء نفوسة، كانت الأمثال تضرب به، فمنها أّنهم كانوا يقولون: من ضيّع كتاباً كمن ضيع خمسة عشر عالماً مثل عبد الله بن الخير[6]،ولاشك أن المثل يعبر عن منزلة شيخنا العلمية.

ب/ مالكيين:

كما نبغ في العصر الرستمي عدد كبير من العلماء، كانوا شيوخ المذهب، يمثلون فئة اجتماعية، ذات شأن كبير في تاهرت، ومنهم علماء سنيون مالكيون[7]،يذكر رابح بونار أن هذه النخبة الطيبة من الفقهاء لم يترجمها أصحاب الطبقات والتراجم، ترجمة وافية وإنما ذكروها بإيجاز[8]،ولعل ابن الصغير المالكي الذي يعتبر من الفقهاء البارزين وإلى كونه مؤرخاً، قد خلده كتابه كمؤرخ أكثر من

---

[1]-عادل نويهض، المرجع السابق، ص192.

[2]-جمعية التراث، المرجع السابق، ج2، ص237

[3]-ابن الصغير، المصدر السابق، ص101.

[4]-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص318.

[5]-جمعية التراث، المرجع السابق، ج2، ص265.

[6]-الدرجيني،المصدر السابق،ج2، ص130، 131.

[7]-محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص237

[8]-رابح بونار، المرجع السابق، ص90.

أي اختصاص ،إلا أنه كان فقيهاً أيضاً[1]، يناظر فقهاء الاباضية في مسائل فقهية بحتة دلت على أن له قدماً راسخة في هذا العلم[2]ويحتمل ان يكون قد وضع كتاباً في الفقه، عرض فيه آراء الإباضية، هذا ما يمكن فهمه من قوله[3]:" فحكيت ما ذكر لي لغير واحد منهم وما اعتللت به عليه فاعتلوا بعلة وغير علة وزادوا ونقصوا، وقد جمعت ما دار من جميع ذلك بيني وبينهم مما اعتلوا به ومما يدخل لهم، أو ما ذكروه" [4].

ويذكر بحاز: " أن هذه الجملة يمكن أن تعني تصنيف كتاب من طرف بن الصغير، جمع فيه ما دار بينه وبين الاباضية حول مسألة في النكاح[5]، ولم نتصادف مع أي مؤلف لأبن الصغير سوى تاريخه، ومن فقهاء المالكية أبي الفضل العباس بن محمد الصواف الغدامسي[6]،المتوفي سنة309هـ/921م[7].

اجتمع فيه ما تفرق في غيره من الأوصاف الجميلة،كان متبعاً للعلم، وكذلك الفضل بن سالم البجائي،المتوفي سنة319هـ/931م،وكان حافظاً حجة فقيهاً، أخذ عن شيوخ بلده، ثم أرتحل الى افريقية فأخذ بها عن أحمد بن سليمان، ويحي بن عمر وحماس، ولازم هذا الأمير ومن في طبقته من العلماء وذاع صيته، أرتحل الناس اليه للأخذ عنه فانتفعوا به، وتخرج على يده عدد كبير من ذوي المنزل العلمية، وله تأليف أشتهر به وهو: كتاب جامع المسائل الموازنة والمستخرجة"[8]،وأيضا قاسم بن عبد الرحمن، وزكريا بن بكر والمؤرخ الفقيه المالكي بن الصغير[9]،وربما يظن احد أن أهل نفوسة كانوا كلهم على المذهب الإباضي، فلا شك أن السواد الأعظم منهم كانوا كلهم إباضية، وهذا

---

(1)-نفسه، ص323

(2)-ابن الصغير، المصدر السابق، ص118،117.

(3)-ابراهيم بحاز، المرجع السابق، ص323.

(4)-ابن الصغير، المصدر السابق، ص117.

(5)-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص323.

(6)-أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، ج2، ط2. 1414هـ/1994، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص440 وما بعدها.

(7)-بلحاج معروف، المرجع السابق، ص246.

(8)-رابح بونار، المرجع السابق، ص93.

(9)-محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص237.

لا يمنع من وجود مالكية بينهم، بحيث أن بن الأثير: يخبرنا في لبابه أن نفوسة القبيلة البربرية في بلاد المغرب اشتهر بالنسبة إليها: أهاب بن مازون النفوسي البربري الفقيه المالكي، وكان كثير القراءة، وتوفي بالمغرب قبل العشرين و الثلاثمائة[1]،ويذكر بن الصغير قائلاً:" ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا أستوطن معهم وابتنى بين أظهرهم، لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله، حتى لا ترى دار إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم ،وهذا مسجد البصريين ، وهذا مسجد الكوفيين[2]،وهذا دليل أنه كان للفقهاء المالكيين وغيرهم قدم راسخة في تاهرت، إن هؤلاء وغيرهم من الفقهاء، كانوا في المجتمع الرستمي، ولا شك أئمة العلم، كل في حدود مذهبه، يدافع عنه، ويثبت حججه أمام المذهب المنافس[3]،لم يتركوا لنا تصانيف فلعلهم أكتفوا بترك الخلف من تلامذتهم، ولا يخفى ما لهذه العملية من تأثير في الفقه الإسلامي وإثراء له بمختلف الآراء والفتاوى والأحكام، وقد كان ذلك الزمان خصبا من هذه الناحية بالذات[4].

وان احتضان الدولة الرستمية لعدد كبير من الفقهاء يفسر توفر المناخ العلمي الذي أعطى ثماراً جيدة من حيث المساهمة في غزارة الإنتاج الفقهي، وان كنا قد أكتفينا بذكر جملة من الفقهاء فهذا لا يعني أننا أحطنا بمعرفة كل الفقهاء الذين ساهموا في تنشيط الحركة الفقهية في هذه الدولة[5]،إن جهود هؤلاء العلماء والفقهاء في الحفاظ على المذهب الإباضي عملت على التواصل الفكري عبر العصور هو الأمر الذي أدى إلى استمرارية هذا المذهب حتى يومنا هذا ،إضافة إلى صفة الاعتدال التي لزمت هذا المذهب منذ نشأته وهي في الحقيقة من عناصر قوته وعوامل انتشاره وبقائه[6].

ثانياً: نماذج لبعض علماء العهد العبيدي:

---

[1]-ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ): للباب في تهذيب الأنساب ،ج2،مكتبة القدسي القاهرة،1357م، ص234.

[2]-ابن الصغير، المصدر السابق، ص36.

[3]-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص324.

[4]-نفسه، ص324.

[5]-محمد عليلي، المرجع السابق، ص91،90.

[6]-نفسه، ص93.

1-أبو جعفر نصر الداودي (ت402هـ/1011م)[1]:

الإمام الفاضل العالم المتفنن، له حظْ من علوم اللسّان والنّظر[2]،هو شّيخ الإسلام وإمام عُلماء الشّريعة أصله من مدينة المسيلة، وقيل من بسكرة، حيث يوجد له مسجد، ومقبرة يحملان اسمه، عاش بطرابلس الغرب مدةّ وألفَ فيها كتابه شّرح الموطأ، ثم أنتقّل إلى تلمسان وأستّقر بها إلى أن توفي، وكان إماماً فقيهاً محدثاً ومؤلفاً مجيداً،،وكان يأخذّ علومه عن الكتب غالباً ،ولم يعتمد على إمام مشهور، أخّذ عنه من رجال الفقه وعلوم الدين مثل أبو عبد الملك البوني[3]،وأبو بكر محمد بن أبي زيد القيرواني وغيرهما ومن تأليفه: كتاب النامي في" شّرح الموطأ"، والواعي في الفقه، والنصيحة في شرح البخاري فكان أول شرح وضع على هذا الكتاب الجامع، وللمترجم تفسير القرآن المجيد تداوله العلماء[4]، والإيضاح في الردّ على القدرية(المعتزلة)،وكتاب الأصول، وكتاب البيان، وكتاب الأموال وغير ذلك[5].

ويذّكره ابن فرحون: "أبو جعفر من أئمة المالكية بالمغرب، ومن علماء الطبقة السابعة، توفي بها سنة اثنين وأربعمائة، وقبره عند باب العقبة[6]،ضريحه مشهور بها إلى الآن" ، وذّكره الشريف العلمي في نوازله، وقال انه توفي بتلمسان سنة422هـ/1050م، ثم قال أنّ وفاته في آخر القرن الرّابع، وقال عياض:" وقرأت بعض التوّاريخ أنّ وفّاته سنة إحدى عشرة والأول صح[7] وأنّه كان ينكر على معّاصريه من علماء القيروان سُكناهم في مملكة بني عبيد وبقائهم بين أظهرهم، وأنه كتب إليهم مرة بذلك ،فأجّابوه:" أسكتْ لا شيخ لك، أي لأن درسه كان وحده، ولم يتفقه في أكثر علمه عند إمام مشهور، وإنما وصل إلى ما وصل بإدراكه، قال:" ويشيرون إلى أنّه لو كان له شيخ يفقه حقيقة الفقه لعلم، وأنّ بقاءهم مع من هنّاك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الإسلام، وبقية

---

[3]-محمدبن مخلوف، المصدر السابق، ج2، ص110، وعادل نويهض، المرجع السابق، ص141.

[2]- محمد بن مخلوف المرجع السابق، ص110.

[3]-هو أبو عبد الملك مروان لن علي البوني(439هـ)، سكن قرطبة، وروى فيها عن الاصيلي والقاضي أبو مطرف وغيرهما، ينظر: رابح بونار، المرجع السابق، ص267.

[4]-عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص272.

[5]-القاضي عياض، المصدر السابق، ج7، ص103.

[6]-ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص166،165.

[7]-عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص272، وعبد الله شريط، المرجع السابق، ص96.

صّالحة للإيمان، وإنه لو خرج العلماء عن افريقية لتشرق من بقي فيها من العامة الألف ولآلاف فرجحوا خير الشّرينْ[1].

وسُئل الدّاودي عن خُطباء بني عبيد وثنّائهم عليهم في الخطبة يوم الجمعة، فقال:" خطِيبهم الذّي يخطب لهم يدعو يوم الجمعة كافر، يقتل ولا يستّتاب، وتحرم عليه زوجته، ولا يرث، ولا يورث ماله في المسلمين، وتعتق أمهات أولاده، ويكون مُدبِوره للمسلمين يعتق أثلاثهم بموته، لأنه لم يبق له مال ،ويعتقون بالأداء ويرجعون بالعجز، وأحكامه كلها أحكام الكفر، فإن تاب قبل أن اظهر الندم، ولم يكن أخذ دعوة القوم قبلت توبته، ومن صلى وراءه خوفا أعاد ظهراً أربعاً، ثم لا يقيم إذا أمكنّه الخرّوج، ولا عذّر له بكثرة عيال، ولا غيره[2]، أنه وقف ضد الشيعة الفاطميين وكّفر كل من يدعوا لهم على المنّابر[3]. وظّل مع الكثيّر من الفُقهاء الذّين عّاشوا مضّايقات عديدة من قِبل الشّيعة في تلك الفترّة من حُكم بني العبيد، مَكرساً حياته في البحث عن المعرفة ومختّلف العلوم الدينّية، ومُخاطِراً بحياته من أجل إعلاء كلمة الحق.

والحِفاظ على الدّين الإسلامي الصّحيح الذّي عرفه سكان المغرب الأوسط منذّ سنيين، وفاءاً والتزاماً بالفتوّى التيّ أصدرها، ثم انتقل الدّاودي من افريقية التيّ أعتبّرها دّار كُفر يحرِم الإقامة بها، الى مدينة تلمسان لأنّه يعتّبرها دار إسلام مادام العبيديون لم يفرضوا عليها تعّاليمها الإسماعيلية، وإن كانت تبعية شكلية لهم، هذّا سيكون لنا بمثّابة دليل آخر يزيد في تعضيد ما ذهبنا إليه من كون المغرب الأوسط لم يفرض العبيديون عليه مذّهبهم مادامت جزء منه شّأن سائر مناطقه[4].

2-أبو بكر يحي الوهراني (430هـ/1039م):المحدثُّ الكبير أبو بكر بن يحي بن عبد الله بن محمد بن يحي القريشي الجمحي الوهرني،كان محدثاً جليلاً متصرفاً في العلوم قويٌ الحفظ حسن الفهم، وكانت عنّايته بالحديث أكثر من غيره، ورّوى عن أبي عبد الله بن إبراهيم الأصيلي وأبي عمر

---

(1)-القاضي عياض، المصدر السابق، ج7، ص103.

(2)-عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق،ج2، ص273.

(3)-يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1،ط1،دار الغرب الإسلامين1995، ص30،و رابح بونار، المرجع السابق، ص259.

(4) -سبع قادة،المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران،2003-2004م، ص123.

الأشبيلي وعباس بن أصبع وأبن العطار وأبي نصر النّحوي وغيرهم[1] ،وعنه تخرج أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني، وأبو محمد بن خزرج، وهو القائل في شيخه الوهراني: "كان شيخنا هذا منصرفاً في العلوم قوي الحفظ حسن الفهم، وكان علم الحديث أغلب عليه[2].

3-أحمد بن خلفوف المسيلي(ت313هـ)[3]: يكنى أبا جعفر، ويعرف بالخياط، كان فقيهاً عالماً بالمسائل حافظاً لمذّهب مالك،حسن التكلم في الفقه، كان ورعاً زاهداً فاضلاً،سكن الثغر أعواماً كثيرة مجاهدا ،واشتّهر في الشعر وعلاَ ذِكره بين النّاس، وقدم قرطبة حتى توفي بها ،ودفن بمقبرة الربطي، وهذّه الفئّة من الفقهاء تصّدت بكل قوّة في وجه الفكر البّاطني الشّيعي الذي حاول الفاطميين نشره بشتىّ الأساليب والطرق، حتى يتسنىّ لهم التحكم في عقول الناس، لخدمّة مصالحهم ومطامعهم الشّخصية.

ثالثاً: نماذج لبعض علماء العهد الحمادي:

1-أبوالقاسم يوسف البسكري(403-465هـ/1012-1072م)[4]:

هو العلامة الإمام الرحالة المقرئ الشيخ أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة محمد بن عقيل الهذلي المغربي البسكري، ولد سنة ثلاث وأربعمائة للهجرة ببسكرة[5]ودرس بها مبادئ العلوم والمعارف ثم شد عصا الترحال غرباً ومشرقاً لطلب العلم والمعرفة والتّفقه في علوم الدين حتى وصل بغداد[6]واصفهان[7]ونيسابور[8]،واهتم بدراسة علوم اللغة والآداب العربية ،وخصوصاً علم القراءات

---

[1]-رابح بونار، المرجع السابق، ص268.

[2]-عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص192.وعبد الله شريط، المرجع السابق، ص95.

[3]-أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، المعروف ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ العلماء_والرواة للعلم بالأندلس ج1، تحقيق عزت العطار الحسيني، القاهرة ، 1373هـ/1954م، ص 77.

[4]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2،ص303.

[5]-بسكرة: بلدة بالمغرب من نواحي الزاب، مدينة كبيرة وحواليها حصون وقرى عامرة، هي دار علم وفقه ،ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج1، ص422، والبكري، المصدر السابق، ص52.

[6]-بغداد: مدينة السلام، ينظر: الحموي، المصدر نفسه، ص456، وابن حوقل، المصدر السابق، ص217.

[7]-أصفهان: هي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، ينظر:الحموي،المصدرنفسه،ج1، ص206.

[8]-بيسابور: مدينة ذات فضائل ومعدن الفضلاء ومنبع العلماء،ينظر: المصدر نفسه،ج5، ص331.

حتى صار أكبر عالم فيها[1]،ومن أثاره الكامل في القراءات الخمس[2]،ضمنه خمسين قراءة في ألفين ومائتين وتسعين، ومما ذكره بصدد تأليف هذا الكتاب قوله:" خرجت من بسكرة وهي وسط المغرب ،حتى وصلت الى أوش بنواحي فرغانة[3] وهي وسط المشرق ،مع ما زرت ودخلت من البلدان، يميناً وشمالاً، وسهلاً وجبلاً ولم أستكنف أن أقرأ على احد صغير، ذكراً أو أنثى، أقتبس منهم ثلاثاً وأربعين سنة في السفر مع الجوع والفقر ،ليلاً، ونهاراً، وأقل ما قرأت في بلد على خمسة أو على ستة ،بل على عشرين او أكثر مع جمعهم لي في كل ختمة روايات ،وطرقاً حتى جمعت هذا الكتاب[4]،فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستين شيخاً من آخر المغرب إلى باب فرغانة [5].

ولما فقد بصره في آخر عمره فأملاه من حفظه وقال: " لو علمت أحد تقدم على هذه الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته،إلى أن قال:" ألفت هذا الكتاب فجعلته جامعاً للطرق المتلوة والقراءات المعروفة ونسخت به مصنفاتي كالوجيز والهادي، وعند أطلع بن الجوزي على هذا الكلام وقراه ،قال:" كذا ترى همم السادات في الطلب[6]، وقال عنه كذلك:" فلا أعلم أحد في هذه الأمة رحل في طلب علم القراءات رحلته، ولاقى من لقي من الشيوخ "[7]،كان مقدماً في علوم اللغة وعلل القراءات وله ترجيحات واختيارات وآراء خاصة،[8]، ذّاع ذكر الشيخ على الأفواه وقرع صِّيته الأسمَّاع فاستّدعاه الوزير الالمعي نظام الملك السلجوقي سنة 458هـ/1066م إلى الاقراء بمدرسة نيسابور ورسمه استاذاً فيها، فمكث فيها الشيخ ناشراً علمه بها إلى وفاته[9].

---

(1)- عبد الله شريط، ومحمد المبارك الميلي، المرجع السابق، ص96.

(2)-اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفيين)،ج2،طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها ،لبهية،أستنبول،1955،دار إحياء التراث العربي، ص551.

(3)-فرغانة: قرية من قرى فارس، ينظر: الحموي ،المصدر السابق، ج4، ص253.

(4)-يحي بوعزيز ،أعلام...، المرجع السابق، ص31.

(5)- عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق،ج2، ص304.

(6)- عبد الرحمن الجيلالي،المرجع السابق،ج2، ص304.

(7)- يحي بوعزيز، **أعلام**...،المرجع السابق ،ص31.

(8)-عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ص303.

(9)-يحي بوعزيز ،المرجع السابق، ص31.

2-أبو عبد الملك البوني مروان بن علي (ت440هـ/1048م) [1]:سكن مدينة قرطبة[2]، أندلسي الأصل ،نسبته إلى بونة[3] وبها نشأ، وروى فيها عن الأصلي والقاضي أبي المطرف وغيرهما، ثم ارتحل إلى المشرق فأخذ عن أبي الحسن القابسي بالقيروان وروى عنه أبو عمر بن الحذاء ببونة سنة 405هـ، وأخذ أيضا عن عبد الرحمن بن فطيس، وأحمد بن نصر الداودي، ثم عاد إلى عنابة، وأسس رباطاً بها، وهو المعروف برباط مروان البوني، وعكف على التدريس، وكان رجلا حافظاً فذاً في الفقه والحديث، وكان رجلا صالحاً زاهداً أخذ عليه ابنه علي بن مروان البوني، وحاتم الطرابلسي ،وابن الحذاء وذو النون بن خلف[4].

وله تفسير موطأ للإمام مالك[5]، ويذكر كذلك أنه من مشاهير الفلسفة والعلوم الدينية[6]،وبعد هذه الرحلات العملية واتصاله بأكابر العلماء والمشرق والأندلس،اتجه الى خدمة العلم بالتدريس والتأليف، وكان معول الناسيومئذ في دراسة الموطأ[7]،أخذ بتونس عن علمائها ثم عاد الى بونة، وأقرأ بها الى أن توفي حوالي سنة 440هـ.

3-محمد بن علي بن جعفر بن احمد بن محمد القيسي،ابن الرمامة(تـ567هـ/-1171م)[8]:

ولد بقلعة بني حماد في رجب 478هـ،الموافق لـ 1085م، وروى عن أبي الفضل النحوي بالقلعة ،وتفقه عليه وعلى أبي محمد المقري ببجاية، وأبي إسحاق إبراهيم بن حماد، وعلى خاله أبي الحسن علي بن ظاهر بن محشوة بمدينة الجزائر ، وارتحل إلى الأندلس تاجراً، وطالباً للعلم ،فأخذ بقرطبة عن أبي الوليد بن رشد وغيره ،ثم انتقل إلى المغرب، ونزل فاس ،وتولى بها خطة القضاء سنة

---

(1)-رابح بونار ،المرجع السابق،ص267،ورشيد بوريبة، وآخرون،المرجع السابق، ص260.

(2)-قرطبة: مدينة بالأندلس،ينظر : ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص324.

(3)-**بونة:**مدينة بإفريقية بين الجرز وجيرة بني مزغنة وهي مدينة حصينة على البحر،ينظر :الحموي،المصدر السابق،ج2،ص512، والبكري،المصدر السابق، ص54، والأدريسي،المصدر السابق، ص116.

(4)-أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة،الضبي(599 هـ/1203م)،بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ،ج2، 1401هـ/1989م، ص613،و الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس(تـ488هـ)،الدار المصرية للتأليف والترجمة،1966، ص342.

(5)-اسماعيل باشا البغدادي،المرجع السابق،ص327.ووعادل نويهض، المرجع السابق، ص52.

(6)-رشيد بورويبة، الدولة الحمادية ،تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية،المركز الوطني للدراسات التاريخية،الجزائر.1977،ص191.

(7)-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص259.

(8)-رشيد بورويبة، وآخرون ،المرجع السابق، ص262.و وعبد الله شريط، وآخرون،المرجع السابق، ص96

536هـ،الموافق لـ 1142م، وعكف على الدروس والنظر وأفاد الناس كثيراً، وكان يؤثر المذهب الشافعي على غيره، ومن تأليفه: تسهيل المطلب في تحصيل المذهب، كتاب التفصي عن فوائد التقصي ،كتاب التبيين في شرح التلقين لعبد الوهاب البغدادي، ومن طلبته: أبو ذر الخشني، وأبو الحسن بن المفضل، وأبو القاسم بن بقي وغيرهم[1]،وقام بتحقيق كتاب البسيط للغزالي، وجمع نكته ومباحثه[2]،وبذل همته ووسعه في تحقيق كتاب البسيط للغزالي وتحرير نكته ومباحثه[3]،وكانت وفاته بمدينة فاس يوم الاثنين 11 رجب سنة 567هـ الموافق لـ 10 مارس 1172م[4].

4-أبو علي الحسن بن علي بن محمد المسيلي(580هـ/1185م)[5]:

الشيخ الفقيه الفاضل، والعالم العامل العابد، المحقق المتقن المحصل المجتهد،كان يسمى أبا حامد الصغير[6]،جمع بين العلم والعمل والورع، وبيني الظاهر والباطن،له المصنفات الحسنة والقص العجيبة المستحسنة،له " التذكرة في علم أصول الدين" ، وهو كتاب حسن طالعته، وكررت النظر فيه فرأيته من أجل الموضوعات في هذا الفن، وله النبراس في الرد على منكر القياس، وهو كتاب مليح على ما أخبرت عنه،ولم أره،وقد أخبرني بعض الطلبة المتمسكين بالظاهر، وهو أنبلهم أنه رأى هذا الكتاب وأنه ما رأى في الكتب الموضوعة في هذا الشأن مثله،فأنشدته:

[7] ومليحة شهدت لها أعداؤها والحسن ما شهدت له الأعداء

فأعجبه ذلك وله كتاب في علم التذكير سماه كتاب:"التفكير فيما يشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات"وهو جليل سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب الأحياء[8]، فيه أحسن من كلام أبي حامد وأسلم،ودل كلامه فيه على إحاطته بعلم المعقول والمنقول، وعلم الظاهر،والباطن، ومن تأمل

---

(1)-رابح بونار ،المرجع السابق، ص272.و رشيد بورويبة، وآخرون ،المرجع نفسه، ص262، وعبد الله شريط، المرجع السابق، ص96

(2)- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص33.و عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص305.

(3)-عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع نفسه،ص305..

(4)- نفسه، ص305.

(5)-أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج،ج2 ،المصدر السابق،ص155،رابح بونار، المرجع السابق، ص267.

(6)-عبد الحميد صالح حمدان،علماء التجديد في الاسلام حتى القرن الحادي عشر للهجرة،ط1،الدار المصرية واللبنانية ،.طباعةو نشر وتوزيع ،1409هـ/1989م، ص45.

(7)-ابوالعباس الغبريني، المصدر السابق،،ص66.

(8)-عادل نويهض، المرجع السابق، ص299.

كلامه إدراك ذلك بالعلم اليقين، ولم يفتقر فيه إلى تبين، وهو كثير الوجود بين أيدي الناس، وكثرة وجود الكتاب دليل على اعتناء الناس به وإيثارهم له[1].

ويضيف لنا صاحب عنوان الدراية مرة أخرى قائلا:"ولقد رأيت على نسخة من نسخه ما، نصه:"أعلم وفّقك الله إن هذا الكتاب حسن معناه،مخترع في الترتيب ومبناه، قلّ فيه ما ينتقد، وكثر ما يعتقد، وعليه يعتمد، سلك مؤلفه فيه مسالك المهتدين، وترك مهالك الضالين المعتدين،فهو فيه صراط مستقيم، ومقصد قويم،طرزه بمعاني الكتاب العزيز،فجاء كالذهب الإبريز[2]،وسلم فيه من غلو الغاليين، وتحريف المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ويحدثنا عنه التنبكتي :على أنه تأخر عن القضاء وبقى على دراسة العلم والاشتغال واحتاج إليه الناس في أمر دينهم فمالوا إليه وعولوا في أمرهم إليه، وكان يقول إذا أشير إليه بالتفرد في العلو والتوحد في الفهم،أدركت بجاية سبعين مفتياً ما منهم من يعرف الحسن بن علي المسيلي[3]، ولي القضاء بجاية ودخل عليه الموارقة، وهو قاض وألجئوه إلى بيعتهم واكرهوه هو غير عليها ، وكانوا يتلثمون ولا يبدون وجوههم فأمتنع من البيعة، وقال: لا نبايع من لا نعرف هل هو رجل أو امرأة،فكتشف له الميورقي عن وجهه، وهذا هو منتهى ما بلغ توقفه وهو أمر كبير عند مطالبته بالبيعة لو لا علو منصب الفقيه أبي علي[4]، والمراد بالموارقة بنو غاينة المرابطون ،احتلوا جزيرة ميورقة هجموا على بجاية سنة581هـ/ 1185م واحتلوها والناس في صلاة الجمعة[5]، فقدمرض في زمن ولايته القضاء فاستناب حفيده على الأحكام، وكان له نبل فتحاكمت عنده يوماً امرأتان إحداهما على الأخرى أنها أعارتها حلياً وأنها لم تعده إليها ,أنكرت الأخرى، فشددّ على المنكرة وأوهمها حتى اعترفتوأعادت الحلي، وكان من سيرة هذا الحفيد أنه إذا انفصل عن مجلس الحكم يدخل لجده الفقيه أبي علي، ويعرض عليه ما يلقي من المسائل،فدخل عليه فرحاً وعرض عليه المسألة،فاشتد نكير الفقيه، وجعل يعتب على نفسه تقديمه، وقال له: إنما قال النبي- صلى الله عليه وسلم -البينة على المدعي، واليمين على من أنكر[6]،كان بها تسعون مفتياً في أواخر القرنين 6هـ/ و12م،كما

---

[1]- ابوالعباس الغبريني، المصدر السابق،ص66، 67.

[2]-نفسه ص66.

[3]- التنبكتي،نيل الإبتهاج،ج2، المصدر السابق، ص156.

[4]- الغبريني، المصدر نفسه،ص67.

[5]- رشيد بورويبة وآخرون ، المرجع السابق، ص261،260.

[6]- التنبكتي، نيل الإبتهاج،ج2، المصدر السابق،ص157.

كان بها أطباء ورياضيون ومقرئون[1]،واستدعى شاهدين واشهد بتأخيره، وهذا من ورعه ووقوفه مع ظاهر الشرع، وعلى هذا يجب أن يكون العمل، وهو مذهب مالك، وظاهر مذهب الشافعي تجويز مثل هذا فغنه يرى أن القصد إنما هو الوصول الى حقيقة الأمر بأي شئ وصل غليه حصل المقصد، ولأجل هذا يجيزون قضاء الحكام بعلمهم والحق خلافة لحديث " فغنما أقضي له على نحو ما اسمع[2].

مؤلفاته: التفكير فيما يشمل عليه السور، والآيات من المبادئ، والغايات، التذكرة في علم أ صول الدين–النبراس على منكري القياس[3].انّ المراجع التي تصفحنها تؤكد لنا بان بجاية وحواضرها كانت وظلت لفترة طويلة من الزمن قبلة للعلم والعلماء يأتون إليها من كل مكان لا لشيء إلا للاستزادة من مختلف العلوم التي كانت موجودة ومتداولة بين طلابها، وفقهاءها.

5-أحمد بن علي بن يوسف تقي الدين أبو العباس البوني(622هـ/1225م)[4]:

صوفي من أشهر المصنفين العرب في العلوم الخفية، وكان إماماً متصوفاً فلكياً رياضياً ألف تصانيف عديدة في أسرار الحروف والأسماء وغير ذلك، رحل الى المشرق واستقر بالقاهرة الى أن توفي، تدل تصانيفه على خصوبة في الإنتاج ونضج في التفكير وتبحر في الدراية،وكان أسلوبه متحلياً بالاستقامة والورع والصلاح وخشية الله تعالى[5]،وقد انتشر صيته في مشارق الأرض ومغاربها وكان مديناً بشهرته لفضله وسعة علمه، وكان معنيا في إنتاجه الخصب بالإحاطة والشمول في عرض المسائل وتفسيرها والاستقصاء في توضيحها وذكر الدقائق والتفاصيل، وكان معنيا أيضا بتجويد الصياغة والتأنق في العبارة،وكثيرا ما كان يستخدم السجع بخط وافر من البراعة والتوفيق ولم يأل جهدا في اسداء النصائح لقارئ كتابه شمس المعارف حتى لا تكن قراءته مدعاة لمعصية الله[6]،ومن تصانيفه:أسرار الحروف ومصابيح أنوار الظروف، شرح المعارف الكبرى، إظهار الرموز وإبداء الكنوز ،اللمعة النورانية،لطائف

---

[1]– عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2،ص320.

[2]– نفسه،ص157.

[3]–حساني مختار،الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية،ج1،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع– عين مليلة– الجزائر،2011، ص120.

[4]–إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين ،ج1،ص90،عبد المنعم القاسمي،المرجع السابق، ص85.

[5]– رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق،ص264،265.

[6]–نفسه، ص264.

الإشارات في أسرار الحروف العُلويات[1]،وإظهار الرموز وإبداء الكنوز"و"بحر الوقوف في علم الأوقاف والحروف"وتحفة الأحباب ومنية الكلمات الموضوعة في الرقوم"و"موضح الطريق،وهو شرح لأسماء الله الحسنى،وهو شرح كبير ابن برجان أوله: الحمد الله الذي رسم دقائق الحقائق في لطائف صحف الأسرار" وسوابغ النعم وسوابق الكرم" مرتب على عشرة فصول.

أوله:" الحمد الله الكبير المتعال،ذكر في أوله خمسة فصول في قواعد التحقيق و"شرف الشكليات وأسرار الحروف الورديات، وقال كذلك:الحمد الله الذي أدار بيد الأسرار لطائف أفلاك المكوتيات"و" شمس المعارف ولطائف العوارف"،وقد طبع بمصر سنة1291هـ و1318هـ،وبالهند سنة 1287هـ و1298هـ وله طبعات أخرى[2]،و" شمس الواصلين وأنس السائرين في سر السير على براق الفكر والطير" و" علم الهدى وأسرار الاهتداء" في فهم معنى سلوك أسماء الله الحسنى، ذكر فيه أن بعض أصدقائه،سأله عن الاسم الأعظم فكتبه، أوله: أحمد الله على حسن توفيقه الخ،وفتح الكريم الوهاب في فضائل البسملة مع جملة من الأبواب" طبع بمصر على الحجر دون تاريخ،و" قبس الاقتداء إلى وفق السعادة، ونجم الاهتداء الى شرف السيادة "و" قوت الأرواح ومفتاح الأفراح" و" كتاب الحروف والعدد وخواصهما" و" فاه باللسان ورسمه بالبنان على ألواح البيان في عالم العيان"و"لطائف الإشارات في أسرار الحروف العلويات"[3]،وغيرها من الكتب النفيسة.

و يذكر صاحب جامع كرامات الأولياء:أنه من كبار المشايخ ذوي الأنوار والأسرار،فمن كراماته أنه كان مجاب الدعوة[4] ومن فوائده أنه قال: رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فسألته عن أسماء الخلوة فقال: هي سبعة يا الله،ياحيّ،ياقيوم، يا ذا الجلال والإكرام،يا نهاية النهايات،يا نور الأنوار ،ياروح الأرواح،وقال:إذا أكثر عليك في الخلوة خاطر الشهوة فتوضأ وأذكر يا هادي ذكراً قويا، وقال: لكثرة الأفكار أذكر بعد الوضوء يالطيف،وقال: لشهوة الطعام ،أذكر بعد الوضوء يا قوي، وقال: لضيق العيش اذكر بعد الوضوء يا فتاح، ولكثرة الخواطر النفسانية والخيالات الشيطانية يا ذا

---

(1)-عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)،مؤسسة الرسالة،1376هـ/1957م، ص213.

(2)-عادل نويهض،المرجع السابق، ص48.

(3)-نفسه، ص48.

(4)-يوسف بن إسماعيل النبهاني(1350-1265هـ)، جامع كرامات الأولياء،ط1،تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض،ج1، مركز أهل سنت بركات رضا،1322هـ/2001م،ص508.

القوة، وقال: إذا فاجأك أمر وجاءك منه قلق فاّكر يا باسط، وقال: إذا توجهت بشيء من أمور الدارين أذكر ياقوي يا عزيز يا عليم يا قدير ياسميع يا بصير،توفي سنة622هـ[1].

6-أبوعمار عبد الكافي (ت570هـ/1174م)[2]:

هو بن أبي يعقوب التناوتي من تناوت وهي قرية من قرى وارجلان في سدراته العاصمة الإباضية بعد تاهرت،كان أكثر مؤلفي الإباضية علماً،ولا يعلم شيء ذو بال عن نشأته،وغاية ما يعلم عنه أنه نشأ في ورجلان في القرن السادس الهجري،الموافق للثاني عشر الميلادي،وكانت ورجلان في ذلك العصر مزدهرة في ميدان المعارف الدينية،وغير الدينية[3]،خدم العلم دهراً حتى وعاه،وأوعى منه الأوعية،ثم أخذ يفتي به ويُعلمه،فسالت منه الأودية في تصنيف كتاب أو تهذيب جواب أو تدريب متكلم او إفادة متعلم[4] ،أخذ العلم في تلك المدينة عن أستاذه الكبير المتكلم الإباضي أبي يعقوب يوسف الورجلاني ،وبعدما روى من معارف شيخه أبي يعقوب ارتحل الى تونس ودرس هناك عن أساتذة كثيرين ،وكانت تونس عهد المرابطين في غاية النشاط العلمي والثقافي،اخذ علوم اللسان العربي وآدابه والعلوم الإسلامية المختلفة،وكانت أسرة أبا عمار ذات ثراء وغنى[5].

ويذكر الدرجيني:" أن سبب سفره الى تونس التي اقام بها أعواما للدراسة يعود الى أمرين: الأول: ابتعاده عم شواغل الأهل،والثاني: أنه أراد اصلاح لسانه وتقوية ملكه في اللسان العربي بالابتعاد عن اللسان البربري الذي كان يتحدث به أهل بلده في أورجلان،والواقع ان كتابه الموجز يشهد له بقوة الأسلوب وجزالته وصفاء عربيته ومكانة ألفاظها ودقة دلالتها على معانيها "[6]، يعتبر من الذين أحيوا المذهب الإباضي تأليفاً وتعليماً وهو من اعظم مؤلفي الإباضية مقدرة على الجدل والنظر وأكثرهم عمقاً في التفكير وتنظيماً للمذهب في نسق عقلي دقيق متماسك،وهو لا يقل عن متكلمي المعتزلة والاشاعرة والشيعة مقدرة على التأليف واحاطة بالمذهب ودفاعاً عنه ونصرة له، ينسب إليه أنه ألف كتاب الاستطاعة[7].

---

(1)-نفسه،ص508.

(2)- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص306.

(3)-رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص263.

(4)- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص306.

(5)-رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص263.

(6)- الدرجيني،المصدر السابق، ص306.

(7)-الشماخي،المصدر السابق، ص441.

وقد أشار في آخر الموجز الى أن الاستطاعة تستحق أن يفرد لها كتاب وأغلب الظن ان كتاب الاستطاعة مفقود[1] ،ويذكر له الشماخي كتاب الجهالات الذي يوجد نسخة منه مخطوط في دار الكتب المصرية خطها ردئ جدا وبها شطب و لاتكاد تقرأ وهذا الكتاب عبارة عن أسئلة واجوبة في العقائد وغيرها على طريقة المذهب الإباضي[2]، وينسب الى أبي عمار أيضا ثبت بأسماء شيوخ الإباضية وتراجمهم ويعتبره صاحب كتاب الإباضية في موكب التاريخ من مؤرخي الإباضية،ومن أهم مؤلفاته،كتاب الموجز في علم الكلام،نسبه اليه الشماخي حيث وصف أبا عمار بأنه آية في علم الكلام،وبأنه ألف فيه: الموجز في الرد على من خالف الحق في جزءين[3]،كما نسبه اليه الدرجيني في طبقاته فقال: وهو الذي أزرى بموجزه على الماضين واتعب الحاضرين ولآتين[4]، فغنه رتّب مقدماته أرتب تقديم،وقوم فصوله أحسن تقويم،وقسم الفرق ابين تقسيم بألفاظ عذبة وقصد مستقيم،وله تصانيف يشفى بريها هُيام النفوس الهِيم،وأما الورع والسخاء فهما أقلُّ أوصاف خلاله[5].

7- أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي،الأشبيلي البجائي(تـ582هـ):

الإمام الشيخ الفقيه الجليل، المحدث الحافظ المتقن، العابد الزاهد[6]،كان عارفاً بالرجال، موصوفاً بالخير والصلاح، نزل بجاية عند الفتنة الواقعة بالأندلس ،وعند انقراض الدولة اللمتونية، فنشر بها علمه، وصنف، وولى الخطبة، والصلاة بجامعها[7]،جلس للوثيقة والشهادة، ومن هنا يمكن القول أن الجزائر صلة وصل بين الأندلس، والمشرق، كان الأندلسيون في رحلاتهم إلى المشرق للحج، أو لطلب العلم يمرون ويمكثون بها ردحاً من الزمان يفيدون ويستفيدون ،وربما استقروا بها نهائياً، وهناك من عاقته الأقدار عن أداء فريضة الحج مثل الإمام.

أرست سفينة ببجاية ولم تقتلع،فأستوطن هذه المدينة،وتفرغ لنشر العلم وتأليف الكتب التي اشتهرت ووقع النقل منها،ومنها الأحكام الكبرى والصغرى،وكتاب العاقبة في علم التذكير وكتاب التجهد،

---

(1)-الشماخي، المصدر السابق، ص441.
(2)-نفسه، ص441.
(3)-نفسه، ص441.
(4)-الدرجيني، المصدر السابق، ص306.
(5)-رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص264.
(6)- الغبريني،المصدر السابق، ص41
(7)-ابن فرحون الملكي، المصدر السابق، ص59.

وكتاب في اللغة أسماه الحاوي في ثمانية عشر جزءاً،فقضى أيامه تقياً نقياً محبوباً من الجميع[1]،واتصل به أولو الأمر لتأثيره على الرأي العام،كان مالكي المذهب،يعتبر دعوة المهدي بن تومرت وتعاليمه بدعة في الدين،ولقد سعى الموحدون في اكتساب رضاه،فعرضوا عليه خطتي القضاء، والمخاطبة ببجاية،فرفض ان يتعاون مع تابعي المهدي،ولم يجرأ الخليفة الموحدي على معاملته بالشدة كما كان يتمتع به من نفوذ في أوساط العلم[2].

رابعاً:نماذج لبعض علماء العهد المرابطي.

1-أبو محمد الأشيري عبد الله بن محمد (ت561هـ/1165م):

من مدينة اشير التي تنتسب الى زيري بن مناد ومن أعمال بجاية، وكان هذا يخدم في بعض الأمور دولة عبد المؤمن بن علي بعد سقوط دولة بني حماد، وحصلت له وحشة معهم بالأندلس فانصرف عنهم وحمل كتبه وأهله،وقصد إلى الشام، ونزل باللاذقية و بها الأفرنج،فسلمه الله منهم،ثم ارتحل إلى حلب،ففاق جميع علمائها، ونزل على محمود الغزنوي المدرس بمدرسة الحلاويين، وأقام عنده مدة، وسمع منه الفوائد المغربية، وروى لهم عن ابن العربي ،والقاضي عياض، وأمثالهم،وأقام بها إلى سنة559هـ [3].

استدعاه الوزير أبو المظفر عون الدين يحي بن هبيرة ووزيره المقتفي والمستنجد الى بغداد وطلبه من الملك العادل نور الدين محمود زنكي لإقراء الحديث وتدريس علومه بدار السلام-بغداد-فسيره الملك إليه محفوظاً بالإجلال والإكرام:فاقرأ هناك الحديث بكتاب: الإفصاح عن شرح معاني الصحاح بمحضر الوزير مؤلف الكتاب نفسه، وهو شرح يحتوي على تسعة عشر كتابا شرح به الوزير أحاديث الصحيحين[4]ثم خرج منها للحج سنة560هـ،وزار قبر الرسول-صلى الله عليه وسلم- ومعه أهله، وأصابته هناك ضائقة فترك أهله بها وألتحق بنور الدين بظاهر حمص.

واستعاب به فوعده خيراً، ثم عاد الى الشام فمات ببقاع بعلبك في رمضان سنة561هـ /1165م، فاستقدم نور الدين أهله واعتنى بهم[5]، ويذكر عبد الرحمن الجيلالي بقوله،كان إمام أهل عصره في

---

(1)-محمد الطمار، الروابط ....،المرجع السابق، ص168،169.

(2)-نفسه، ص169.

(3)-رابح بونار،المرجع السابق، ص272.

(4)- عبد الرحمن الجيلالي،المرجع السابق، ص304.

(5)- رابح بونار،المرجع السابق، ص272.

الفقه والحديث الأدب،تسابق الناس عليه لأخذ عنه والتشرف بالانتساب إليه،ويتفاخر الوزراء والملوك بمجالسته والاسترشاد بعلمه وآرائه[1]، ومن أشهر كتب عبد الله الأشيري كتاب: تهذيب الاشقاق لأبي العباس المبرد[2].

2-أبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني(تـ625هـ): فقيه مقرئ محدث متكلم من اهل تلمسان،أخذ بها عن أبي علي الجزار،وأبي الحسني بن أبي قنون وغيرهما وعن كثير من العلماء بفاس ومراكش وسبتة وإشبيلية،كان جمّاعة للكتب، وجيهاً عند الأمراء،معظماً عند الخاصة والعامة، وولي قضاء تلمسان مرتين،وأخذ عنه كثير من رجال العلم،وألف المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار في الحديث، وكتاباً في غريب الموطأ،والاقناع في كيفية الاسماع، ونظم العقود ورقم الحلل والبرود وغيرذلك[3].

لم تقدم المصادر التاريخية وحتى الكتابات الحديثة التي اهتمت بالفترة المرابطية تراجم لعلماء ذّاع صيتهم بالمغرب الأوسط وخارجه، إلا إشارات عند رشيد بورويبة وآخرون، وعبد الله شريط ومحمد الميلي، وعبد الرحمن الجيلالي وغيرهم، وحتى الدراسات الجامعية كلها تركز على المغرب الإسلامي، دون المغرب الأوسط، يرجع المؤرخون ذلك بسبب الصرّاع الذي دار بين الدولة المرابطية المتعصبة لمذب مالك، وبين العبيدين المتعصبين للمذهب الشيعي الباطني من جهة والموحدين على المذهب الظاهري من جهة أخرى جعل مسألة التأريخ لهذه المرحلة من الجانب الحضاري تعد صعبة نوعاً ما، وبسبب الاستقرار الذي شهدته بلاد المغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط بسبب تحرك القبائل البربرية والعربية، والصراع المذهبي والعقدي الذي دام لسنوات طوال، ليس إلا لفرض السيطرة.

خامساً: نماذج لبعض علماء العهد الموحدي:

1-محمد بن إبراهيم الاصولي (تـ612هـ/1216م):

المهري البجائي،أبو عبد الله،فقيه من القضاة،برز في علم الكلام واصول الفقه في هذا الميدان،من أهل بجاية،وأصله من بني مرزقان بأشبيلية[4]،ثم رحل إلى المشرق لطلب العلم، فأخذ عن كثير من

---

(1)- عبد الرحمن الجيلالي،المرجع السابق، ص304.

(2)- رابح بونار،المرجع السابق، ص272.

(3)-رشيد بورويبة وآخرون،المرجع السابق، ص343.

(4)-عادل نويهض،المرجع السابق، ص18.

العلماء والمحدثين،ولم يسمع إلا يسيراً بمصر وعاد ولم يحج ولي قضاء بجاية ثلاث مرات ،صرف عن أخراها سنة 608هـ/1211م،ودخل الأندلس وولي قضاء مرسيه، واستخلف بمراكش على القضاء ،ولما أمتحن ابن رشد سنة 593هـ محنته المشهورة من أجل نظره في علوم الأوائل امتحن معه المهري، ونفي مثله من قرطبة إلى بعض الجهات، ثم عفي عنه، وقد تحث الناس بصبره في ذلك المقام وتجلده وثبوت جأشه ،وكف بصره في أواخر حياته(1).

يذكر التنبكتي، على أنه: كان عالماً بالفقه والأصلين والخلاف والجدل شديداً على الولاة، جرى بينه وبين والي بجاية كلام فيه غلطة فقال له الوالي: والله لقد أصاب فيكم أمير المؤمنين المنصور فقال: إن أصاب المنصور فأخطأ أمير المؤمنين الناصر فافحمه فرجع الوالي واسترضاه(2)،وقال فيه الغبريني: أن كانت فيه دعابة وفكاهة لا تخل برتبته ولا تحط من منصبه ،ولقد سمعت لأنه وقعت بينه وبين بعض أصحابه من الطلبة مشاحنة، فقال له صاحبه: تعاملني بهذا وأنا أسنّ منك وأسنى وأجل؟ فقال له: نعم أسنُّ بموسى وأسنى بسانية وأجل في مربطك، فتضاحكا واصطلحا(3)، وكان مؤثراً لأهل الطلب، قابلاً على أهل الأدب، وينتابه من يتكرم عليه ممن له رتبة عند خلو مجلسه من الطلبة، فيجلس بإزائه، فاذا جاء طالب أفسح له بينه وبينه، ثم كلما اتى طالب فعل ذلك، حتى يعود الأحظى عنده، القريب المجلس عنده، أبعد الناس مجلساً منه، فكان لا يرى الحضرة إلا للعلم(4)،اعتنى بإصلاح " المستصفى " لأبي حامد الغزالي،وإزالة ما كان فيه من تصحيف،وله عليه تقييد مفيد،توفي ذبيحاً ببجاية أواخر سنة اثنى عشر وستمائة.

2-أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي(تـ633هـ/1235م)(5):

الشيخ الفقيه، المحدث المتفنن النحوي اللغوي، الظاهري المذهب، الأندلسي، كان من كبار المحدثين، ومن الحفاظ الثُقات الأثبات المحصلين، استوطن بجاية ،وروى بها، وأسمع، وكان من

---

(1)-نفسه، ص18، 19.

(2)-التنبكتي،المصدر السابق،ج2، ص378.

(3)- الغبريني، المصدر السابق،ص184 ،الحفناوي،المرجع السابق،ج2، ص329.

(4)- السملالي،المرجع السابق،ج4، ص169.

(5)-شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي،ابن العماد(1089-1032هـ)،شذرات الذهب في أخبار من ذهب،ج7، أشرق على تقيقه واخراجه: عبد القادر الأرناؤوط، وحققه وعلق عليه: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن الكثير،1412هـ/1991م،بيروت، ص280

أحفظ أهل زمانه باللغة، حتى صار حُوشيُّ اللغة عنده مستعملاً غالباً، ولا يحفظ الإنسان من اللغة حُشيِها وذلك أضعاف محفوظة من مستعملها[1].

أشتهر دون غيره من الناس كما فعل كثير من الأدباء حيث تركوا طريق المغرب وانفردوا بالطريق الاخر لأنهم انفردوا به، واشتهروا فيه، ولو سلكوا طريق المغرب لكانوا فيه كآحاد الناس"[2]،روى عن أبي عبد الله بن زرقون،وابن بشكوال وغيره من[3]،وأخذ عنهالكثير[4]عُني بالحديث أتمَّ عناية،وجال في مدن الاندلس ومدن العدْوة،وحج في الكهولة، فسمع بمصر من البُوصيري، ،وبالعراق " مسند الإمام أحمد"،وباصبهان " معجم الطبراني" من الصيدلاني، وبنيسابور" صحيح مسلم "بعلوٍ بعد أن كان حدّث به بالغرب بالإسناد النازل للأندلسي،وكان يقول: أنه حفظه كُلَّهُ[5]،خلال رحلته هذه رفعوا شانه،وقربوا مكانه، وجمعوا له علماء الحديث وحضروا له مجلساً اقروا فيه بالتقدم،واعترفوا له انه من أولي الحفظ والغتقان والتفهم، ويذكر الغبريني كذلك بقوله: سمعت أنهم ذكروا احاديث بأسانيد حوّلوا متونها، وأنه أعاد المتون المحوّلة،وعرف عن تعبيرها ثم ذكر الأحاديث على ما هي عليه من متونها الأصلية[6]،كان شديد العناية بلقاء المشايخ والأخذ عنهم،متسع الرواية،جيد الحظ،محكم التقييد،ذاكراً تواريخ المحدثين وأخبارهم[7].

صنف كتباً كثيرة مفيدة جداً، منها كتاب" التنوير في مولد السراج المنير" صنفه عند قدومه إلى أربل سنة أربع وستمائة، وهو متوجه إلى خراسان لما رأى ملك إربل مظفر الدين كركبري معتنياً بعمل المولد النبوي الشريف في شهر ربيع الأول كل عام، مهتماً به غاية الاهتمام ،وكمله وقرأه عليه بنفسه، وختمه بقصيدة طويلة[8] ،فأجازه بألف دينار، وصنف ايضاً" العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور" و" الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله-صلى الله عليه وسلم- من

---

(1)- المقري،المصدر السابق، ج2، ص99.

(2)- الغبريني،المصدر السابق، ص228.

(3)- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق،السفر الثامن،ص216، 217.

(4)- نفسه، ص217، 218.

(5)- ابن العماد، المصدر السابق، ج7، ص280.

(6)- الغبريني،المصدر السابق،ص228، 229.

(7)- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق،،ص218.

(8)- الغبريني، المصدر السابق،ص229 وما بعدها، والمقري،المصدر السابق،ج2 ص100

المعجزات"،و كتاب " شرح أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم-" وكتاب" النبراس في أخبار بني العباس "و كتاب " الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفين[1].

3-محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر حافي رأسه(ت606هـ/1209م)[2]:

العلامة جمال الدين التلمساني الزناتي الكملاني المازوني،من أئمة العربية بالثغر وكان يحفظ الإيضاح لأبي علي الفارسي ويقرئ بداره وحدّث عن أبي رواج وقرأ عليه ابن المنير شيئاً من النحو،ولد بتلمسان ستة ست وستمائة، سمع من أبي القاسم الصفراوي وابن رواج وجماعة وتصدر للعربية زمانا أخذه عن تاج الدين الفاكهاني وطائفة وتخرج به خلق[3]،ثم انتقل إلى مصر واستقر بالإسكندرية فاخذ عن عبد العزيز بن مخلوف الاسكندري وغيره[4]،كان من أئمة عصره في العربية،إذ هو أحد النحاة الثلاث المحمّدين في عصره واحد هو في الإسكندرية،وابن النحاس في مصر،وابن مالك في دمشق[5]،في وفاته خلاف،قيل سنة680هـ، ،وقيل سنة691هـ، وقيل سنة 693هـ، ونجد هذا في الكثير من التراجم.

4-أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد الحمزي الوهراني(ت564هـ/1168م)[6]:

المعروف بابن قرقول من قرية حمزة من عمل بجاية، صاحب كتاب " مطالع الأنوار" الذي وضعه على مثال كتاب " مشارق الانوار " للقاضي عياض[7] ،كان من الأفاضل، وصحب جماعة من علماء الأندلس، ويذكر ابن خلكان: لم اقف على شيء من احواله سوى هذا القدر، وكانت ولادته بالمريّة من بلاد الأندلس، في صفر سنة خمس وخمسمائة، وتوفي بمدينة فاس يوم الجمعة أول وقت العصر سادس شوال سنة تسع وستين وخمسمائة، وكان قد صلى الجمعة في الجامع ،حضرته الوفاة

---

(1)- المقري،المصدر نفسه،ج2، ص104.

(2)-لقب بالحافي رأسه لأنه أقام مدة مكشوف الرأس،وقيل لحفرة كانت في رأسه،وقيل رآه رئيس في الثغر فأعطاه ثياباً لبدنه فقال هذا لبدني ورأسي حاف،ينظر:محمد بن شاكر الكتبي،ت 764هـ،فوات الوفيات ،تحقيق: إحسان عباس،دار صادر،بيروت،ج2، (د.ت)، ص257.

(3)-الصفدي، المصدر السابق،ج3، ص289.

(4)-عادل نويهض،المرجع السابق،ص119.

(5)-نفسه، ص119، عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية،فيما بين القرنين 3-14هـ/9-20م، ديوان المطبوعات الجامعة،الجزائر،1995م، ص210.

(6)- الذهبي،سير ....،المصدر السابق، ص717.

(7)- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص62.

تلا سورة الإخلاص، وجعل يكررها بسرعة، ثم تشهد ثلاث مرات ،وسقط على وجهه ساجداً فوقع ميتاً[1].

سمع من جدّه لأُمه أبي القاسم بن ورد، ومن أبي الحسن بن نافع، وروى عنهما، وعن أبي الحسن بن اللواز، وأبي العباس بن العريف الزاهد، وأبي عبد الله بن الحاج الشهيد، وحمل عن أبي إسحاق الخفاجي ديوانه، وكان رحالاً في العلم نقالاً فقيهاً، نظاراً أديباً نحوياً، عارفاً بالحديث ورجاله ،بديع الكتابة[2].

5-يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحي البلوي(تـ604هـ/1207م)[3] :

مثالاً رائعاً في برط العلاقات بين مختلف اقطار الدولة الموحدية، بل حتى مع المشرق حيث رحل إلى الحج عام 560هـ/1164م) فأخذ في طريقه ببجاية عن أبي عبد الحق الازدي الإشبيلي، وعزم عليه في تأليف كتاب الأحكام، وقد فاوضه في ذلك، ولما قفل من رحلته أقام معه في بجاية، وصحبه أشهراً ،وأخذ عنه أحكامه، وكان من أقعد الناس به وبأخباره، وأخذ بالمشرق من العديد من الفقهاء والعلماء[4].

سادساً: نماذج لبعض علماء العهد الزياني:

1-الشيخ محمد بن إبراهيم الآبلي التلمساني(681-757هـ/1282-1350م)[5]:

هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني، عرف بالآبلي، الإمام العلاّمة العمدة المحصل، الفقيه الفهامة، المتفنن الشيخ الفاضل القدوّة، ولد بمدينة تلمسان سنة (681هـ/1282م)،هاجر أبوه إبراهيم، وعمه أحمد من قربة آبله، ببلاد الجوف، شمال غرب مقاطعة مجريط (مدريد) بالأندلس إلى تلمسان، واشتغلا جنديين في جيش الأمير يغمرا سن الزياني، وعمل إبراهيم قائد

---

[1]-نفسه، ص62، 63.

[2]-الذهبي،سير ...،المصدر السابق ،ص717.

[3]-ابن الابار، التكملة،ج2، ص737.

[4]-أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الجياني،ابن الزوبير (تـ708هـ/1308م)، صلة الصلة، تحقيق: ليفي برفنصال،المطبعة الاقتصادية،الرباط،المغرب،1938م، ص217.

[5]-ابن مريم،المصدر السابق، ص214،عادل نويهض،المرجع السابق، ص12.

لحماية مرفأ هنين شمال تلمسان، وتزوج من ابنة قاضي تلمسان وأنجب ولده هذا محمد الذي اشتهر بلقب "الآبلي"[1].

نشأ في كفالة جده القاضي ،فحبب إليه العلم والعلماء، ورغبه فيه، معرضاً عن وظيفة الجندية التي كان عليها والده ،فبرع في فنون الحكمة والتعاليم من إلهيات ورياضيات وطبيعيات ،واشّتغل بالمعقولات فكان فيها أوحد زمانه وعالم عصر، عكف الناس عليه وهو لا يزال في سن الحداثة[2]، أنكب على الدرّاسة والتحصيل منها العلم وعن علماء تلمسان الأجلاء الفضلاء واظهر تفوقاً في العلوم المنقولة والمعقولة، خاصة الفلسفة، التوحيد وما وراء الطبيعة، وعلم الحساب ،فدرس المنطق وعلم الأصول على أبي موسى وعيسى بن الإمام[3]،وعلم الشّريعة على جده.

ودرس علوم أخرى على أبي الحسن التنسي[4]،أظهر مقدرة فائقة في فهم العلوم والمعارف التي درسها على هؤلاء الشيوخ،قال تلميذه العلامة المقري هو الإمام نسيج وحده ورحلة وقته في القيام على الفنون المعقولية،وإدراكه وصحة نظره[5]،ارتحل في آخر المائة السابعة، فدخل مصر والشام والحجاز والعراق[6]،طلبا الاستزادة من مختلف العلوم والمعرفة، ومجالسة العلماء والفقهاء الأجلاء، سوى في تلمسان، أو خارجها.

خرج من تلمسان لأنّ سلطانها يومئذ أبو حمو[7] من ولد يغمراسن بن زيان، كان يكرهه على التصّرف في أعماله وضبط الجباية، ففر إلى فاس،ثم دخل مراكش في حدود عشر وسبعمائة ونزل

---

(1)- المقري ،المصدر السابق، ج5، ص244،ويحي بوعزيز ، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، دار الغرب، وهران، ط2، 2003،ص93،وابن مخلوف،المرجع السابق،ج2،ص 221،والتنبكتي،نيل الابتهاج__،ج2،المصدر السابق،ص66،و كفاية المحتاج،ج2،المصدر السابق،ص33،وابن القاضي المكناسي، المصدرالسابق، ج1،ص304،ويحي بن خلدون،المصدر السابق،ج1،ص17

(2)- عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق،ج 2 ،ص167

(3)- العالمان أبي موسى وعيسى ابنا الفقيه الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الإمام من أهل برشك، إماما مشهوران بالعلم والرياسة، ولهما ببلدهما سلف صالح ،نزلا تلمسان أيام السلطان أبي حمو ابن أبي يحي يغمراسن بن زيان، ينظر: يحي بن خلدون ،المصدر السابق،ج1،ص 130،والتنبكتي،نيل الابتهاج،ج2، ص166، يحي بوعزيز ،أعلام ... ،المرجع السابق،ج2،ص19،ابن فرحون، المصدر السابق ص486،وابن مريم ،المصدر السابق، ص121-127.

(4)- عبد الحميد حاجيات،الحياة ....،ص140،.

(5)- ابن مريم، المصدر السابق، ص214.

(6)- المقري التلمساني ،المصدر السابق،ج 5 ،ص60 .

(7)- السلطان أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن، بويع في شوال سنة 697هـ ،ينظر :ابن الأحمر،المصدر السابق،ص51،وعبد الرحمن بن خلدون،رحلته،...، المصدر السابق،ص21.

على شيخ المعقول والمنقول المبرز في التصوف علماً وحالاً الإمام ابن البناء فلازمه وتضلع عليه في المعقول والتعاليم والحكمة ،طال مقامه بمراكش، مما جعله يتمكن من إتمام تكوينه في التعاليم، والسيطرة على هذه العلوم[1]،ثم رجع لفاس فأنثال طلبة العلم من كل ناحية فانتشر علمه واشتهر ذكره[2]، وعند ما استدعى السلطان المريني أحمد بن البناء[3]،إلى فاس ليستقر بها، أخذ معه الآبلي إليها فتصدى للتدريس والتعليم وتفرغ للإقراء وارتفعت سمعته، وذاع صيته أكثر، وأجمع الناس على تلقيه بعالم الدنيّا ،وأعلم خلق الله في فنون المعقول والمنقول وسلموا بأمانته[4].

وعندما غزا السلطان المريني أبو الحسن مدينة تلمسان واحتلها في رمضان عام 737هـ،الموافق لشهر أبريل1337م،حدثاه ابنا الإمام، عن شيخنا، وأشادوا بفضله ونبوغه في العلوم والمعارف، وكان هذا السلطان يحب العلماء ويجلهم، ويقربهم منه ،فاستقدمه من فاس، وضمه إلى مجلس علمائه الذين أحاطهم به، فعكف على تدريس العلوم العقلية، وأبدى استعداده لخدمة السلطان[5]،ونظمه في جملة العلماء بمجلسه ،وهو في خلال ذلك يعلم العلوم العقلية ويبثها بين أهل المغرب حتى حذق فيها الكثير منهم من سائر أمصارها، وألحق الأصاغر بالأكابر في تعليمه[6]، قد ساهمت رحلات شيخنا الآبلي، سواء بتلمسان وحواضرها ،أوفي بلاد الإسلام والمسلمين في تكوين شخصية فكرية كبيرة، جعلته محل احترام وثقة لدى الكثير من طلاب العلم والمعرفة في تلك الحقبة الزمنية من تاريخ دولة بني زيان.

وعندما عزم السلطان أبو الحسن على غزو تونس سنة 748هـ /1347م صحبه معه كذلك مع عدد آخر من العلماء الأجلاء كعادته، ورحل معه إلى مدينة تونس، ولازمه طيلة المدة التي بقي بها، وتعرف على علماء ها وكبرائها، وتصدى للتعليم والتدريس ، وألتف حوله جموع الطلبة منهم الفقيه

---

(1)-يحي بن خلدون ،المصدر السابق،ج1،ص17

(2) -أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج،ج 2 ،المصدر السابق، ص 66-67

(3)-له حظ وافر في علوم الشريعة مع الغاية القصوى في العلوم القديمة، كان وقورا حسن السيرة قوي العقل فاضلا مهذبا حسن الهيئة، له تأليف كثيرة: تفسير في البسملة، منتهى السول في علم الأصول، مراسم الطريقة في علم الحقيقة توفي721هـ/1321م،ينظر :محمد بن مخلوف المرجع السابق، ص189.

(4)-يحي بوعزيز، أعلام ....،ج1 ،المرجع السابق، ص28- 29 .

(5)- يحي بوعزيز، أعلام .....،ج1 ،المرجع السابق، ص29

(6)-عبد الرحمن بن خلدون ، رحلته ،المصدر السابق، ص 22

أبو عبد الله بن عرفة[1]،وعبد الرحمن ابن خلدون الذي أشاد بفضله عليه وبعلمه، وخصاله[2]،وقال عنه هذا الأخير بأنه درس عليه العلوم العقلية والمنطق وسائر الفنون في كل ما درسه وتعلم منه، وذكر أن الجميع كانوا يجلونه ويشيدون به وبقدره[3]،وهناك انعقدت بينه وبين أسرة بني خلدون علاقات طيبة، وعهد إليه محمد بن خلدون بتعليم أبناءه مدة أربع سنوات ،ولقد بلغ تأثير الآبلي في تكوين يحي بن خلدون وأخيه عبد الرحمن مبلغا عميقا، ويتمثل ذلك بالنسبة للعلوم العقلية والطبيعية، وحتى التاريخ في الحصول على تكوين منطقي ضروري لتفهم الأحداث الاجتماعية التاريخية فهما صحيحا، ونقد الأخبار نقدا علميا[4].

- تلاميذه:

يعد الآبلي من انبغ رجال عصره في التعاليم، وقد ساهم مساهمة كبيرة في تكوين جيل من العلماء الكبار في المغرب الاسلامي[5]،جعلت جم كبير من الفقهاء يذكرونه ويثنون عليهم بأنه علامة زمانه، وموسوعة في شتى العلوم العقلية والنقلية، وهذا ما نجده في المصادر والتراجم التي تعرضت لهؤلاء العلماء والمفكرين الذين ساهموا بدور كبير في ازدهار الحركة الفكرية بتلمسان في العهد الزياني، فمن جملة من تتلمذ له ،العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الخضرمي[6]،وأخذ عنه كذلك أخوه يحي صاحب كتاب" بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، المولود بتونس سنة734هـ/1334م،والذي بلغت شهرته مبلغا عظيم، حيث عني الباحثون بدراسة إنتاجه الفكري عناية كبرى، مكث في بلاط تلمسان إلى أن قتل بها في رمضان سنة780هـ[7].

---

(1)-فقيه تونس وإمامها وعالمها وخطيبها، تبحر في العلوم وفاق في الأصول والكلام توفي في جمادي الثانية سنة803هـ,ينظر: ابن قنفد ،الوفيات،...،المصدر السابق، ص379.

(2)-يحي بوعزيز، أعلام ...،ج 1،المرجع السابق،ص30

(3)-يحي بوعزيز ،مدينة...،المرجع السابق، ص98

(4)-يحي بن خلدون، المصدر السابق ،ج1،ص85.

(5)-عبد الحمد حاجيات، الحياة ... ، المرجع السابق،ص153

(6)-اشبيلي الأصل، تونسي المولد، الإمام أبو زيد ولي الدين القاضي العلامة المؤرخ ،عبد الرحمن بن خلدون (732-808هـ /1331-1406م)،ينظر:التنبكتي،كفايةالمحتاج،ج1،ص192،،يحي بوعزيز، أعلام ...،المرجع السابق،_ج 2،ص81-131،وابن خلدون،رحلته...،المصدر السابق،ص12،التنبكتي،نيل الابتهاج_،ج2،ص273،ابن الخطيب لسان الدين ،المصدر السابق،ج 3،ص497.

(7)-أبو زكريا يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج 1،ص17 ،وعبد الحميد حاجيات ،الحياة ...،المرجع السابق، ص 151،ويحي بوعزيز، مدينة ...،المرجع السابق، ص132-142.

كان الآبلي يمتاز من بين أساتذة يحي بن خلدون بشخصية قوية، ويتمتع بتقدير عظيم من تلاميذه ، فكان يعتبر مثالا للعالم الكامل لما اخّتص به من تجربة غنية ،وذكاء مفرط ولاشّك أن ذلك قد شكل عاملاً قويا في الاتجاه الذي سلكه عبد الرّحمن بن خلدون وأخوه يحي في حياتهما، ويظهر ذلك بجلاء في ميلهما إلى الرحلات والأسفار، وحب العلم وتفتح الذهن في مختلف العلوم والتعطش إلى الحرية المفضي إلى العزلة العلمية، والالتجاء إلى ساحة بعض أشياخ القبائل والاحتماء بهم مما سبقهما به الآبلي في حياته[1].

ومن بين الذين تتلمذوا وأخذوا العلم والمعرفية هو الفقيه العالم محمد بن الصباغ المكناسي[2]، والعلامة الشريف التلمساني ،الذي تذكره جل المصادر المهتمة بدولة بني زيان ، وتنوه بآثاره في الكثير ،من المجالات الفكرية والعلمية، وابن عباد محمد بن إبراهيم بن عبد المالك، عرف بالنفزي الرندي، كان فقيهاً خطيباً بليغاً خاشعاً خاشياً، إماماً عالماً منصفاً سالكاً، عارفاً ربانياً محققاً،وابن مرزوق الجد، وأبو عثمان العقباني وآخرون يكثر ذكرهم.

2-أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني التيجبي(تـ811هـ/1408م)[3]:ولد بمدينة تلمسان سنة (720هـ /1320م) وحفظ القرآن الكريم في صغره، وأنكّب على الدرّاسة وتعلم العلوم والمعارف العربية الإسلامية كالنحو والصرف والبلاّغة والتفسير والفقه والحديث والأصول على علماء أجلاء،والعقباني نسبة لعقبان قرية من قرى الأندلس أصله منها تجيبي النسب إمام فاضل قرأ الفرائض على الحافظ السطي[4]، ورّوى البخّاري والمدونة عن السلطان أبي عنان المريني[5]،اشتغلت عائلته بالعلم والثقافة على غرار الأسر العلمية الأخرى التي برزت في هذه الفترة خلال القرن الثامن ،حلاه ابن صعد" هو

---

[1]-يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص18.

[2]- كان أحد الأولياء الأفراد، كثير التلاوة والاجتهاد، معدود في أكابر الصلحاء والعباد ،صاحب كتاب: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من أعلام مدينة فاس، ينظر: التنبكتي ،نيل الإبتهاج،ج2،المصدر السابق،ص64، وكفاية المحتاج،ج2،المصدر السابق،ص51.

[3]-ابن فرحون ،المصدر السابق ، ص394،والتنبكتي،نيل الابتهاج،ج1، المصدر السابق، ص 204، 250،، وابن مريم، المصدر السابق، ص100،.

[4]-حافظ المغرب، الفقيه العلامة الفرضي الجليل، تفقه على أبي الحسن الصغير، ومن أحفظ الناس للمذهب وافقهم فيه أخذ عنه المقري وابن مرزوق الخطيب، توفي غريقا في سواحل بجاية سنة750هـ،ينظر:ابن مخلوف ،المرجع السابق،ج2،ص221،والتنبكتي،نيل الابتهاج، ج 2،المصدر السابق ،ص62 .

[5]-محمد عيسى الحريري ،تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني610هـ/1213م- 869هـ/1465م ط 2، 1408هـ/1987،دار القلم للنشر والتوزيع ،الكويت.ص125 .

الفقيه العلامة خاتمة قضاة العدل بتلمسان" وهو أول العقبانين بتلمسان واليه ينتسبون هو أول نجباء بيته، ذو نبل ونباهة ودراية إمامها وعالمها النظار المتحلي بالوقار الفقيه المتفنن في علوم شتى، الإمام الفاضل العمدة المحقق الكامل[1]،وبعد أن تضلع في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية الأدبية والدينية .

تصدى للتدريس في مساجد تلمسان وفي عدة مدن أخرى كبجاية ووهران وسلا ومراكش، تولى منصب القضاء في هذه المدن كلها وبقى في هذا المنصب أكثر من أربعين عاماً، كما أمتاز بصفات عالية نادرة تدل على النبوغ، والعبقرية والملكات الفكرية والذهن الثاقب ،ومن صفاته الورع، والصمت وقلة الضحك وملازمة النظر، فقد كان طويل الفكرة وكثير العبرة[2].

استفاد سعيد العقباني من النشّاط العلمي، الذّي عرفته مدن الدوّلة الزيّانية، والمطلع على طريقة التعليم، في العهد الزياني[3]،فتفقه على ابني الإمام ودرس عليهما، عدّة كتب في الفقه والحديث، ،ولازم سعيد العقباني مجلسهما وسمع لهما وتفقه في مدرستهما[4]،ودرس علم الأصول على أبي عبدا لله محمد بن إبراهيم الآبلي ،وتضلع فيه وفي الفقه والحديث حتى أصبح من الفقهاء المبرزين في مذهب الإمام مالك[5]،ودرس علم الفرائض وتفسير التركات على الحافظ السطي، وروى كتاب البخاري والمدونة في الحديث[6]،وتذكر المصادر التاريخية أن المشدالي (ت 731هـ) درس على يد شيخنا الجليل[7]، الذي جاء بدوره إلى تلمسان بطلب من الأمير أبو تاشفين الأول[8]، فقربه وأحسن إليه.

---

(1)-ابن مخلوف، المرجع السابق ص250

(2)-ابوعبد الله محمد الأنصاري،فهرست الرصاع،ط1،تحقيق:محمد العنابي،تونس المكتبة العتيقة،1967، ،ص114

(3) -عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر 1984، ص437.

(4)-لم يبقى من هذه المدرسة أي أثر غير أن المسجد بمنارته الذي كان إلى جانب المدرسة مازال قائما وهو المعروف عند أهل تلمسان باسم (جامع سيدي الإمام) وهو يقع في الناحية الغربية من المدينة في اتجاه باب كشوط القديم، ينظر:حساني نبيلة،رسالة ماجستير(مرقونة)،القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية، معهد التاريخ، الجزائر العاصمة،1999 ،ص142.

(5)-يحي بوعزيز ، مدينة ... ،المرجع السابق، ص150.

(6)-ابن مريم، المصدر السابق ص 106 .

(7)-الشيخ الفقيه العالم أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد المشذالي ، مالكي، له مشاركة في علم الأدب والكلام والتصوف وغيرها ،من أهل بجاية ،ينظر: الغبريني، المصدر السابق،ص200-201، ابن قنفد، الوفيات... ، المصدر السابق، ص344.

(8)-عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج2،ص160،ومبارك الميلي، المرجع السابق ،ج2،ص458.

فتولى مهمة التدريس، ومن العلوم، التي درسها في تلمسان علم الحديث، والفقه والفرائض، والمنطق والجدل، تتلمذ عليه جمّ غفير من العلماء، كما تفّقه في علم الفرائض، وتقسيم التّركات على يد الشيّخ المحقّق، الفرضي المدقق،أبو عبد الله السّطي[1]واخذ من تونس على يد الشّيخ والإمام أبو عبد الله محمد بن عبد السّلام التوّنسي[2]،خاصة في النحو واللغة، بلغ الشيّخ سعيد العقباني مرتبة عالية في تحقيق العلوم، فصار من المنطقي أن يتخرج عليه ثلة من العلماء، الذين كانوا في زمانه وبعد ذلك أئمة، وُصفوا بالمحقّقين والمجتّهدين وبمشايخ الإسلام وفيما يلي ذكر لبعضهم: قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني التجيبي[3]،أبو القاسم، ويكنى بأبي الفضل (768. 854هـ)وهو ابن الإمام سعيد العقباني أخذ عن والده الإمام وغيره، وحصّل العلوم ،حتىّ وصل درجة الاجتهاد، ولي القضاء بتلمسان في صغره، ورأى أمله من ذريته في كبره ، عكف على تعليم العلوم، وتدريس المعدوم منها والمعلوم، فأفاد الأفراد وأمتع جهابذة النقاد ،وأسمع كل الأسماع ما أشّتهى وأراد[4]،وإبراهيم موسى المصمودي[5]وغيرهم.

نستنتج ممّا سبق ذكره، انه كسب شهرة وذاع صيته وأصبحت صدارته في الكثير من العلوم مشهورة حيث برع في علم شتى من تفسير وأصول وفقه ومنطق وحساب وهندسة، فتهافت الطلبة من كل حدب وصوب إلى مجالسته والانتفاع بعلمه الوفير[6].

(1)-ابن مريم ، المصدر السابق، ص147

(2)-ابن القاضي،درة الحجال ،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات دار الكتب العلمية،بيروت،2002، ص201،وابن مخلوف،المرجع السابق، ص221.

(3) -أبو القاسم شيخ الإسلام ومفتي الأنام الفرد العلامة الحافظ القدوة أخذ عن والده أبي عثمان وغيره، ولي القضاء بتلمسان في صغره توفي في ذي القعدة عام 854هـ،ينظر :شهرزاد رفاف ،أبو عثمان سعيد_العقباني، ت 811هـ/1408م، حياته وأثاره، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، قسم التاريخ،جامعة بشار ،2006م-2007م،والتنبكتي،المصدر السابق،ج2،ص12،وكفاية المحتاج،ج2، ،المصدر السابق،ص11.

(4)-أحمد بابا التنبكتي ،نيل الإبتهاج، المصدر نفسه ،ج2،ص12.

(5)-التنبكتي، كفاية المحتاج ،ج1،المصدر السابق،ص 99،وابن مريم ، المصدر السابق ص64،وابن مخلوف، المرجع السابق،ج2،ص249

(6)- شهرزاد رفاف ، المرجع السابق، ص37

وكان شيوخه يمنحونه فرصة قراءة النصوص من الكتاب أثناء الدرس لذكائه وتفطنه وبراعته الأدبية، قد احتل منزلة مرموقة بين معاصريه ومن تبعهم من العلماء والمترجمين له، وهو بذلك من مشاهير المغرب الأوسط. وله تأليف عديدّة منها :"تفسير سورتي الفتح والأنعام،" و" الوسيلة بذات الله وصفاته،" و" شرح العقيدة البرهانية" و" لب الألباب في مناظرة القباب" و" شرح قصيدة ابن ياسمين" وشرح على ابن الحاجب الأصلي"، و"شرح البردة" و" شرح الحوفي في الفرائض"[1]،شهدت نصوص العلماء برفعة قدر الإمام العقباني، فنَعته معاصره ابن فرحون أنه :"إمام عالِم فاضل، فقيه مذهب مالك، متفنِّن في العلوم"[2]،وذكر ابن مريم بأن: تلميذه شيخ الإسلام ابن مرزوق الحفيد وصفه بأنه" وحيد دهره ،وفريد عصره، بقية العلماء الراسخين، ووارث الفضلاء المجتهدين"[3]،وأولته الدراسات التاريخية المعاصرة العناية، فلم تخلوا دراسة حول العلوم السّائدة في العهد الزياني من ذكره والتعّرض لمناقبه[4]، توفي الإمام سعيد العقباني بتلمسان،[5]،في عهد السلطاني الزياني محمد بن خوله، الملقب بالواثق بالله[6]، ودفن بالمقبرة الواقعة بطريق أبي مدين حيث توجد قبور هذه العائلة، كما يتبين من الكتابة ،التي توجد على شاهد قبره وعبارتها "... الحمد الله وحده والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله، هذا قبر السيد الأفضل الفقيه الأجل التالي ،كتاب الله عز وجل سيدي بن السيد الفقيه، المحدث الفصيح البليغ المدرس، محمد العقباني أسكنه الله مسكن الجنان ،وتغمده بالرحمة والغفران وتلقاه بالسرور والرضوان ،توفي رّحمه الله يوم الثلاثاء عند صلاة العصر، ثاني وعشرين من ذي الحجة سنة 811هـ/ 1409م..."[7]،وهي مقبرة السلاطين الزيانيين[8].

---

(1)-ابن مريم، المصدر السابق، ص106، وابن فرحون، المصدر السابق، ص205.

(2)- ابن فرحون،المصدر السابق، ج2،ص244.

(3)-ابن مريم،المصدر السابق، ص107.

(4)-محمود بوعياد، المرجع السابق، ص64،وعبد الحميد حاجيات، الحياة ...،المرجع السابق،ص144.

(5)-ابن مريم، المصدر السابق، ص107

(6)-ابن الأحمر إسماعيل، المصدر السابق، ص72، وعادل نويهض، المرجع السابق، ص139.

-(7) Brossard, (CH): les inscriptions arabes de tlemcen,revue africaine n°14-3éme anné1859.alger,p414.

(8)-ابن مريم، المصدر السابق، ص106

ونلاحظ من ما سبق أنه توفر على صفات عالية ونادرة تدل على نبوغه وعبقرية وملكات فكرية، جعلته محل ثقة حين يكون في مجالس العلم والدرس، لذّا أولته الدرّاسات التّاريخية المعاصرة العناية فلم تخلو دراسة حول العلوم السائدة في العهد الزياني من ذكره، والتعرض لمناقبه العلمية[1].

3-أحمد بن زاغو المغراوي (تـــ 845هـــ)[2]:هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن،الشهير بابن زاغو المغراوي[3]،التلمساني ،ولد في حدود سنة اثنين وثمانين وسبعمائة بتلمسان[4]،نشأ بمدينة تلمسان حيث تعلم في مدارسها، ومساجدها[5]،لم تحدثنا مصادر ترجمته،التي بين أيدينا،عن حياته الشخصية في طفولته وشبابه، أما عن أسرته،فقد أوردت لنا هذه المصادر، الحديث عن ابنه " محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن زاغو"[6]،الذي كان من فقهاء المذهب المالكي، والذي أخذ عن والده،وغيره من علماء بلده،رحل إلى المشرق،وحج ولقي جماعة من العلماء ،توفي إثر قدومه من الحجاز، لقد أخذ عن جماعة من علماء تلمسان، من أبرزهم وأشهرهم، أبو عثمان سعيد العقباني ،كان يقال له رئيس العقلاء، فقيهاً خاتمة قضاة العدل بتلمسان،وابن يحي الشريف التلمساني الإمام العلامة الأوحد شريف العلماء وعالم الشرفاء آخر المفسرين من علماء الظّاهر والباطن ابن العلماءالأئمة[7]،ومن أهم تلامذته الذين أخذوا عنه ونشروا علمه وتأثروا به، أبو زكريا يحي المازوني[8]الذي كان من أعيان المالكية، وقاضي مازونة[9].

برع وألّف نوازله المشهورة المفيدة في فتاوى المتأخرين من أهل تونس وبجاية والجزائر وتلمسان، وغيرهم في سفرين، أخذ عنه محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي[10]،وأحمد بن

---

(1)-محمود بوعياد ، المرجع السابق ، ص64.

(2)-الحافظ التنسي،المصدر السابق،ص 15،ابن مريم،المصدر السابق،ص 41.

(3)-مغراوي :نسبة لمغراوة هي إحدى بطون زناتة القاطنة بنواحي تلمسان،ينظر:عبد الرحمن ابن خلدون ،المصدر السابق،ج6،ص87

(4) - محمد ابن مخلوف،المرجع السابق، ص254

(5)-التنبكتي، نيل الابتهاج،ج2،المصدر السابق ، ص122

(6)-نفسه ، ج1،ص206.

(7)-ابن مريم،المصدر السابق، ص42.

(8)-التنبكتي، نيل الابتهاج،ج2،المصدر السابق،ص340.

(9)-مازونة: مدينة أزلية بناها الرومان على بعد أربعين ميلا من البحر تمتد على مساحة شاسعة، وتحيط بها أسوار متينة،ينظر:حسن الوزان،المصدر السابق،ج1، ص36.

(10)-التنبكتي،نيل الابتهاج،ج2،المصدر السابق،ص260.

زكري[1] وهو التلميذ الوحيد الذي كان له على شيخه" بن زاغو" الفضل في وصوله إلى تلك الدرجة من العلم، وأبو الحسن القلصادي[2]، كان الإمام كما وصفه أصحاب التراجم، وتلامذته، بالمفتي المصنّف المدّرس المؤّلف، الذي كان اعلم الناس في وقته بالتفسير وتفوقه على أقرانه في مذّهب مالك، وتألقه في علم الحديث والأصول، وقدم راسّخة في التصّوف[3]،وقد أفاد بعلمه الغزير جهّابذة العلماء، وأمتع مسامعهم بدروسه ومجالسه، قرأ عليه كثير من طلاب تلمسان، بالمدرسة اليعقوبية، وكان يدرسهم التفسير والفقه والحديث في وقت الشتاء، والأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة في زمن الصيف[4]،يضرب به المثل زهدا وعبادة، مقبل على الآخرة معرض عن الدنيا يقرأ القرآن الكريم ويلازم درس العلم والتصنيف، أفعاله مرضية محمودة،لا يأمر بفعل إلا فعله، سيرة السلف الصالح[5]،وكان ينشد:

أيْـتُ الانْـقِـبـاضَ أَجـلَّ شـيءٍ أَدَعِى فِي الأُمورِ إلى السَّلامـةَ
فَـهَـذَا الـخَـلْـقُ سَـالِـمْـهُـم وَدَعْـهُـم خُلْطَتُهم تقُودُ إلى النَّـدَامَـة
لاَ تُـعْـنـىَ بِشـيءٍ غَـيـر شـيءٍ تُـودُ إلى خَلاصِك في القيَّامَة

وكذلك قول آخر:

أَنَسْتُ بِوَحْدتِي وَلَزَمْتُ بَيتِي فَدَامَ الأُنسُ لِي وَنَّمَا السُّرُورُ

أَدَّبَنِي الزَّمَان فَمَا أُبَالِي هَجَرْتُ فَلاَ أُزَارُ وَلاَ أَزُورُ
وَلَسْتُ بِسَائِل مَا دُمْتُ حيَا أَسَار الجُنْدُ أَمْ رَكِبَ الأَمُيرُ[6]

قال" التنبكتي في شأنه :"لما رأيت نجاح دعوته وصلاح حالي بالتماس بركته لازمته وترددت إليه ، فكنت أجد في مجالسته فوائد تنسى الأوطان، وأرد من بحر فيضه يحي به الظمآن، فسرت إلى خدمته مسرعا فصيرني كبعض أولاده وأنزلني منزلة أصدقائه، فقرأت عليه صحيح البخاري كله،

---

(1)- ابن مريم ،المصدر نفسه، ص35-43.

(2)-المقري،المصدر السابق ،ج2،ص692، وابن مريم المصدر نفسه، ص141-143.

(3)-القلصادي، المصدر السابق، ص102-103

(4)-نفسه ،ص107

(5)-التنبكتي، كفاية المحتاج،ج1،المصدر السابق، ص54-56.

(6)-نفسه، ص55.

ومن أول صحيح مسلم الى أثناء الوصايا"[1]،ومن تآليفه" مقدمة في التفسير"و"تفسير الفاتحة"و"التذّييل عليه في ختم التفّسير"و"منتهى التوضيح في عمل الفرائض من الواحد الصحيح"غير مرة و"شرح التلخيص"لوالده و"حكم ابن عطاء"،وشرحها لابن عبّاد،ولطائف المنن،وتأليف أبي يحي الشريف على المغفرة، وإحياء الغزالي ومختصره للبلالي[2]،ومختصر الشيخ خليل من الأُقضية إلى آخره،وابن الحاجب الفرعي من الإيمان والنذر،وبعض من مصنفات ابن الحاجب الأصلي[3]،توفي يوم الخميس وقت العصر الرابع عشر من ربيع الأول سنة خمسة وأربعون وثمانمائة،الموافق لـ 2 أوت 1441م،في زمن الوباء، وصلى عليه يوم الجمعة،وشهد جنازته العام والخاص،وأسف الناس لفقده ،وعمره نحو ثلاث وستين سنة[4].

4-محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي[5]:ابن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن علي بن محمد،يعد من العلماء الرّبانيين[6]،أحد العلماء المحققين و أحد الأذكياء المتقدمين في الفهم،وقوة الإدراك على محبة السنة وبغض أعدائها[7]،ينتسب إلى قبيلة مغيلة[8]بأحواز تلمسان،وولد وعاش في فترة كانت تلمسان، تتخبط في مشاكل واضطرابات سياسية خطيرة داخلياً وخارجياً.

ففي الداخل هناك صراع حاد بين الأمراء والسلاطين الزيانيين على العرش،والسلطة والنفوذ بين الأعراش والقبائل المجاورة للمدينة، وفي الخارج غارات القراصنة الأوروبيين المسحيين خاصة الأسبان والبرتغاليين على موانئ الإمارة الساحلية وبلدان المغرب الإسلامي، والأخرى شرقا وغربا على الجهتين الأطلسية والمتوسطية[9]،كما أثنى عليه ابن مريم".. بأنه خاتمة المحققين الإمام العلامة المحقق الفهامة القدوة الصالح السني الحبر أحد أذكيا العالم وأفراد العلماء الذين أتو بسطة في العلم

---

[1]-التنبكتي، نيل الايتهاج ،ج1، المصدر السابق، ص122-124

[2]-نفسه،ص122.

[3]- القلصادي الأندلسي، المصدر السابق، ص104.

[4]- التنبكتي، نيل الابتهاح،ج1،المصدر السابق، ص 124

[5]-نفسه،ج 2،ص264، ابن مريم ، المصدر السابق، ص253-257،وعبد المنعم القاسمي الحسيني ،المرجع السابق، ص325، وعبد الحميد حاجيات،الحياة...،المرجع السابق، ص148

[6]-مبروك مقدم،الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي(وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية،خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر الهجري)، 15-16-17م،ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002، ص49.

[7]-عبد المنعم القاسمي الحسيني، المرجع السابق، ص325

[8]-مغيلة:إحدى فروع قبيلة زناتة بالمغرب الأوسط،ينظر:ابن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص24.

[9]-يحي بوعزيز، مدينة تلمسان، ص325.

والتقدم في الدين، المشهور بمحبة رسول الله-صلى الله عليه وسلم"[1]،قد أغفلت المصادر التي أرخت له تاريخ ولادته ،كما أنها لم تتطرق للحديث عن أسرته ولا إلى نشأته الأولى بتلمسان[2].

بدأ دراسته الأولى بمسقط رأسه تلمسان ثم هاجر إلى مدن القطر الأخرى، وأخذ العلم بها عن أهلها، وممن أخذ عنهم من أعلام ذلك العصر الإمام عبد الرحمن الثعالبي (تـ 875هـ)[3]،والشيخ يحي بن يدير وغيرهما[4]،حفظ القرآن الكريم في صغره كعادة كل أبناء المسلمين الميسورة، ثم اعتكف على دراسة العلوم العربية الإسلامية ، اللغوية، العقلية ،والنقلية على الشيّوخ الأجّلاء المشّهورين.

قد مر في تحصيله العلمي والمعرفي، بشتى الطرق التي يمر بها أي عالم في ذلك العصر، بحيث طاف في أنحاء المغرب الإسلامي، طالباً للعلم، فأخذ في أول أمره من علماء تلمسان ثم فاس،وتونس[5]،كما أخذ كذلك عن الشيخ محمد بن احمد بن عيسى المغيلي الشهير بـ " بالجلاب التلمساني" (تـ 875هـ/1470م) والذي يعد أحد فقهاء المالكية بتلمسان[6]،كما رحل إلى بجاية لطلب العلم فأخذ العلم عن أحمد الوغليسي، هذا و قد أخذ الشيخ المغيلي عليه عن كوكبة من الفقهاء الأجلاء الذين ساهموا في تكوين شخصه، جعلته يتحدى أقرانه من علماء عصره في تلك الفترة الحرجة من تاريخ المملكة الزيانية في قوله للحق، وبغضه لكل ما يتنافى مع الشريعة الإسلامية، ولماّ توسعت مداركه ومعارفه، وتزّود بما يكفيه، تصدى هو الآخر للتّدريس ،كشيخ وأستاذ، تتلمذ

---

(1) -ابن مريم، المصدر السابق، ص253

(2)-محمد بوشقيف،العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (9هـ-15م) "،(مرقونة)، رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2003-2004،ص177.

(3)-عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن طلحة وينتهي نسبه إلى جعفر بن أبي طالب، العالم المنصف الولي الصالح، الصوفي المتكلم، الفقيه القاضي ،ينظر: التنبكتي، كفاية المحتاج،ج 1،المصدر السابق،ص200، ونيل الابتهاج، ج 1،المصدر السابق، ص 282.

(4)-الشيخ يحي بن يدير بن عتيق التدلسي، التلمساني أبو زكريا(تـ 877هـ) احد كبار الفقهاء المالكية في وقته، الفقيه العلامة قاض توات ، أخذ عن بن زاغو وغيره ، توفي بقسنطنة يوم الجمعة بعد الزوال عاشر صفر عام 877هـ،ينظر:محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مصباح الارواح في أصول الفلاح"، رابح بونار ،الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر 1698،ص10.

(5)-يحي بوعزيز ، أعلام ... ، ج1 ،المرجع السابق، ص235

(6)-الفقيه العلامة أحد شيوخ الونشريسي والإمام السنوسي، وله فتاوى في المازونية والمعيار وصفه المازوني بصاحبنا الفقيه، ينظر:التنبكتي ،نيل الابتهاج،ج1،المصدر السابق،ص237،و كفاية المحتاج،ج2،المصدر السابق،ص194.

عليه عدد لا بأس به من العلماء والشيوخ ،أمثال الفقيه أيدا أحمد[1]،والشيخ العاقب الأنصمي[2]،ومحمد بن عبد الجبار الفجيجي وغيرهم[3]،وعرف بمجاهرته بالحق ودفاعه عن الشرع وإخلاصه في العمل لوّجه الله عزّ وجلّ،فكان محل تقدير، واعتزاز ممن تتلمذ عليه،كما كان موضع احترام علماء عصره، وفي اشتغاله بالتدريس في تلمسان، لاحظ التعفن السياسي، الذي يسود عرش بني زيان .

كما ذكرنا آنفاً أن حينما أشتد ساعد أبي عبد الله رأيناه يتضايق من وضعية عصره، وينكر على الحكام المسلمين خاصة خروجهم على التقاليد الإسلامية في حكم رعاياهم ، ويتبين أنه السبب الرئيسي في خروجه من تلمسان واتخاذه طريق الهجرة إلى السودان فيما بعد[4]،وساهمت أمور عديدة في سقل عقلية العلاّمة الفهّامة وأفكار وجعلته يتمرد على كل ما هو ضد الشريعة الإسلامية حتى اضطر إلى الهجرة خارج الديار من اجل قول كلمة حق.

حادثة المغيلي مع يهود توات :

أمام كّل هذه الظروف، التي كانت تعيشها دولة بني عبد الواد الزّيانية، ما كان على الشّيخ سوّى مغادرة مسقط رأسه، انتقل إلى الصحرّاء واستّقر مدة بناحية توات ،و بها أفتى فتواه الشهيرة القائلة بوجوب القضاء على ما كان يمتاز به اليهود آنذاك من منزلة سامية لدى الحكام ،وحرية بناء البيع وتطبيق الجزية عليهم[5]،اشتعلت الفتنة عام 895هـ/1490م،وأسفرت على تهديم معبد اليهود ومقتل العديد منهم، ونظرا للاستياء الذي أثارته هذه الاضطرابات ،اضطر المغيلي لمغادرة

---

[1]-محمد بن أحمد التازختي، عرف بـ " أيدا " أي ابن بلغة أهل تنبكتو، كان فقيها عالما فهاما محدثا، قرأ ببلاده تنبكتو ولقي الإمام المغيلي فأخذ عنه.توفي في حدود936هـ،ينظر:التنبكتي،نيل الابتهاج،ج1،المصدر السابق،ص278.

[2]-الشيخ العاقب بن عبد الله الانصمني المسوفي من أهل أكداس ، من بلاد السودان الغربي ، فقيه نبيه ذكي الفهم ،حاد الذهن، وقاد الخاطر، منشغل بالعلم في لسانه ذرابة ،توفي في حدود الخمسين وتسعمائة ي: التنبكتي،نيل الابتهاج،ج1،المصدر السابق،ص399،ومحمد بن مخلوف،المرجع السابق ، ص278.

[3]-ابن ميمون بن هارون المسعودي الفجيجي التلمساني المدرس الشاعر الصوفي ، أشتهر أمره حتى صار قطباً صوفياً، أسس زاوية في وطنه المعروف بـ " حدوش" من تاسالة بالقرب من تلمسان توفي950هـ، ينظر:ابن مريم ،المصدر السابق ،ص 287،أبو القاسم الحسيني، المرجع السابق، ص314 .

[4]-عبد القادر زبادية ، " التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي "(بعض آثاره وأعماله في الجنوب الجزائري وبلاد السودان)،مجلة الأصالة،مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،السنة الرابعة، العدد26، رجب-أوت 1975م،ص206.

[5]-يحي بوعزيز ،مدينة ....،المرجع السابق، ص235.

تمنطيط[1]باتجاه فاس، لكنه لم يتمكن من الحصول على منصب في بلاد السلطان فرحل إلى السودان[2]،وتركت الحادثة صدى بعيدا في المغرب العربي لذلك العهد بين علمائه ،ومضمون ذلك أن المغيلي كان شديد التدين، دقيق الملاحظة، وقد رأى من يهود توات تجاوزا للحدود الشرعية، واستعلاء على المسلمين، حتى أنهم أكثروا من التعدي، والطغيان والتمرد على الأحكام[3].

لا ننسى أن وّاحات توات في هذه الفترة كانت عبّارة عن ممالك وإمارات صحرّاوية صغيرة، يسيطر على أقدارها السياسية كبار التجار والأثرياء وذو الجاه والنفوذ الديني والاقتصادي[4]،وكان على علم واطلاع واسع بحقيقة هذه التجارة الصحراوية وما تّدره من أرباح ،لأن تلمسان في عهده كانت لها صلات تجارية هامة ووثّيقة بوّاحات توات ومعظم مناطق السودان الغربي[5]،وقد جرت بينه وبين جماعة مشاحنة وأمور بسبب ذلك أنه قام على يهود توات وألزمهم الذّل، والهوّان بل نازلهم وقاتلهم، وهدم كنائسهم، ونازعه في ذلك عبد الله الغّصنوني قاضي توات[6].

قد وجد وضعاً دينياً واجتماعياً واقتصادياً سيئاً وغير متوازن، لا يخدم مصالح السكان الأهالي، وإنما يخدم فئة خاصة من اليهود، وبعض المتعاونين معهم من التجار، فشمر ساق الجد لتقويمه، وإصلاحه لو بالقوة والعنف وهو ما حصل[7].

قد خالفه بعض العلماء المحليين بدعوى أن اليهود ذّميون لهم، ما لأهل الذّمة من الحقوق المنصّوص عليه، في كتب الفقه المشهورة ،وقد احتج كل فريق بأحاديث نبوية وبأقوال السلف من صحابة وتابعين وعلماء، غير أن كلا الفريقين لم يقو على فرض آرائه، وجذب عامة الناس

---

(1)-تمنطيط:هي كلمة من اسم أعجمي وهو بلغة زناتة يعني: تمي (الحاجب)، تيط(العين)،وبالعربية حاجب العين،وهي بلدة من أقدم بلدان الصحراء،ينظر:عبد الحميد بكري،النبذة في تاريخ توات وأعلامها،ق9هـ/14م ، دار الغرب للنشر والتوزيع- الطبعة الثانية- الجزائر 2007،ص22.

(2)-جمال سويدي، الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر، ترجمة فايزة بوردوز، منشورات التل-اوت2007 الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ص35.

(3)-محمد بن عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، ص13.

(4)-يحي بوعزيز ،أعلام ....،ج2 ، المرجع السابق،ص 144

(5)-نفسه،ص 145

(6)-هاجر الى تمنطيط مع اسرته سنة875هـ، ووقعت بينه وبين صاحب ترجمتنا الحادثة المعروفة بمسألة توات، ينظر:ابن قنفد القسنطيني، شرف الطالب في أسنى المطالب، تحقيق: عبد العزيز صغير دخان، ط1، مكتبة الرشد ناشرون،1424هـ/2003م، المملكة العربية السعودية، الرياض، ص 59.

(7)-يحي بوعزيز، أعلام ...،ج2 ،المرجع السابق،ص146.

إليه[1]،وكاتب في الموضوع علماء فاس وتلمسان، ووردت عليه ردود مختلفة من هؤلاء العلماء، فاعتمد على ما وافق رأيه منها وآمن بأنه الحق، وترك ما خالفه، وعدّه مجانبا للصّواب، ومشوباً بالهوى، وهجم هو وأتباعه على بيع اليهود وحطموها، وأوصى أتباعه بقتل من عارضهم،وابرز فتوّى شرّعية كان يعتضد بها في إجرّائه الشّرعي، زيادة على ما رآه وأدركه من المدونة، وهي فتوى الحافظ التنسي والفقيه السنوسي.

وقد توصل الأول في فتواه إلى أن ما أحدثه اليهود من الكنائس، هو خروج على الأحكام الإسلامية، وأيده الثاني على ذلك تأييداً تاماً[2]،و يمكن القول أن شيخنا، صاحب الترجمة لاقى في حياته ما يتنافى مع الشريعة الإسلامية، وهو الذي اخذ العلوم المختلفة منها العقلية والنقلية، ومن شيوخ كبار سبق ذكرهم، جعلته لا يمكن تغاضى الطرف على أمور جعلته يثور ويفضل الهجرة بعيد عن الديار، ويعلن الحرب بأرض توات، ويرفض ويبغض كل ما يقومون به إلا نتيجة قناعة راسخة لا تتبدل لدى فقيه وعالم بوزنه في تلك الحقبة التاريخية ،التي شاهدتها الدولة الزيانية، أراد به الله عزّ وجّل إصلاح الأمة.

- أثاره العلمية :

كان المغيلي علامة في المنقول والمعقول، كثير التأليف، سيّال القلم، مشهوراً بالمشرق والمغرب، ومن مؤلفاته التي ذكرها مترجموه: كتاب" البدر المنير في علوم التفسير "و" شرح مختصر خليل" بإيجاز وهو غير تام وعليه حاشيته سماها "إكليل المغني" وشرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب الفقهي" و تأليف في المنهيات وموضوعه يتصل بوظيفة الحسبة على ما يبدو من عنوانه" و" مختصر تلخيص المفتاح" و" شرحه في البلاغة "و "شرح الجمل للخونجي في المنطق" و" مقدمة فيه ومنظومة أيضا سماها منهج الوهاب، وله عليها ثلاث شروح" و "تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين، وهو نقد لادعاء التصوف على ما يبدو" شرح خطبة المختصر" و" مقدمة في العربية "و"كتاب الفتح المبين" و"فهرست مروياته و"عدد قصائد في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم– وفي غيره من الموضوعات، و"رسالة (مصباح الأرواح في أصول الفلاح)"[3]، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى" إكليل معنى النبيل وهو شرح على مغنى الخليل"

---

[1]-محمد بن عبد الله التنسي ، المصدر السابق، ص 30.

[2]- محمد بن عبد الكريم المغيلي،المصدر السابق ص15-16 ،وابن مريم ،المصدر السابق، ص 254-255.

[3]-نفسه،ص21-22.

وإيضـاح السـبيل في بيوع آجال خليل" ومفتاح النظر في علم الحديث" أجوبة على أسـئلة الأسـقيا محمد الأول الكبير" جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس على الحرام"[1].

وهذه الكتب معظمها مازال مخطوطاً[2]، أدركته المنية بتوات، فتوفي هناك سـنة تسـع وتسـعمائة، ويذكر أنّ بعض ملاعين اليهود أو غيرهم مشـــى إلى قبره فبال عليه فعمي مكانه[3]،لقد عرفت الحياة الفكرية في عصـــر المغيلي في هذه الفترة بالمغرب الأوســط خلال القرن التاســع الهجري نشــاطاً كبيراً، ويشــهد على ذلك العديد من العلماء الذين أنجبهم هذا العصــر ،فقد جاوزت شــهرة بعضـــهم حدود الأقاليم والأقطار، فقد نبغ في عهد بني عبد الواد الزّيانيين ومن عاصـــرهم من الملوك، عدد لا يحصــى كثرته من العلماء والأدباء والفنانين منهم من بلغنا إنتّاجهم الفكري، ومنهم من لعبت بإنتّاجه أيدي الزمان، وكرات الحدثان بحيث لم يبلغنا منه شيء أصلاً، وإما بلغنا منه إلاّ النزّر اليســير الذي احتفّظت به كتب التّاريخ، والسّــير والتراجم والآداب وغيرها[4]،أن معظم هؤلاء العلماء باشـــروا التدريس مدة طويلة من حياتهم إلى جانب التأليف، ووظائف أخرى كالقضـــاء والإفتاء، وتكون على أيديهم عدد كبير من طلبة العلم الوافدين من مختلف لأنحاء ،وان كثير منهم رحلوا إلى بلدان أخرى في المغرب الإسلامي ،والمشرق، وبلاد السودان فكان لهم تأثير محمود في نشر العلم وخدمة الثقافة العربية الإسلامية، مما جعل تلمسان في مرحلة ازدهارها الحضاري تشكل أهم مركز إشعاع ثقافي بالمغرب الأسط[5]، فهذه عينات تشهد على ازدهار ثقافي متميز في شتى المجالات، ومما يؤســف له جداً أن معظم إنتاج هذه الفترة لم يحظ بإقبال الباحثين على دراســته وتحقيقه، حيث أن بعضه فقد ضاع ، وبقي الآخر مودعاً في غياهب المكتبات، ينتظر من يكتشفه ويخرجه إلى النور[6].

---

(1)- يحي بوعزيز ،أعلام...،ج2،المرجع السابق، ص156-157.

(2)- حول مراكز المخطوطات في الجزائر، ينظر: :عبد الكريم عوفي، التعريف بمراكز المخطوطات في الجزائر،العدد الأول، مجلة الحضارة الإسلامية، تصدر عن المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية بجامعة وهران،السنة الأولى ،1414هـ/1993م، ص86-99 .

(3)- ابن مريم ، المصدر السابق، ص255.

(4)- محمد بن رمضان شاوش ، المرجع السابق ، ص401

(5)- عبد الحميد حاجيات ، تلمسان مركز إشعاع ثقافي في المغرب الأوسط ، نص محاضرة ألقيت في الملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي(وهران 18-20أفريل 1993) ، ص 189.

(6)- عبد الحميد حاجيات، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي، مجلة الثقافة، تصدرها وزارة الاتصال والثقافة، السنة الثانية والعشرون، العدد114، الجزائر 1997.

ذكرهم أبو حمو موسى الثاني ،فقال: " أما الفقهاء فإنهم مصابيح الدين، وبهم تقام الشرائع وتسد الذرائع وتعتصم بهم من الأهوال والبدع ويعتز بهم الإسلام ويرتفع[1]،وقد نالوا في عصر الدولة الزيانية، تكريماً عظيماً كان مبعثه الحركة الفكرية، وتتضح لنا مكانة هؤلاء العلماء والفقهاء، في عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني الذي أوصى ولي عهده باتخاذ فقيه يحصن به نفسه فيستشيره، فيما أشكل عليه من أحكام الشرع وما يقتضيه الحال من الحلال والحرام لان صلاح الدنيا متوقف على العمل الصالح من اجل الآخرة،وإن أول ما يستدعي الانتباه أن الحركة العلمية والفقهية بتلمسان وباقي المغرب الأوسط لم تكن نتيجة لتأسيس الدولة الزيانية، فان تراجم العلماء الذين أنجبتهم من قبل عاصمة بني زيان، والتي أدرجها يحي بن خلدون في" بغية الرواد "وأكثرهم عاش قبل استيلاء بني عبد الواد على الحكم، تؤكد لنا وجود حركة علمية بتلمسان في العصور القديمة[2]،وهكذا بقيت الحركة العلمية بالمغرب الأوسط نشيطة حتى بداية القرن التاسع الهجري، الموافق للخامس عشر الميلادي، ويشهد على ذلك العدد الكبير من العلماء الذين أنجبهم العصر، وقد جاوزت شهرة بعضهم السنين، والأجيال كما خلفت لنا آخرون مصنفات احتفظت بقيمتها إلى يومنا هذا، ويؤكد لنا ذلك تواصل الزيارات التي كان يقوم بها العلماء لتلمسان من المغرب خاصة، ومن الأندلس والمشرق الإسلامي أيضا، وذلك ليأخذوا العلم على الأساتذة التلمسانيين المشهورين[3]،وهؤلاء الفقهاء أنجبتهم تلمسان في عهودها الزهرة.

يجد الباحث إلا أن يقول أن العلوم الدينية في المغرب الأوسط في الفترة الممتدة ما بين (القرن 2هـ/8هـ)،(8م/14م) بلغت مرحلة متطورة في جميع حقول العلم والمعرفة، وما الأسماء البارزة للأعلام والفقهاء الذين ترجمنا لهم على سبيل المثال لا الحصر في هذا العرض المتواضع، لا دليل على تقدم في شتى العلوم،وأخيراً يمكن القول أن حياة الشّعوب والأمم مدينة بالفضل لرجالات، برزوا وقدموا لها ثمار تظل تتغذى عليها أجيال فأجيال، رجال تمتد أعمارهم قرونا وقرونا ويطوي ذكرهم وعملهم المسافات والأزمان رجال هانت الدنيا في أعينهم وصغرت المشّاق عندهم حين قاسوها بالغايات المرجوة.

---

[1]-مختار حساني ،تاريخ ...، المرجع السابق ،ج3،ص94

[2] -يحي بن خلدون ، المصدر السابق،ج2،،ص47 .

[3]- محمود بوعياد ،المرجع السابق،ص 56 .

خاتمة

خاتـمة

يحتاج التاريخ الإسلامي إلى قراءة مبنية على عقلانية علمية وعلى روح نقد مستوحاة من تطور المناهج الجديدة في ميدان البحث التاريخي، وأن حقل العلوم الدينية خلال القرن الثاني إلى غاية القرن الثامن للهجرة، الموافق للقرن الثامن إلى غاية القرن الرابع عشر للميلاد، عرف تطوراً على مدار هذه الفترة، وأصبحت بلاد المغرب الأوسط مركز إشعاع حضاري، وشهد المغرب الأوسط نهضة فكرية مع بداية القرن الثاني للهجرة شملت الكثير من أنواع العلم والمعرفة حت أصبحت تاهرت قبلة يأتون من كل صوب من أجل للاستزادة من هذه العلوم والجلوس إلى علمائها، ومن خلال الجو الذي كان تسوده الحرية الفكرية والمذهبية في عاصمة بني رستم أنتشر المذهب الإباضي، وبرز فيه مجموعة من الفقهاء الذي برزوا في الفقه والحديث ذكرهم الشماخي في السير، والدرجيني في طبقا علماء المغرب.

لم تنل الدراسات التاريخية التي تبحث عن العلوم الدينية في مرحلتها المغربية، المغرب الأوسط، خلال العهد العبيدي، ومازال ينتابها بعض القصور والغموض ،وان وجد بعض الباحثين المعاصرين من تناول بالدراسة من بعض جوانبها ولتعد محاولة، فلم تأكد لنا الكتابات شيئاً واضحاً حتى أبني به موضوعي حول العلوم الدينية في المغرب الأوسط مع نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للهجرة، ولم يلقى المذهب الإسماعيلي الباطني قبولاً لدى القبائل العربية والبربرية بالشكل الذي أراده منظري هذه الدولة ،لأنه أتضح لهم أنه ينافي فطرتهم ومعتقداتهم السليمة، ومازال التاريخ الحضاري لدولة المرابطين من أغمض فترات تاريخ المغرب الأوسط بالرغم مما أفرزته النصوص والدراسات في السنوات الأخيرة من اهتمام أكبر وتقدم لا بأس به والسبب جلي وبين إذ لم يصلنا من الكتب التاريخية التي تناولت عهد المرابطين، الجانب الثقافي والفكري منه، إلا شيء يسير نجده في ثنايا ما كتب في تاريخ المغرب....مثل ما ورد غي الحلل الموشية لمؤلف مجهول والمعجب لعبد الواد المراكشي، وروض القرطاس لابن زرع، و الا ستقصا للسلاوي، والعبر لأبن خلدون وهي كتب تتحدث عن المرابطين في ايجاز شديد، كما ان كثير منها متأخر لا يكاد يمدنا بتفصيل وافٍ عن أخبار هذه الدولة التي خدمت الإسلام في المغرب والأندلس أجل الخدمات وجاهدت في سبيله أعظم الجهاد، وحتى وإن وجدت من خلال الكتابات التاريخية حول المغرب الإسلامي والأندلس فيه إشارات قليلة جداً مقارنة بتاريخ المغرب الأوسط وحضارته.

عرف المغرب الأوسط في العهد الحمادي إشعاع فكري شمل جميع مناحي الحياة الثقافية والعلمية حتى أصبحت بجاية حاضرة علمية يزورنها من كل حّدب وصّوب لمُلاقاة اهل العلم الذين

نبغوا في الكثير من العلوم، وهذا من خلال الدور الكبير الذي لعبه أمراء الدولة الحمادية في بناء الماجد والمدارس ودور العلم في كل مكان، والدور العلمي والفكري الذي لعبه علماء هذه المدينة وطلابها من أن يجعلوا منها منارة للعلم سواء في المغرب الأوسط أو خارجه، وكما أفادتني الكتابات التاريخية التي أرخت للدولة الموحدية في هذه الفترة من تاريخ المغرب الأوسط، وتوسعها في الكثير من مناطق المغرب الإسلامي، حيث تعرضت لأهم العلوم الدينية والتي عرفتها المنطقة وذلك بتشجيع الأمراء إلى جانب العلماء للعلم وبناء دور العلم والمعرفة، ومساهمتهم في بناء حضارة على هذه الأرض ،وكما شهد المغرب الأوسط نهضةً فكريةً ذات مستوى عال شمّلت جميع مجالآت الحياة، ووصلت إلى درجة الرقي الحضاري والفقهي، بفضل العناية الفائقة والمتزايدة التي كان يوليها أمراء الدولة الزيانية والتي مازال شواهدها قائمة على يومنا هذا، وعلماء وفقهاء ما زالت أمهات المصادر التاريخية تحمل مآثرهم، والدراسات قائمة لمعرفة الكثير عن هؤلاء الذي خلدوا لنا إرثاً فكرياً يحتاج إلى رعاية ودراية حتى يتسنى لنا الاقتداء بهم ،والتعريف بهم للأجيال.

يمكن القول أن من خلال محاولتي تسليط الضوء على العلوم الدينية من القرن 2هـ-8هـ/8م-14م، خلصت بمجموعة من النقاط أهما:

- أن الظروف السياسية والحروب ولاضطرابات الإقليمية لم تمنع من تقدم وازدهار مجالات المعرفة، وظهور مراكز علمية وثقافية تحمل على عاتقها نشر رسالة العلم بين مختلف الأجيال، وأن رغم الثورات والحركات التمردية التي كانت تشهدها هذه المنطقة ضد الأمراء وبلاطهم ، لم يمنع هذا من السير قُدماً إلى تشجيع أنواع فنون المعرفة.

- أن الأمراء هم أنفسهم كانوا من أهل العلم والمعرفة رغم انشغالاتهم ومهامهم السياسية إلا أنه كان لهم نصيب من الجلوس إلى العلماء والفقهاء والاخذ بآرائهم ومشورتهم، وتشجيعهم على التدريس والتأليف والوعظ والإرشاد.

- لا تكاد تجد عالم أو فقيه على أرض المغرب الأوسط إلا وتجده موسوعياً قرأ وتعلم ونبغ في الكثير من التخصصات، وترك أعمالاً مازال الكثير منها ينتظر دوره من العناية والتحقيق، والتعريف به للأجيال.

– رغم ظهور الكثير من المذاهب منذ القرن 2هـ إلى غاية القرن 8هـ، من إباضية، وشيعية، ومعتزلة، وحنفية وغيرها.... التي تنافست فيما بينها من أجل البقاء والسيطرة، إلا أن في الأخير نجد قبولاً وإقبالاً على المذهب المالكي، الذي ضحى من أجله الكثير من الفقهاء وتعصبوا إليه وضحوا من أجله بأرواحهم وأموالهم، و هذا ان الاختلاف المذهبي والسياسي الذي شهده المغرب الأوسط، لم يمنع من مواصلة مشوار التعليم والتعريف بالرسالة المحمدية التي أتى بها الفاتحين الأوائل، وظهور علماء نوابغ في الكثير من فنون العلم والمعرفة.

– إن العلوم الدينية عرفت تطوراً وازدهاراً لا بأس بهما على مدار هذه الفترة وفي مختلف أنواعها إلا أن هناك تفاوت من حيث الاهتمام بالعلوم من فترة إلى أخرى، وهذا يرجع إلى نوع المذهب المتبع في كل من فترات حكم الإمارات التي توافدت على حكم المغرب الأوسط طيلة هذه الفترة.

– ان الهجرة الأندلسية على مدار قرون باتجاه المغرب الأوسط ساهمت بدورها في تنشيط العلوم الدينية، وظهور فقهاء أندلسيين عملوا في حقل التدريس، منهم من ذكرته وعرفت به كتب التراجم التي عملت بها في العمل المتواضع، ومنهم مازال مجهولاً لحد الساعة.

– أن كل فترة من فترات حكم الإمارات إلا وتجد أمراءها شاركوا مشاركة جد فعالة ومهمة في بناء المساجد والمدارس ودور العلم، والعمل على تشجيع العلم ومُريديه وتوفير الجو المريح للاستزادة و التَّفقه في مسائل الدين والدنيا.

– قد ساهم هذا البحث ولو بالشيء اليسير في نفظ الغبار والكشف اهم العلوم التي كانت متداولة أنذاك،و على حياة بعض العلماء منذ القر2هـ/8م إلى غاية القر8هـ14م، وعن مآثرهم والذين تركوا بصماتهم في الكثير من العلوم.

أخيراً فإنّ وفقت فذلك بفضل الله وكرمه، وان كانت الأخرى فعزائنا أنني اجتهدت ولكل مجتهد نصيب، على أنني لا أدعي الإصابة والعصّمة من الخطأ فيما قمت به، فالكمال لله وّحده والعصّمة لمن عصمه الله، ولذاَ رجائي من وجد به خللا أن يبصرني به، أو عيباً أن يرشدني إليه وسأكون له من الشاكرين، وبالتالي قد يفتح هذا العمل الفرصة أو الرغبة لدى عدد من الباحثين للتعمق فيه أكثر أو التعرض له من زوايا أخرى، كما يهمني أن أسجل في هذه الكلمة تقديرنا وشكرنا الخالص لكل

إخواني الذين سهلوا لي السبيل في انجاز هذا العمل، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم" **من لا يشكر الناس لا يشكر الله**"، والله نسأل أن يسدد خطاي، ويلهمني التوفيق لتقديم المزيد من العمل لهذه الأمة، راجين أن أكون قد وفقت فيما بذلنه وحققته، وعلى الله قصد السبّيل والاتكال في الحال والمال..

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين... وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين.

الملاحق

ملحق: رقم(1).

رسالة الإمام أفلح إلى الرعية ينصحهم بالتقوى والصلاح.

- بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، من أفلح بن عبد الوهاب إلى من بلغه كتابنا هذا من المسلمين، أما بعد: فالحمد الله الذي هدانا للإسلام وأكرمنا بمحمد عليه الصلاة والسلام وأبقانا بعد تناسخ الأمم ،حتى أخرجنا في هذه الأمة المكرمة التي جعلها أمة وسطا شاهدة لنبيها بالتبليغ ومصدقة لجميع الأنبياء، وشاهدة عل جميع الأمم بالبلاغ من الأنبياء....فعليكم معشر المسلمين بتقوى الله العظيم والقيام له بحقه فيما وافق هواكم أو خالفه ،وتقربوا إلى الله بالقيام بطاعته، وطلب مرضاته لتنالوا بذلك ما وعد به من جزيل الثواب وكرم المآب... واعلموا أن الله قد أوجب عليكم أن تقوموا الله بالعدل في عباده وبلاده، ولا تأخذكم لومة لائم... ثم أحذركم أهل البدع الذين لم يعرفوا حقا فيتبعوه ،ولن يلقوا أهل العلم فيقتبسوا منهم الدين، عاشوا مع أهل الجهل فخلا بهم الشيطان... فعليكم معشر المسلمين باتباع الآثار والعمل بما عمل به أسلافكم المتقدمون قبلكم، فقد سنوا لكم الهدى، ففي اتباعكم كل رشد وفي مخالفتكم كل غي والرشد خير من الغي.......

<u>المرجع:</u> سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية،ج2، مطبعة الأزهار الرياضية، مصر، ص280-285 بتصرف...

ملحق: رقم(2)

رسالـة الإمام أفلح إلى بعض العمال

من أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد، سلام عليك وإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله –صلى الله عليه وسلم وعلى آله:

أما بعد: ألبسك الله عافيته فإني أذكرك عظمة الله لا تنساها وفكر في صغير خلقتك وفي عظيم ما خلقه الله وما جعله من النكال والعذاب لأبن آدم وما عافى به من فاز برحمته من عظيم خلقه للسموات والأرض والجبال والشجر، وأذكرك ما أعده الله لأبن آدم من الكرامة التي تكل الألسن عن وصفها فلو تكن كرامة تطلب إلا النجاة من جهنم.....وان الدواء في هذا هو الإستعاثة إلى الله في العصمة ،فمن أراد به الإحسان عصمه وجعله من اوليائه الذين قال لإبليس فيهم: " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان " فأطلب الله وارغب إليه في العصمة والتوفيق....إلى أن قال : وأما ما ذكرته من أن أجعل لك سبيلا وأطلق يدك وان الحاضر يرى ما لا يراه الغائب فلعلمي إنه لكذلك ولكن ليس هذا إنما هي أسهم جعلها الله وأوقفها وهي وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهي إلا على قدر الاجتهاد فاتق الله واجتهد جهدك في توفير الحقوق وتوجيهها إلينا، على هذا مضى من كان قبلك......

المرجع: سليمان الباروني، المرجع السابق، ص244.

ملحق: رقم(3).

رسالة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى شيوخ الاباضية بالمغرب

بسم الله الرحمن الرحيم[1].صلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

أتاني كتابكم تذكرون فيه ما منَّ الله به عليكم من جمع كلمتكم والتلاف أمركم في كثرة من بحضرتكم من أهل الخلاف لكم، ولعمري ما أكثرتهم وان كثروا بأكثر ممن كان قبلهم على من كان قبلكم من سلفكم، فاقتدوا بهم يهون عليكم كثرتهم على أخلافكم، فسأل الله العون والتوفيق في جميع أموركم، وأن يمكننا وأياكم باسهم، وأن يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين الدائرة عليهم ويشفى صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ،فلعمري لقد أسرني ما انتهيتم إليه من أمركم ،وأن كان ذلك لم يخفف عنا، غير أنا لم نظن الذي كتبتم به إلي، والله يستتم لكم الخير بعونه وتوفيقه....

أتانا كتابكم بمسائل، فمنها ما رأيت أن أجيبكم فيها، ومنها ما رأيت ألا نجيبكم فيها من غير هوان ولا تقصير إلا الذي رايته أصلح لجماعتكم وأقوم لشأنكم وأرفق لضعِيفُكم واعطف في الذي اجيبكم فيه، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ في رواية أو خير أو غير ذلك فمن نفسي.

استغفر الله من جميع ما ليس هو له رضى.

ذكرتم في كتابكم العشر وكيف جمعه، واعلموا رحمكم الله أنه[2]

إلخ...[3]

---

[1] -أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، رسالة في أحكام الزكاة، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 21582 ب ورقة114، **نقلاً عن**: محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،ص311.

[2] - يستطرد في الإجابة على تساؤلاتهم وفقا لتعاليم المذهب الإباضي.

[3] -محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص311، 312.

ملحق: رقم(4)
ذكرهم مذاهبهم في أول الشهور

أعلم أن القوم كانوا شيعة ثم غلوا حتى عدّوا من غلاة أهل الرفض وللشيعة في أثناء الشهور عمل حسن ما رأيت فيه ما حكاه أبو الريحان محمد بن أحمد البروتي في كتاب الآثار العافية عن القرون الخالية، قال وفي سنين من الهجرة نجمت ناجمة لأجل أخذهم بالتأويل الى اليهود والنصارى، فاذا لهم جداول وحسابات يستخرجون بها شهورهم ويعرفون منها صيامهم، والمسلمون مضطرون إلى رؤية الهلال وتفقد ماكستاه القمر من نور وجدوهم شاكين في ذلك مختلفين فيه مقلدين بعضهم بعضا في عمل رؤية الهلال بطرق الزيجات فرجعوا الى أصحاب علم الهيئة فألفوا زيجاتهم مفتتحة بمعرفة أوائل ما يراد من شهور العرب بصنوف الحسابات فظنوا أنها معمولة لرؤية الأهلة فأخذوا بعضها ونسبوه إلى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وزعموا أنه سرّ من أسرار النبوّة، وتلك الحسابات مبنية على حركات التدبير الوسطى دون المعتدلة ومعمولة علة سنة القمر التي هي ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس يوم وسدس يوم وأن ستة أشهر من السنة تامة وستة أشهر ناقصة وان كل ناقص منها فهو تا لتام ،فلما قصدوا استخراج الصوم والفطر بها خرجت قبل الواجب بيوم في أغلب الأحوال فأولوا قوله عليه السلام صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وقالوا معنى صوموا أي صوموا اليوم الذي يرى في عشيته، كما يقال تهيئوا لاستقباله فيقدم التهيؤ علىا الاستقبال قال ورمضان لا ينقص عن ثلاثين يوما أبدا...

المصدر: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي(تـ845هـ)، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،المعروف بالخطط المقريزية،ج1 مكتبة الثقافة الدينية،ط2–1987،ص 492.

ملحق: رقم(5).

خريطة الدولة العبيدية في أوج توسعها.



المرجع:ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، تحقيق وتعليق: جلول أحمد بدوي،المؤسسة الوطنية للكتاب،1984، ص131.

ملحق: رقم(6)

الشيعة والإمامـة

تعتبر الإمامة المحور الذي تدور عليه عقائد الشيعة على اختلاف فرقهم، فهي بنظرهم إحدى دعائم الدين، فلا دين لمن لا يعتقد بإمامة الأئمة من أهل بيت الرسول-صلى الله عليه وسلم-ويضيفون قولهم: إن الله تعالى لا يقبل عمل مسلم إذا لم يكن يؤمن بولاية الائمة ويطيعهم كطاعته للرسول، لأن الله تعالى قال في كتابه الكريم:" **طِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** "[1]،ويروي علماء الشيعة عن الإمام جعفر الصادق أن سائلاً سأله عن تأويل هذه الآية فكان جوابه: إيانا عنيَ بهذا، بنا يعبد الله، وبنا يطاع الله، وبنا يعصى الله، فمن أطاعنا فقد أطاع الله، ومن عصانا فقد عصى الله، وقال أيضاً: سبقت طاعتنا عزيمة من الله إلى خلقه، إنه لا يقبل عملاً من أحدٍ إلاَّ بنا، ولا يرحم أحداً إلا بنا، ولا يعذب احداً إلا بنا، فنحن باب الله وحجته، وأمناؤه على خلقه، وحفظة سره، ومستودع علمه، ليس لمن منعنا حقنا في ماله نصيب ،والشيعة مجمعون على أن الله سبحانه وتعالى قرن الأئمة بمحكم الكتاب وجعلهم قدوة الأولي الألباب، وسفناَ للنجاة، والعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وأماناً للأمة من الاختلاف إذا عصفت عواصف الشقاق، وباب حطة يغفر لمن يدخلها، ويستشهدون أيضا بأقوال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب التي تضمنتها إحدى خطبه: فأين تذهبون، و أين تؤفكون، والاعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزِمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فانزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش، أيها الناس خُذوها من خاتم النبيين إنه يموت من مات منا وليس بميت ،ويبلى من بلي منا وليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإن أكثر الحق فيما تنكرون واعذروا من حجة لكم عليه وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم بالثقل الأصغر ،وركزت فيكم راية الإيمان...[2]

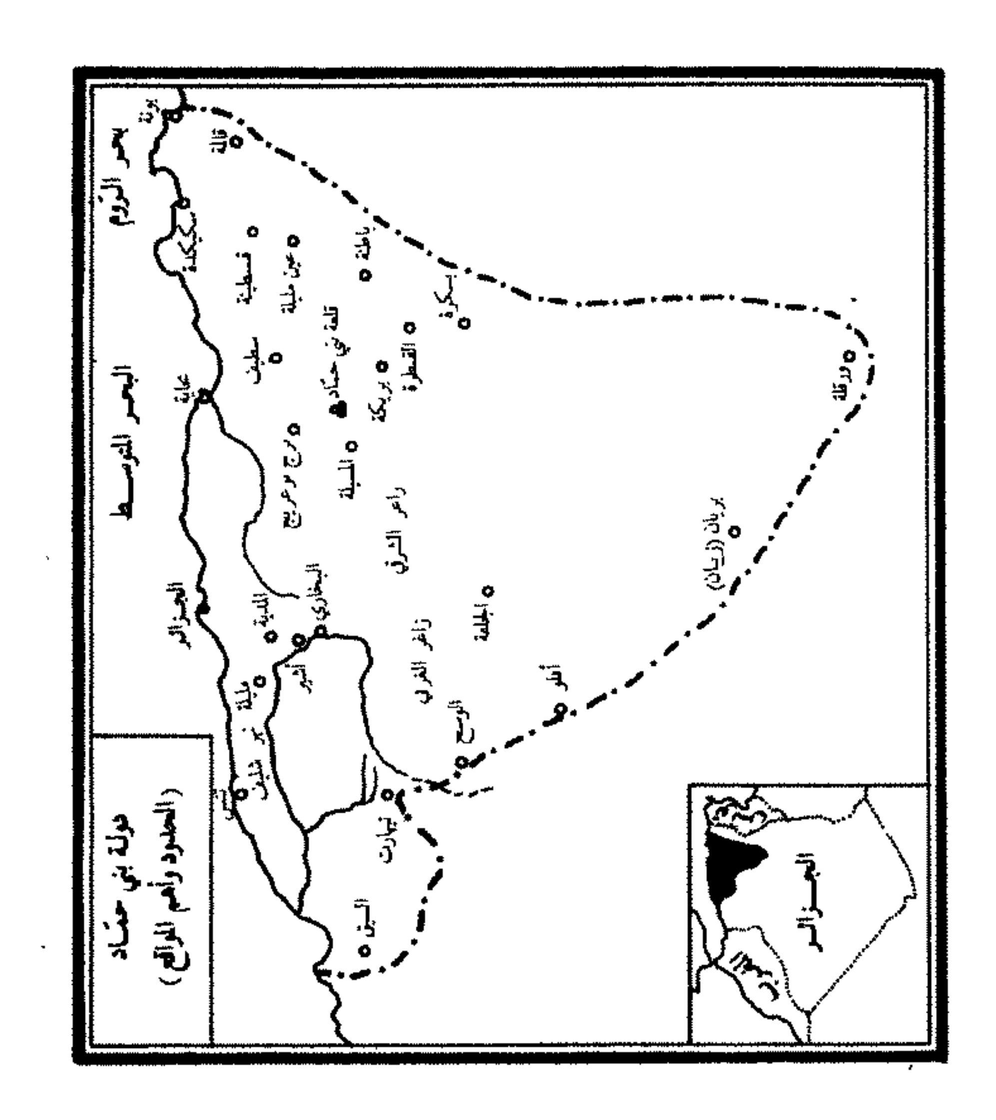
---

[1] - سورة النساء، الآية 59.

[2] - أحمد بن إبراهيم النيسابوري، كتاب اثبات الإمامة، تحقيق وتقديم: مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،1416هـ/1996م، بيروت،ص8، 9.

ملحق: رقم(7).

حدود الدولة الحمادية



المرجع: عبد الحليم عويس، دولة بني حماد،97.

ملحق: رقم (8)

المذاهب والعقائد

ومن سكان جبال بجاية من أهل كتامة فانهم على مذهب الشيعة يكرمون من مال إلى مذهبهم ويبرون من وافق اعتقادهم، كما أن أهل جبال أوراس وباغاية واحدى مدن" بنطيوس " كانوا على رأي الخوارج ويعرفون بالواصلية اباضية المذهب، أما أهل تهودة بالجنوب الشرقي من مدينة بسكرة فهم يومئذ على ما ذهب إليه أهل العراق من الأحناف وأما أهل بسكرة نفسها فيقول البكري عنهم: أن ببلدهم هذا علما كثيرا وأنهم على مذهب أهل الدينة.....

المصدر: البكري، المصدر السابق،ص52، 72، 73، 82، 144.

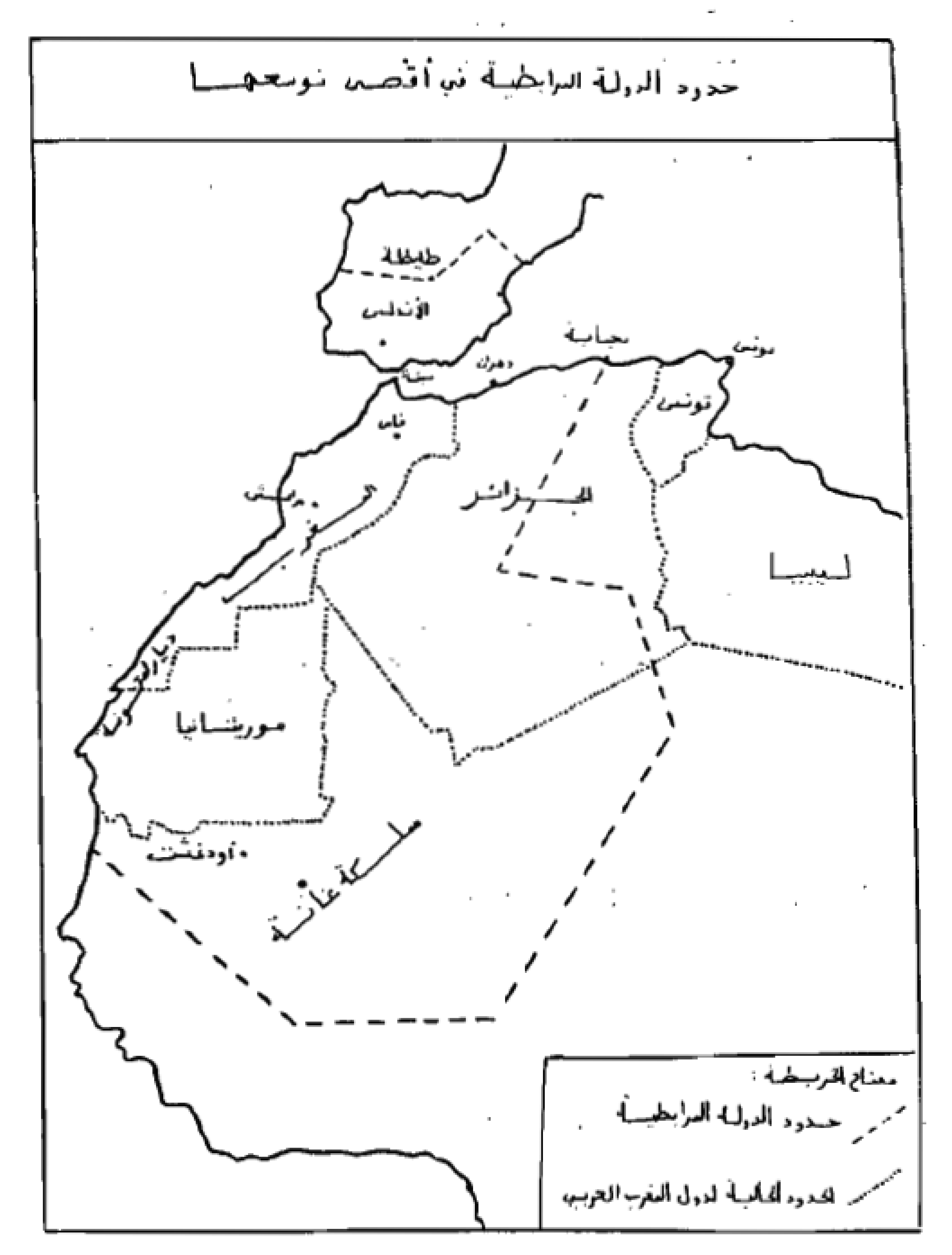
ملحق: رقم(9).

رأي أبي العباس أحمد الغبريني في كتاب: التفكر فيما تشمل عليه السورة الآيات من المبادئ والغايات، لأبي علي حسن المسيلي.

"... هو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب الإحياء وبه سمي أبو حامد الصغير، وكلامه فيه أحين من كلام أبي حامد وأسلم، ودل كلامه فيه على إحاطة بعلم المعقول والمنقول وعلم الظاهر والباطن، ومن تأمل كلامه أدرك ذلك بعلم اليقين ولم يفتقر فيه إلى تبين وهو كثير الوجود بين أيدي الناس، وكثير وجود الكتاب دليل على اعتناء الناس به وإيثارهم له. ولقد رأيت على نسخة من نسخة ما نصه:" اعلم وفقك الله أن هذا الكتاب حسن في معناه مخترع في الترتيب ومبناه، قل فيه ما ينتقد، وكثر ما يعتقد، سلك مؤلفه فيه مسالك المهتدين، وترك مهالك الضاليين المعتدين، فهو فيه على صراط مستقيم، ومقصد قويم، طرزه بمعنى الكتاب العزيز فجاء كالذهب الابريز وسلم فيه من غلو الغالين وتحريف المبطلين وتأويل الجاهلين، نفعه الله به آمين وصلى الله على محمد وعلى جميع الملائكة والنبيين وسلم والحمد لله رب العالميين".

المصدر: أبي العباس أحمد الغبريني، المصدر السابق،(طبعة بيروت: ص33، 34)و (طبعة الجزائر، ص67).

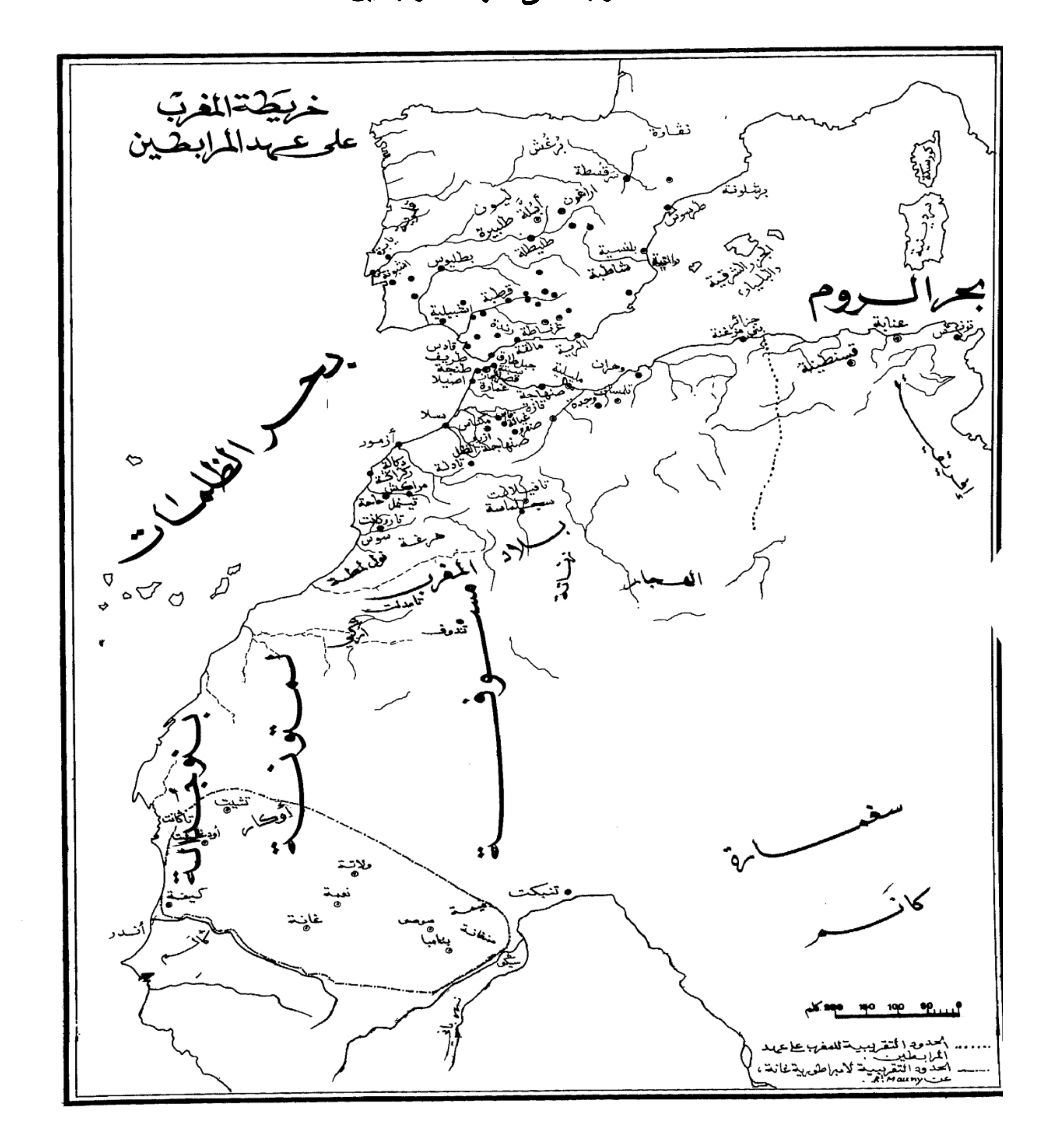
ملحق: رقم(10)
حدود الدولة المرابطية في أقصى توسعها



المرجع: إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع-الذهنيات-الأولياء، دار الطليعة للطباعة، والنشر، بيروت، ص11

ملحق:رقم(11)

المغرب على عهد المرابطين



المرجع: عبد الهادي التازي من كتاب: عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج5،عهد المرابطين، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية،1987/1407،ص24.

ملحق: رقم (12)

رسالة يوسف بن تاشفين إلى صاحب قلعة بني حماد

ورد كتابك الذي أنفذته من وادي منى ُ، منصرفك من الوجهة التي استظهرت عليها بأضدادك، وأجحفت فيها بطارفك وتلادك، واخفقت من مطلبك ومرادك، فوقفنا على معانيه، وعرفنا المصرح به والمشار إليه فيه، ووجدناك تتجنى وتثرب على من لم يستوجب التثريب، وتجعل سيئك حسنا، ومنكرك معروفا، وخطأك صوابا بيّنا، وتقضي لنفسك بفلج الخصام، وتوليها الحجّة البالغة في جميع الأحكام، ولم تتأوَّل أن وراء كل حُجة أدْليتها ما يدْحضها، وإزاء كل دعوى أبرمتها ما ينقضها، وتلقاء كل شكوى صحّحْتها ما يُمرضها، ولو لا استنكاف الجدال، واجتناب تردّدِ القيلِ والقال، لنصصنا فصول كتابك أولا بأولا، وتقريناها تفاصيل وجُملا، وأضفنا إلى كل فصلٍ ما يُبْطله، ويُخْجل من ينتحله، حتى لا يدفع لصحته دافع، ولا ينبو عن قُبول أدلته راءٍ ولا سامع، ولا يختلف اعترافا به دانٍ و لا شاسع.

وفي فصل منها: وننشدك الله الذي ما تقوم السماء والأرض إلا بأمره، ألم نكن عندما نزغ الشيطان بينك وبين أبي عبد الله محمد بن يوسف رحمه الله، وتفاقم الشنآن ،قد توفرنا على ما كان بالحال من إقلاق، وتأخرنا عما كانت النصبة تستقدم إليه من بدار أو سباق، ولم نمد الجهة حق إمدادها، ولا كثرنا فوق ما كان يلزم من جماهير أعدادها، ولا عدلنا عن جهاد المشركين، ولا أقبلنا إلا على ما يحوط حريم المسلمين، رجاء أن يثوب استبصار، او يقع أقصار، وأنت خلال ذلك تحتفل وتحشد، وتقوم بحمية وتتقعد، وتبرق غضبا وترعد ،وتستدعي ذؤبان العرب وصعاليكهم من مبتعد ومقترب، فتعطيهم ما في خزائنك جزافا، وتنفق عليهم ما كنزه أوائلك إسرافا، وتمنح أهل العشرات مئين وأهل المئين آلاف، كل ذلك تعتضد بهم، وتعتمد على تعصبهم لك وتألبهم، وتعتقد أنهم جنتك ممن المحاذير وحماك دون المقادير وتذهل عما في الغيب من أحكام العزيز........بتصرف.

المصدر: أبي الحسن علي بن بسام الشنتيري(542)،الذخيرة في محان أهل الجزيرة، القسم الأول-المجلد1،تحقق: احسان عباس،دار الثقافة،بيروت 1417ه/1997م،ص 207-209.

ملحق :رقم(13)

العقيدة والمرشدة عند ابن تومرت

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلم أرشدنا الله وإياك أنه وجب على كل مكلف أن يعلم أن الله عزّ وجل واحد في ملكه، خلق العالم بِأسره العلوي والُسفلي والعرش والكرسي والسماوات والأرض وما فيهما ،وما بينهما جميع الخلائق مقهورين بقدرته، لا تتحرك ذرّة إلا بإذنه، موجود قبل الخلق، ليس له قبلُ ولا بعدُ، ولا فوقُ ولا تحتُ، ولا يمينُ ولا شمالُ، ولا أمامُ ولا خلفُ، ولا كلُ ولا بعضُ، لا تخصص في الذهن ولا يتمثل في العين ،لا يتصور في الوهم، ولا يتكيف في العقل، لا تلحقه الأوهام والأفكار، ليس كمثله شيء ،وهو السميع البصير، ليس معه مُدبر في الخلق، ولا له شريك في الملك، حي قيوم لا تأخذه سنةٌ ولا نوم، عالم الغيب والشهادة ،لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما في البرِّ والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ،ولا رطب و لا يابس إلا في كتاب مبين، أحاط بكل شيء عددا فعال لما يريد، قادر على ما يشاء، له الملك والغنى، وله العزّةُ والبقاء، وله الحُكم والقضاء، وله الأسماء الحُسنى، لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، ولا يرجو ثوابا ولا يخاف عقاب ،ليس عليه حقٌ، ولا عليه حُكم، فكل نعمة منه فضلٌ، وكل نقمة منه عدلٌ، لا يسأل عما يفعل، وهم يُسألون، لا يقال متى كان؟ ولا أين كان؟ ولا كيف كان؟ ولا مكان كون المكان ودبر الزمان، لا يتقيد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان لا يلحقه وهمٌ، ولا يكفيه عقل فليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

المصدر: محمد بن تومرت(المهدي)،أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر،الرباط، المغرب، ص224.

ملحق:رقم(14)

رسالة أبو العلا المأمون إلى بلاده ,خروجه عن نهج الموحدين

وهذه الرسالة المذكورة، من عبد الله ادريس أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أبن أمير المؤمنين إلى الطلبة والأعيان والكافة ومن معهم من المؤمنين والمسلمين اوزعهم الله شكرا أنعمه الجسام، ولا اعدامهم طلاقة أوجه الأيام الوسام، وأنا كتبناه اليكم، كتب الله لكم عملا منقادا، وسعدا وقادرا، وخاطرا سليما، لايزال على الطاعة قائما مقيما، من مراكش كلاها الله تعالى، وللحق لسان ساطع، وحسام قاطع، وقضاء لا يرد، وباب لا يسد، وظلال على الآفاق لمحو النفاق يعد، والذي نوصيكم به تقوى الله والاستعانة به والتوكل عليه ،ولتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق، وان لا مهدي إلا عيسى ابن مريم، وما سمي مهديا إلا أنه تكلم في المهد وتلك بدعة قد أزلناها، والله يعيننا على القلادة التي تقلدناها، وقد ازلنا لفظ العصمة عمن لا تثب له عصمة ،فلذلك ازلنا عنه رسمه، فتسقط وتبت وتمحى ولا تثبت، وقد كان سيدنا المنصور –رضي الله عنه– هم ان يصدع بما به الآن صدعنا وان يرفع للأمة الخرق الذي رقعنا، فلم يساعده لذلك امله، ولا اجله اليه اجله، فقدم على ربه بصدق نية وخالص طوية، واذا كانت العصمة لم تثبت عند العلماء للصحابة ،فما الطن بمن لم يدر بأي يد يأخذ كتابه، أُفٍ لهم قد ضلوا ,اضلوا، و لذلك ولوا وذلوا، ما تكون لهم الحجة على تلك المحجة، اللهم أشهد اللهم اشهد انا قد تبرأنا منهم تبرؤ أهل الجنة من أهل النار، ونعود بك يا جبار من فعلهم الرثيب، وأمرهم الخبيث ،أنهم في المعتقد من الكفار، وأنا فيهم كما قال نبيكم عليه السلام " **ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً**" والسلام على من اتبع الهدى واستقام.

المصدر، ابن عذاري المراكشي،المصدر السابق(قسم الموحدين)، ص286، 287.

ملحق: رقم(15)

المراسلات والمناظرات

* المناظرة الواقعة بين أبي زيد بن الإمام (تـ 743هـ-1342م) وأبي موسى عمران بن موسى المشدالي(تـ 745هـ-1344م) في مجلس السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو حول صفة اجتهاد ابن القاسم العتقي، هل اجتهاده مطلق أو مقيد؟

* وفي مجلس السلطان أبي تاشفين -أيضا-دارت مناظرة بين أبي زيد ابن الإمام وأبي إسحاق ابن الحكم السلوي على حديث " لقنوا موتاكم لا إله إلا الله " هل الملقن محتضر حقيقة مجازا؟

* جرت بينهما - أيضا-مناظرة أخرى في معنى اللبس في حديث أنس:" فقمت الى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس."

* تعقيب أبي القاسم الغبريني (722هـ -1370م) على فتوى التلمسانيين (الإمام الشريف التلمساني وبلديه الفقيه أبي عبد الله المقري) المتعلقة بـ " من أوصى بثلث ماله، واشترط أنه لا يرجع في وصيته" وتصدى الخطيب بن مرزوق للرد على الغبريني انتصار للمفتيين التلمسانيين ، ثم مناظرة الشريف التلمساني وتعقيبه على اعتراض الغبريني وما كتبه ابن مرزوق.

* المناظرة التي وقعت بين أبي العباس القباب (تـ778هـ-1376م) والقاضي أبي عبد الله محمد القشتالي (تـ 777هـ-1375م) في مسألة " مراعاة الخلاف في المذهب المالكي" ومشاركة أبي إسحاق الشاطبي(تـ 790هـ-1388م) في هذه المناظرة وقد أظهر بحثا جليلا مع الإمامين القباب وابن عرفة(تت803هـ-1400م).

* ومن ذلك ما وقع بين الإمام أبي العباس القباب والإمام سعيد العقباني (تت 811هـ-1408م) من مناظرات ومراجعات في مسائل جمعها العقباني، وسماها " لباب اللباب في مناظرة القباب"

المصدر:الشريف ابن عبد الله محمد بن احمد الحسيني التلمساني ،مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تحقيق محمد علي فركوس- المكتبة المالكية- مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع. ص 37-39.

ملحق: رقم(16)

الرحلات العلمية

كانت الرحلة العلمية إحدى الوسائل المهمة المساعدة على نقل المعارف والعلوم في تلك الحقبة التاريخية التي تميزت برحلات واسعة النطاق إلى المشرق الإسلامي على وجه الخصوص طلبا للعلم وتأدية للحج، ثم الرجوع إلى الأوطان ، بزاد علمي واسع وبضاعة وافرة، وبهذا التحصيل يمكنهم بلوغ أرقى المستويات واعلي المناصب.

* رحلة أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت 680هـ–1284م) ،رحل إلى المشرق مرورا بتونس والقاهرة، والتقى بشهاب الدين القرافي ، وشمس الدين الأصفهاني، وسيف الدين الحنفي ، وابن دقيق العيد وغيرهم.. ثم عاد إلى مسقط رأسه، واستقدمه السلطان يغمراسن إلى تلمسان.

* أبي منصور بن احمد بن عبد الحق المشدالي الزواوي البجائي ،(ت731هـ–1331م) حيث قام برحلة مشرقية طويلة، استغرقت نيفا وعشرين سنة، أخذ العلم عن العز بن عبد السلام ،وشرف الدين ابن السبكي وغيرهما، ثم عاد بعلوم كثيرة من الأصول والفقه والأدب والكلام وغيرهما..

* أبي زيد بن الإمام (ت743هـ–1342م)، وشقيقه أبي موسى (ت750هـ–1349م) رحلا إلى المشرق فأخذ عن أكابر العلماء في ذلك الوقت ، واجتمعا بشيخ الإسلام ابن تيمية ثم عادا إلى تلمسان وأقاما يدرسان بها.

* القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد النور الندرومي (ت 749هـ–1348م)، كانت له رحلة إلى المشرق لقي بها جلال الدين القزويني (ت739هـ–1338م) بمشق.

* أبي عبد الله محمد بن ابراهيم العبدري التلمساني(ت757هـ–1356م)،قام برحلة إلى المشرق عند الحصار الطويل على تلمسان، وسافر إلى الحجاز مرورا بتونس ومصر والشام، ولقي العديد من أجلة العلماء كابن دقيق العيد وغيره.

* أبي عبد الله محمد بن محمد بن احمد القريشي المقري التلمساني (ت 759هـ–1357م) وله رحلة إلى بلاد المشرق التقى بجملة من العلماء، وقد صنف لرحلته كتابا سماه "نظم اللالي في سلوك الأماني".

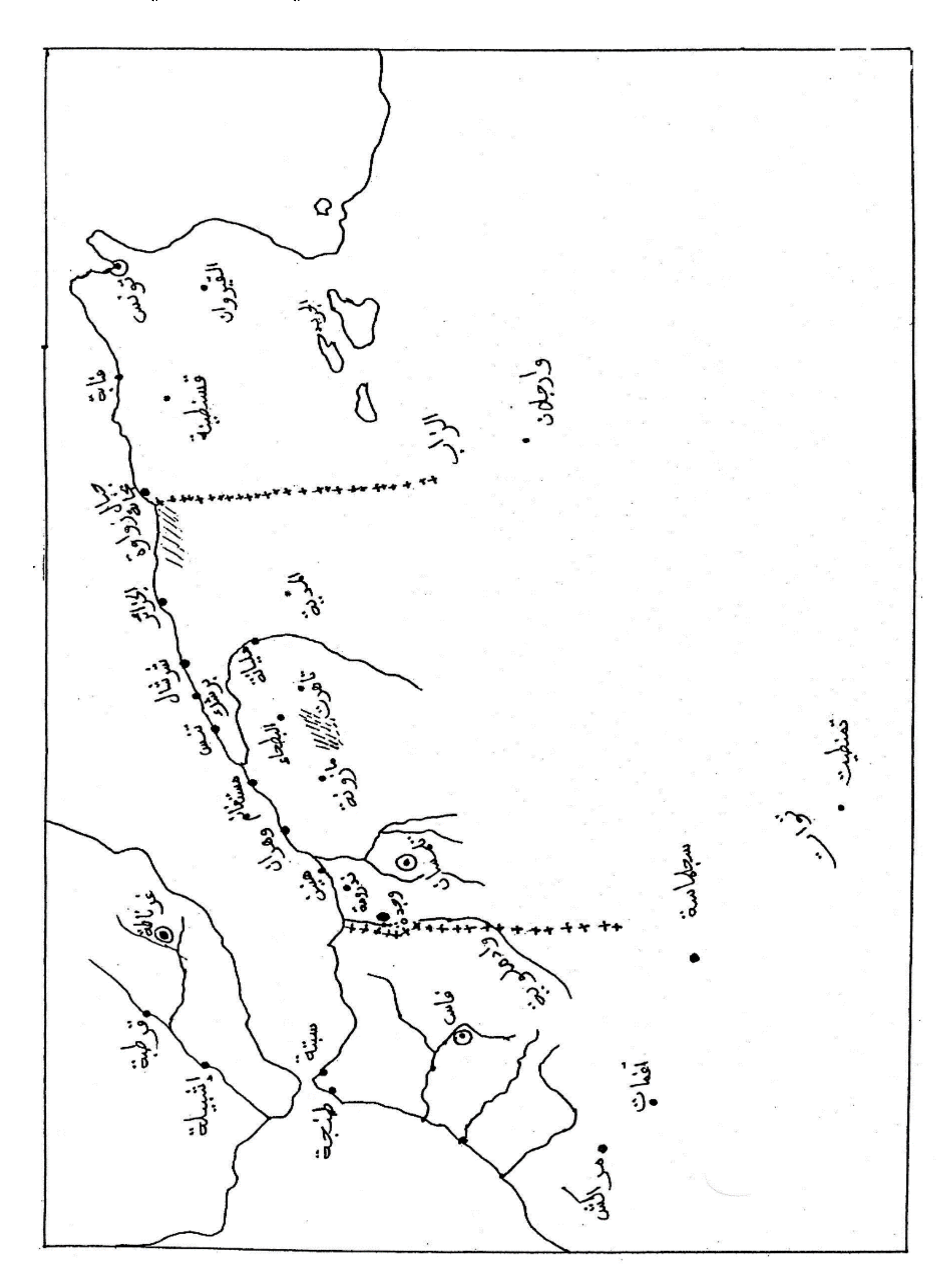
* أبي العباس احمد بن الحسن المديوني التلمساني (ت768هـ–1367م) وله رحلة إلى المشرق لقي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني وغيره أحد أعلام مصر والشام، كما أجازه أبو جعفر بن الزبير (تت708هـ–1308م).

* أبي عبد الله محمد بن احمد بن مرزوق العجسيي (ت780هـ –1378م) له رحلة قام بها نحو الحجاز مرورا بعدة أقطار استغرقت ما يربو خمسة عشر سنة، وقد سماها " عجالة المستوفر المستجاز، في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز، وهذا العمل هو عبارة عن برنامج يحتوي قائمة عريضة بأسماء المشايخ الذين التزمهم المصنف حال تلميذته عليهم او الذين اخذ عنهم في فترات متقطعة.

المصدر: الشريف ابن عبد الله محمد بن احمد الحسيني التلمساني ،مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، ص 35–37.

ملحق:رقم (17)

خريطة تمثل المراكز الثقافية ببلاد المغرب الأوسط في العهد الزياني(8هـ/14م).



عاصمة دولة بني زيان"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص584.

فهرس الأعلام

-أ-

-ش-

-ص-

-ط-

-ع-

فهرس الأماكن

-أ-

-د-

-ز-

-س-

-ش-

-ص-

-ط-

-ع-

-غ-

البيبليوغرافيا

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر:

1. ابن أبي دينار القيرواني،محمد بن أبي القاسم الرعيني:
- كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس،ط1،مطبعة الدولة التونسية وحاضرتها المحمية 1286.
- كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط3، تحقيق وتعليق: محمد شمام المكتبة العتيقة، تونس، 1387هـ.

2. ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر الصنهاجي البلنسي:
التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1415هـ/1995/.

3. ابن الأثير،أبي الحسن علي بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم، بن عبد الواحد الشيباني،الجزري، والملقب بعز الدين،ت سنة630هـ/1232م:
- الكامل في التاريخ(من سنة 218هـ لغاية 318هـ)، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، المجلد6، ط1، 1407هـ / 1987م ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- اللباب في تهذيب الأنساب، ج2، مكتبة القدسي القاهرة،1357م.

4. ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل:
- روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط-1962.

5. ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج، (ت510-597هـ):
- صفوة الصفوة، تحقيق: خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، لبنان،1433هـ/2012م.

6. ابن الصغير(القرن الثالث الهجري):
- أخبارالأئمة الرستميين، تحقيق: محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دارالغرب الإسلامي، 1986، بيروت.

7. ابن الفرضي، أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، (ت403هـ):
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ج1، تحقيق عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1373هـ/1954م.

8. ابن بشكوال (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي):
- صلة الصلة، تحقيق شريف أبو العلا العدوى، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ج3

9. ابن تومرت ،محمد:

- أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق: عمار طالبي، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.

10. ابن تيمية، أحمد:

- مجموع الفتاوى، ج3، دار الفضاء بالمنصورة، ط1، مكتبة العبيدات، الرياض، 1418هـ /1998م.

11. ابن حزم الأندلسي(384هـ-456هـ):

- جمهرة أنساب العرب،تحقيق:عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة.

12. ابن حماد، أبي عبد الله محمد بن علي:

- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة، وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).

13. ابن خلدون ،أبوزيد عبد الرحمن ،(732هـ-808هـ/1332م-1406م):

- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج3، ضبط المتن: خليل شحاذة، ومراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1421هـ/2000م.

- المقدمة، دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع،1421هـ/2000م.

14. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر،(681-608هـ):

- وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، ج1، حققه: احسان عباس، دار صادر، بيروت.

15. ابن عذاري المراكشي:

- البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ج1، حققه وراجعه: ج.س. كولان، وليفي بروفنسال، دارالثقافة، ط2، بيروت، 1980، ص196.

16. ابن فرحون، ابراهيم بن نور الدين المالكي (ت799هـ):

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط1، دراسة وتحقيق: مأمون بن يحي الدين الجنان، 1417هـ/ 1996مدار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

17. أبو العباس أحمد الخطيب،المشهور بابن قنفد القسنطيني(ت810هـ/1407-1408م):

- شرف الطالب في المطالب، تحقيق: عبد العزيز صغير دخان، ط1، مكتبة الرشد ناشرون،1424هـ/2003م، المملكة العربية السعودية.

- أنس الفقير وعز الحقير، أعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي،أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي،مطبعة أكدال،الرباط.

18. ابن قتيبة، أبو محمد عبد بن مسلم ،ت276هـ:

– المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، طبع دار المعارف بمصر، ط 2، 1969

19. إبن مرزوق، محمد:

– المسند الصّحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر،1981.

20. ابن مريم، أبوعبد الله محمد بن أحمد، (كان حيا سنة 1014هـ/1605م):

– البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، 1986م.

21. أبو الحسن اللخمي القيرواني:

– فتاوى أبي الحسن اللخمي القيرواني، تحقيق حميد بن محمد لحمر، دار المعرفة، الدار البيضاء، (دت)

22. أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري، المتوفي سنة465هـ/1072م:

– الرسالة القشيرية، وضع حواشيها: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2001.

23. أبو زكر يا يحي بن محمد ابن خلدون (ت780هـ/1378م):

– بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1980.

– بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،المجلد1،طبع بمطبعة بيير فونطانا الشرقية في الجزائر 1321هـ/1903م.

24. أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي:

– رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، ج2، ط2. 1414هـ/1994، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

25. أبي زكريا يحي:

– كتاب سير الأئمة وأخبارهم، حققه:إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

26. أبي عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي، ت243هـ:

–الرعاية لحقوق الله تعالى، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

27. أحمد ابن أبي الضياف:

– إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج1، تحقيق ونشر: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ط، تونس1963.

28. أحمد بن زكريا التلمساني:

– غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق: محند أو إيدر مشنان، المجلد1، ط1، دار التراث، دار ابن حزم، الجزائر، 2005.

29. احمد بن محمد المقري التلمساني:

– نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه: إحسان عباس، المجلد2، دار صادر، بيروت– 1428هـ/1988م.

– نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، المجلد5، دار صادر، بيروت، 1428هـ/1988م.

30. الاستقرائني، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت (د.ت).

31. الأشعري، أبا الحسن علي بن أبي إسماعيل:

– مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، ط1/1369هـ/1950، مكتبة النهضة المصرية.

32. أشي الوادي، شمس الدين محمد بن جابر:

– برنامج بان جابر الوادي أشي التونسي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس.

33. الاصفهاني، ابي نعيم احمد بن عبد الله، ت430هـ:

– حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ج3، مكتبة الخانجي، دار الفكر للطباعة والنشر، 1416هـ/1996م، بيروت، لبنان.

34. الإمام سحنون بن سعيد التنوخي:

– المدونة الكبرى، رواها عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي عن إمام دار الهجرة وأوحد الأئمة الأعلام أبي عبد الله الإمام مالك بن أنس الأصبحي، مطبعة السعادة، مصر.

35. البرادي ، أبو القاسم محمد بن إبراهيم (ق8هـ):

- الجواهر المنقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات، طبع حجرية قسنطينة، 1302هـ.

36. البغدادي المالكي، أبو محمد عبد الوهاب:

- التلقين في الفقه المالكي، تحقيق ودراسة: محمد ثالث سعيد العاني، (2-1)، مكتبة نزار مصطفى الباز، الراض، السعودية.

37. البيذق، أبو بكر علي الصّنهاجي:

- أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.

38. التادلي، أبي يعقوب يوسف بن يحي، (تـ617هـ/1220م):

- التشوف إلى أخبار التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، ط2، 1997، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

39. التنبكتي، أبو العباس، أحمد بابا بن أحمد الصنهاجي الماسي، (ت1036هـ/1627م):

- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج2، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1429هـ/2004م، القاهرة.

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: علي عمر، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1422هـ/ 2004م، القاهرة.

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه: طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، (ج1-2)، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398 هـ/1989م، الجمهورية الليبية.

40. التنسي، محمد بن عبد الله :(899هـ/1493م):

- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

41. التهانوي، محمد علي بن علي:

- كشاف اصطلاحات الفنون، ناشر الكتاب: أحمد جودت، المجلد1، برخصة نظارة المعارف الجليلة المرقمة376، والمؤرخة في 29 ربيع الأول سنة1315هـ، طبع في مطبعة (اقدام) بدار الخلافة سنة1317هـ.

42. الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف:816هـ/ 1413م:

- كتاب التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة.

43. الجوهري، أبي نصرإسماعيل بن حماد، تـ398هـ:

- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه: محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، 1430هـ/2005م، القاهرة.

44. الحميدي، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، (تـ488هـ):

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (تـ488هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.

45. الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، المتوفي 255هـ:

- كتاب المسند الجامع، وهو أصل المتن المشروح المسمى: بفتح المنان، المطبوع عام 14116-1419هـ، خدمه وأعتى به: نبيل بن هاشم بن عبد الله الغمري الريا علوي، ط1، دار البشائر الإسلامية للطباعة للنشر والتوزيع، 1434هـ/2013م.

46. الدباغ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري، (ت696هـ/1320م):

- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج2، مكتبة الخانجي، مصر، 1968م.

47. الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد:

- كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: طلاي إبراهيم، ج1، قسنطينة، مطبعة البعث، ط 1974.

48. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الحافظ،748هـ/1347م: العبر في خبر من عبر، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط1، ج3، دار الكتب العلمية، 1985، بيروت، لبنان.

- ميزان الاعتدال، ج1، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان سير أعلام النبلاء، سير أعلام النبلاء، ج20، تحقيق وإخراج شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط11، 1996

- مناقب الإمام الأعظم ابي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، تحقيق ودراسة: قسم التحقيق بالدار، دار الصحابة للتراث بطنطا، للنشر والتحقيق والتوزيع، ط1، 1413هـ/1993م.

49. السبتي،القاضي عياض بن موسى،(تـ سنة544هـ):

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ط3، 1403هـ/1983م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

- الغنية، تحقيق:ماهر حرار،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1982.

50. السجستاني، أبي داود سليمان بن الأشعث،202هـ/275هـ:

- سنن أبي داود، ج1، حققه وضبط نصه وأخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قرة بللي، ط1، 1413هـ/ 2009م.

51. السني، ابن رشيد:

- ملء العيبة بما جمع بطول العيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، ج5، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1988

52. السيوطي، جلال الدين:

- خاتمة الحفاظ (تـ911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، علق عليه: مصطفى شيخ مصطفى، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون،1429هـ /2008م، بيروت.

53. الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد، (تـ 928هـ):

- السير، طبع حجري، قسنطينة، 1301هـ.

54. الشهرستاني، أبا الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، (548-479هـ):

- الملل والنحل، ج1، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1395هـ/1975م ،بيروت، لبنان.

55. الضبي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (599 هـ/1203م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ج2، 1401هـ/1989م.

56. عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري الدباغ ،(ت696هـ/1320م):

- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج2، مكتبة الخانجي، مصر، 1968م.

57. عبد الرزاق الكيلاني:

- عبد القادر الجيلاني، الإمام الزاهد القدوة، ط1، 1414هـ/1994م، دارالقلم، دمشق.

58. عبد الملك بن حبيب الأندلسي ابن مروان السلمي(174هـ-238هـ):

- الواضحة (كتب في الصلاة، وكتب في الحج)، رواية يوسف بن يحي المغامي وغيره عن ابن حبيب، دار البشائر الإسلامية، ط:1431هـ/2010، بيروت، لبنان.

59. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (773هـ-852هـ):

- الإصابة في تميز الصحابة، ط1، المكتبة العصرية، 1433هـ/2012م، صيدا، بيروت.

60. علي ابن أبي ورع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

61. الغبريني، أبو العباس احمد أحمد بن أحمد ، ت704هـ/1305م:

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، الطبعة الثانية، 1979م، بيروت.

62. الغزالي، أبا حامد:

- أيها الولد، تقديم وتحقيق وفهرسة: جميل إبراهيم حبيب، صدر عن دار القادسية (د.ت).

63. القاضي النعمان:

- افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر.

- اختلاف أصول المذاهب، تحقيق مصطفي غالب، ط3 ، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1983.

64. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان، المتوفي سنة465هـ/1072م:

- الرسالة القشيرية، وضع حواشيها: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2001.

65. القلصادي، ابي الحسن علي الأندلسي:

- رحلة القلصادي، (توفي بباجة إفريقية سنة891هـ)، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع- تونس

66. القلقشندي، أبو العبّاس أحمد:

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، المؤسّسة المصريّة العامّة، (دت).

67. القيرواني، أبي محمد عبد الله بن أبي زيد ، المتوفي 386هـ:

- الرسالة: في فقه الإمام مالك، ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد علي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

68. لآغا بن عودة المزاري:

- طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، ج1، دار البصائر، الطبعة الأولى، 2007، الجزائر، ص116.

69. لأمام دار الهجرة مالك بن أنس(179-93هـ):

- الموطأ برواية: بن يحي الليثي(234-152هـ)، وعليه زيادات: رواية أبي مصعب الزهري المدني(242-150هـ) ورواية: محمد بن الحسن الشيباني(189-121هـ)، تحقيق: كلا حسن علي، ط1: 1434هـ/2013م، مؤسسة الرسالة ناشرون.

70. لسان الدّين بن الخطيب(ت776هـ/1374م):

- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، مطبعة الموسوعات، مصر، 1901.

- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب اعمال الأعلام، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدارالبيضاء، 1964.

71. المبرد، أبي العباس محمد بن يزيد:

- الكامل المبرد، حققه وعلّق عليه وصنع فهارسه: محمد أحمد الدالي، المجلد4، مؤسسة الرسالة.

72. المحاسبي، أبي عبد الله الحارث بن اسد ، ت243هـ:

- الرعاية لحقوق الله تعالى، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

73. محمد الأندلسي الوزير السراج:

- الحلل السّندسيّة في الأخبار التّونسيّة، ج2، تحقيق: محمّد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985.

74. المراكشي، عبد الواحد ،(ت 647هـ):

-وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق:حسين مؤنس، ط1، 1997، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدّين الهوّاري، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 2006.

- المعجب في تلخيص اخبار المغرب، الكتاب الثالث، تحقيق: محمد سعيد العريان، 1283هـ/1962م، القاهرة.

75. المسعودي، أبي الحسن بن علي (ت346هـ/957م):

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، أعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط1-1425هـ/2005م.

76. المقديسي، شمس الدين أبو عبد الله:

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تعليق: محمد أمين الضناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيرت، لبنان، ط1، 2003

77. المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد ،(ت1401هـ/1631م):

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج7، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.

78. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، ت845هـ:

-اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا،تحقيق:جمال الدين الشيال،ج1،ط2، 1416هـ/ ،القاهرة،1996.

- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، المعروف بالخطط المقريزية، ج2، ط2، الناشر مكتبة الثقافة الدينية،1987.

79. مؤلف مجهول أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري:

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه: سهيل زكار، عبد القادر زمانة، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء.

80. النبهاني، يوسف بن إسماعيل (1350-1265هـ):

-جامع كرامات الأولياء، ط1، نحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض، ج1، مركز أهل سنت بركات رضا، 1322هـ/2001م.

81. النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق: الفهرست، ضبط وشرح: يوسف علي الطويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996.

82. النووي، أبي زكريا محمد الدين بن شرف، ت676هـ،:

- تهذيب الأسماء واللغات،الجزء الأول من القسم الأول، دار الطباعة المنيرية، بطلب من دار الكتب العلمية، بيروت.

83. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:

– نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، تحقيق: عبد الحميد توحيني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

– نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24(الجزء22 من تصنيف النويري)، تحقيق: محمد جابر عبد العالي الحبني، ومراجعة: إبراهيم مصطفى، المكتبة العربية، يصدرها المجلس الأعلى بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب (مركز تحقيق التراث)– القاهرة– مصر– 1404هـ /1984م.

84. هود بن محكم الهواري، ت280هـ:

– تفسير كتاب الله العزيز، حققه: بالحاج سعيد شريفي، ط1، 1990م، ج1، دار الغرب الإسلامي.

85. الوراق:

– الفهرست، ج1، تحقيق: رضا تجدد، (د.ت).

86. الورجلاني، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم (ت570هـ):

– الدليل لأهل العقول، ج2، المطبعة البارونية بطالون الحجرية،1036هـ.

– كتاب الدليل والبرهان، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، (ج1–ج2) وزارة التراث والثقافة، مسقط، عمان،1427هـ/2006م.

87. الوسياني، أبي الربيع:

– سير مشائخ المغرب، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985، الجزائر.

88. الوهراني، محمد بن محرز بن محمد (ت575هـ):

– الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق، تحقيق: صلاح الديم المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي ،1384هـ/1965م ، دمشق.

89. ابن حوقل، أبي القاسم محمدبن علي الموصلي،البغدادي،النصيبي،ت 367هـ/977م:

– كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت.

90. ابن رشيد السني، أبو عبدالله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي،ت 720هـ/1320م:

– ملء العيبة بما جمع بطول العيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، ج5، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان،1988.

91. ابي الحسن علي القلصادي الأندلسي،رحلة القلصادي،(توفي بباجة افريقية سنة891هـ)

– رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع– تونس 1974.

92. أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل:

- المختصر في أخبار البشر،ط1،المطبعة الحسينية المصرية،(د.ت).

93. الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني الشريف:

- المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق طبع في مدينة ليدن المحروسة،بمطبعة بريل1899 .//نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المجلد1، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت).

94. البكري، أبي عبيد الله،487هـ:

- المغرب في دكر بلاد افريقية،والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة.

95. الحميري ،أبو عبدالله محمد عبد المنعم الصنهاجي السبتي،تـ727هـ/1327م:

- الروض المعطار في خبر الأمصار ،تحقيق:احسان عباس،مكتبة لبنان،ط2، 1984.

96. كربخال ،مارمول:

- افريقيا، ج1، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي، ومحمد زنيبر، عمرالأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بن جلون، مكتبة العارف للنشر والتوزيع، الرباط.

97. المغربي، ابن سعيد:

- كتاب الجغرافية، تحقيق: اسماعيل العربي ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، للجزائر، 1982.

98. الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، المعروف بليون الإفريقي:

- وصف افريقيا، ج2، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي،محمد الأخضر، ط2، دارالغرب الإسلامي، 1983 ، بيروت.

99. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب:

- كتاب البلدان،طبع في مدينة ليدن المحروسة،بمطبع بريل سنة1830 المسيحية.

100. مؤلف مجهول،كاتب مراكشي من كُتاب القرن 6هـ/12م:

- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشره وعلّق عليه: سعد زغلول عبد الحميد، طباعة ونشر الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

101. أبو العباس أحمد الخطيب،المشهور بابن قنفد القسنطيني(تـ810هـ/1407-1408م):

-الوفيات، معجم زمني للصحابة،واعلام المحدثين والفقهاء،والمؤلفين ،من سنة11-807هـ،حققه وعلق عليه:عادل نويهض،ط4، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ،1403هـ/1983م.

102. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ت711هـ :

- لسان العرب، دار صادر، المجلد السابع، المجلد السابع، بيروت (د.ت).

103. الزركلي، خير الدين:

- الأعلام: قاموس أجيم لأشهر الرجال والنساء والعرب والمستعربين والمستشرقين، ، ج7، ط10، ماي2002، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

104. محمد بن موسى بابا عمي وآخرون:

-معجم أعلام الإباضية، من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي، جمعية التراث، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009، ج2

105. عبد الهادي عبد الله حميتو:

- معجم مؤلفات أبي عمرو الداني(444هـ) مكتبة الملك فهد الوطنية، 1432هـ/2011م.

106. جمعية التراث:

- معجم أعلام الإباضية، من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي، جمعية التراث، عالم المعرفة للنشر والتوزيع،2009.

107. مجموعة من اللغويين:

- المعجب العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،1989.

108. الحموي، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، ت926هـ/1228م:

- معجم البلدان، ج5، دارصادر ، بيروت، 1397هـ/1977م.

109. محمد سليمان الطيب:

- موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية، دار الفكر العربي، ط1، 1414هـ/1993م.

110. محمد عبد المنعم الصنهاجي السبتي، الحميري (ت727هـ/ 1327م):

- الروض المعطار في خبر الأمصار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

111. محمد المستنصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الحسيني،1332-1419هـ:

- معجم فقه ابن حزم الظاهري، إخراج واعتناء: محمد حمزة بن علي الكتاني، ج1-2،(أ.ذ)، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،2009.

ثالثا: - المـراجع:

112. إبراهيم التهامي:

- الأشعرية في المغرب، دخولها، رجالها، تطورها، وموقف الناس منها، ط1، دار قرطبة، 1427هـ/2006م، الجزائر.

113. إبراهيم بحاز بكير:

- الدولة الرستمية،160-296هـ/777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط 2- 1414هـ/1993م، نشر جمعية التراث، القرارة.

114. إبراهيم حركات:

- مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 09 هـ / 15م، ج2، الشرعيات والعقائد، دار الرشاد الحديثة، ط1، 2000.

115. إبراهيم محمد المغني:

116. - دليل الحيران على مورد الظمآن في فن الرسم والضبط باعتبار قراءة نافع لمحمد بن محمد الشريسي الخراز، دار الكتب، الجزائر،(د.ت).

117. ابن عبود:

118. - تاريخ المغرب، دار الكتاب، الدار البضاء، ج1، ط3، المغرب،1961.

119. ابن مجاهد:

- كتاب القراءات السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.

120. أبو القاسم سعد الله:

- تاريخ الجزائر الثقافي (10هـ إلى 14هـ)،20-16م، ج2-المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1985.

121. أبو زهرة، محمد:

- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، 1997.

122. أحمد أمين:

- فجر الإسلام (يبحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية)، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت،1969.
- ضحى الإسلام، ج2، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956.
- ضحى الإسلام، ج3، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

123. أحمد توفيق المدني:
- كتاب الجزائر، المطبعة العربية، (د.ت).
- هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1956.

124. أحمد تيمور باشا:
- المذاهب الفقهية الأربعة (الحنفي والمالكي، والشافعي، والحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين)، ط1، دار الأفاق العربية1421هـ/2001م.

125. أحمد رمضان أحمد:
- الإجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن 04هـ/10م إلى 10هـ/16م، مطبعة هيئة الآثار المصرية، ب ط، ب س، ص. ب.

126. أحمد شلبي:
- تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية 1973.

127. آدم متز:
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عهد النهضة في الإسلام، ج2، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، أعد فهارسه: رفعت البدراوي، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

128. إسماعيل العربي:
- المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1948.
- دولة بني حماد،ملوك القلعة وبجاية،الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر،1980.
- المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1948.

129. أعوشت، بكيربن سعيد:
- الاباضية في مرآة علماء الاسلام قديماً وحديثاً، المطبعة العربية، غرداية، 1955.

130. أمين فؤاد سيد:

- الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، طبعة مصر،1992م.

131. أمينة بيطار:

- تاريخ العصر العباسي،ط4،منشورات جامعة دمشق،1417هـ/1997م.

132. الأنصاري، أبو العباس أحمد بن خالد:

-الاستقصا لأخبار دولة المغرب الأقصى (الدولتان المرابطية والموحدية)، ج1، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب- الدار البيضاء 1954.

- الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج2، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

133. أيمن فؤاد سيد:

- الدولة الفاطمية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007 .

134. الباروني، سليمان بن الشيخ، النفوسي:

- كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، القسم الثاني، مطبعة الأزهار البارونية.

135. بشير خلدون:

- الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د.ت).

136. بكير بن سعيد أعشت:

- دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، ط3، دار التضامن للطباعة،1408هـ/ /1988م

137. بن الذيب عيسى:

- الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين،الجزائر،2007.

138. بوتشيش، إبراهيم القادري:

- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت: دار الطليعة، 1998م.

139. بوعزيز، يحي:

– موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، عين ميلة،2009. – الموجز في تاريخ الجزائر، ج1 (الجزائر القديمة والوسيطة)، دار المطبوعات الجامعية، ط2، 2009.

– أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1 ،1995

140. بونار، رابح:

– المغرب العربي، تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968

141. التليسي ، بشير رمضان:

– الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي، خلال القرن الرابع الهجري، العاشر للميلاد، ط1، 2003، المدار الإسلامي، بيروت، لبنان.

142. جمال الدين، بوقلي حسن:

– الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1985.

143. الجهني، مانع بن حماد:

– الموسوعة الميسرة في الأديان، والمذاهب، والأحزاب المعاصرة،ط4/1420هـ ،ج1،الناشر :دار الندوة العالمية للطباعة، والنشر والتوزيع.

144. جودت ،عبد الكريم يوسف:

– العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.

145. جورجي زيدان:

–تاريخ التمدن الإسلامي، ج4، راجعها وعلق عليها: حسين مؤنس، دارالهلال ، (د.ت)،

146. الحاج محمد بن رمضان شاوش:

– باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

147. حامد محمد خليفة:

– انتصارات يوسف بن تاشفين، 400هـ/1009م–500هـ/1106م، مكتبة الصحابة، ط1، 1425هـ/2004م، الشارقة، الامارات.

148. حبيب الجنحاني:

- دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1990.

149. الحريري، محمد عيسى:

- الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي(حضارتها وعلاقاته الخارجية بالمغرب والأندلس160-296هـ)،ط3-1408هـ/1987، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.

-تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني610هـ/1213م- 869هـ/1465م ط2هـ، 1408هـ /1987م،،دار القلم للنشر والتوزيع ،الكويت.

150. حسن ابراهيم حسن:

- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، ومصر، وسورية وبلاد العرب، ط3، مكتبة النهضة المصرية،1964.

151. حسن ابراهيم حسن، وطه أحمد شرف:

- عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب مكتبة النهضة القاهرة 1366هـ/1947.

152. حسن أحمد محمود:

- قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، القاهرة.

153. حسن الحاج حسن:

- حضارة العرب في صدر الإسلام، ط1، 1412هـ/1992م، المؤسسة الجامعة للدراسات للنشر والتوزيع.

154. حسين مؤنس :

- معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد ضمن مشروع مكتبة الأسرة، 1992.

- تاريخ المغرب وحضارته، من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ج1، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت 1412هـ-1992م.

- شيوخ العصر، ط1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965، القاهرة.

155. حمدي عبد المنعم محمد حسين:

- التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين،1997، دار المعرفة الجامعية، مصر.

156. حوالة يوسف بن أحمد:

- الحياة العلمية في إفريقية منذ الفتح و حتى منتصف القرن الخامس الهجري(450-90هـ)، ج 1، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، مكةالمكرمة،1421هـ/2000م ،جامعة أم القرى، السعودية.

157. خالد بن أحمد الزهراني:

- موقف الطاهر بن عاشور في الإمامة الإثني عشرية، تقديم: صالح مقبل العصيمي التميمي، ط1-1431هـ/2101م، مركز المغرب العربي للدراسات والتدريب.

158. خليفة ، حامد محمد:

- انتصارات يوسف بن تاشفين ،مكتبة الصحابة بالشارقة، ومكتبة التابعين بالقاهرة، ط1 ،1425هـ/2004م.

159. خليل داود الزرو:

- الحياة العلمية في الشام في القرنين 2،1هـ، ط1، دار الأفاق الجدية، بيروت،1971.

160. داود بن يوسف سليمان:

- حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، مطبعة أبو داود،الجزائر-1983

161. الدراجي، بوزياني:

- دور الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، وأثرها في قيام الدول وسقوطها ونشاط الحضارة وأفولها بالمغرب، ط1، ج2، دار الكتاب،(د.ت).

- نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993

162. ديب صفية:

- التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، بين القرن 6،7هـ/12-13م، نشر مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار الجزائر، 2011.

163. ذنون طه، عبد الواحد:

- دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي،ط 1، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2004م.

164. رشيد بورويبة وآخرون:

- الجزائر في التاريخ-العهد الإسلامي-من الفتح الى بداية العهد العثماني، ط1، ج3، 1984،وزراة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

165. رشيد بورويبة:

- الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977.

166. الرقب شفيق محمد عبد الرحمن:

- شعر الجهاد في عصر الموحدين، مكتبة الأقصى، الأردن،1984.

167. زهير حميدان :

- أعلام الحضارة العربية الإسلامية ،في العلوم الأساسية والتطبيقية، المجلد الأول، وزارة الثافة،1995،دمشق.

168. سعد زغلول عبد الحميد:

- تاريخ المغرب العربي، من دول الأغالبة والرستمين والمدرارين حتى قيام الدولة الفاطمية، ج2، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ت).

169. سليمان عبد الله السلومي:

- أصول الإسماعيلية: دراسة-تحليل-نقد، ج1، دار الفضيلة، الرياض، السعودية.

170. سيف الدين القصير:

- ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن ، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

171. شكري فيصل:

- المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين، ط5، بيروت،1981

172. شوقي ضيف:

- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ط12، دار المعارف بمصر(د.ت).

-عصر الدول الإمارات(الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السودان)، ط1، دار المعارف، القاهرة.

173. الشيخ عبد الله نعمة:

-فلاسفة الشيعة، حياتهم وآرائهم، مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).

174. صالح باجية:

- الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية، ط1، الجامعة التونسية، الزيتونة للشريعة وأصول الدين، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس،1976.

175. صالح بن قربة:

- عبد المؤمن بن علي، مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1991

176. صالح فركوس:

- المختصر في تاريخ الجزائر، من عهد الفنقيين الى خروج الفرنسيين (814ق.م-1962م، دار العلوم للنشر والتوزيع،2003.

177. صبحي الصالح:

- علوم الحديث ومصطلحه، عرض ودراسة، ط15، دار العلم للملايين، بيوت، لبنان .

178. الصلابي ،علي محمد:

- الدولة الفاطمية، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة،1427هـ /2006م، القاهرة، مصر.

- نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية مكتبة الصحافة الإمارات الشارقة، مكتبة التابعين القاهرة، ط1، 2001/1422م.

- فقه التمكين عند دولة المرابطين، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 1427هـ/ 2006م.

- دولة الموحدين، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الافريقي، ط1، 1428هـ/ 2007م، دار ابن الجوزي، مصر

179. الطاهر أحمد الزاوي:

- تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدار الإسلامي، ط4، 2004، بيروت.

180. عادل أديب:

- الأئمة الإثنى عشر، دراسة تحليلية، ط1، 1405هـ/1985م، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

181. عارف تامر:

- تاريخ الإسماعيلية، ج2، من الغرب إلى الشرق، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، 1991، قبرص

182. العبادي، أحمد مختار :

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر(د.ت).

183. عبد الحكيم العفيفي :

-موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ط1، الأوراق الشرقية للطباعة والنشر، بيروت، 1421هـ/ 2000م.

184. عبد الحليم عويس:

- دراسة لسقوط ثلاثين دولة اسلامية، ط3، 1404هـ/1983م، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة. السعودية.

- دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، 1411هـ /1991م، دار الوفاء- دار الصحوة للنشر والتوزيع-القاهرة.

185. عبد الحميد حاجيات:

- دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2011.

- أبو حمو موسي الزياني: حياته وأثاره، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1974.

186. عبد الرحمن الجيلالي:

- تاريخ الجزائر العام، ج1، مكتبة الشركة الجزائرية، منشورات دار الحياة، بيروت، (د.ت).

187. عبد الرزاق الكيلاني:

- عبد القادر الجيلاني، الإمام الزاهد القدوة، ط1، 1414هـ/1994م، دار القلم، دمشق.

188. عبد السلام الكنوني:

- المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي الى ابن عطية، ج1، ط1، مكتبة المعارف،1411هـ/1981م، القاهرة.

189. عبد العزيز الدوري:

- التكوين التاريخي للأمة العربية (دراسة في الهوية والوعي) مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت،1984

190. عبد العزيز المجدوب:

- الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، ط1، دار سحنون للتوزيع والنشر، وابن حزم للنشر والتوزيع، 1429هـ/2008م.

191. عبد العزيز سالم:

- المغرب الكبير العصر الإسلامي (دراسة تاريخية وعمرانية واثرية)، ج2،دار النهضة العربية، بيروت 1981.

- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية.

- تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية، قاعدة أسطول الأندلس،1984، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية.

192. عبد العزيز فيلالي:

- تلمسان في العهد الزّياني،ج1،موفم للنّشر،الجزائر،2002. - تلمسان في العهد الزياني، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2002.

- دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الاسلامي،دارالهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2012،.

- العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر1982.

193. عبد الله العروي:

- مجمل تاريخ المغرب،2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت

194. عبد الله شريط، ومحمد مبارك:

- مختصر تاريخ الجزائر، السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

195. عبد الله على علام:

- الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف بمصر،1971.

196. عبد الله كنون:

- النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، 1380هـ/1960م، طنجة، المملكة المغربة.

- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، قد له وأعتنى به ورتب تراجمه إلى طبقات: محمد بن عزوز،ج1،في العلم ،مركز التراث الثقافي المغرب،دار ابن حزم،1430هـ/2010م ،المملكة المغربية.

197. عبد المحسن بن محمد العباد البدر:

-قطف الجني الداني،شرح مقدمة رسالة ابن زيد القيرواني، ط2،منار السبيل،الجزائر، 2003.

198. عبد المنعم الحفني:

- الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الرشاد للطبع والنشر والتوزيع 1413هـ/1993م.

199. عبد الوهاب بن منصور:

- قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط،1968.

200. العدوي، إبراهيم أحمد:

-بلاد الجزائر، تكوينها الإسلامي والعربي، ط1،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970.

201. عرفان عبد الحميد:

- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية،جامعة بغداد،طبعة(د.ت).

202. عصمت عبد اللطيف دندش:

- دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا(515-430هـ/1038-1121م)، مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر بن العربي، ط1، دار العرب الإسلاميين، 1408هـ/1988م

203. علاوة عمارة:

- دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2008/04/.

204. علي بن سالم الورداني:

- الرحلة الأندلسية ، تحقيق: عبد الجبار الشريف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984

205. عمار بوحوش:

- التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية1962، ط1 ،1997، دار الغرب الإسلامي، الإسلامي، بيروت.

206. عمورة عمار:

- موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، 2002.- الجزائر بوابة التاريخ،الجزائر عامة – ماقبل التاريخ الى 1962، ج1، دار المعرفة الجزائر.

207. عنان، محمد عبد الله:

- دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني،دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،الناشر مكتبة الخانجي،القاهرة.

-عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، وهو العصر الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، ط1، 1411هـ/1990م، مكتبة الخانجي، المؤسسة السعودية بمصر.

- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، وهو العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، ط2، 1411هـ/1990م، مكتبة الخانجي، المؤسسة السعودية بمصر.

208. عوض الشرقاوي:

- التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة، في القرنين(3،2)،منشورات مؤسسة توالت الثقافية، سلسلة الأبحاث التاريخية،2011.

209. عوض محمد خليفات:

- الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، العدد27، ط3، 1415هـ/1994م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

-النظم الاجتماعية والتربوية، في شمال افريقية، في مرحلة الكتمان، عمان، الأردن،1982 .

- نشأة الحركة الإباضية عمان، 1978.

- نشأة الحركة الإباضية، مطابع دارالشعب1982.

- الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، العدد 28، ط3، 1415هـ /1994م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

210. الغامدي، خالد بن علي المرضي:

- نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية، ط1، 1430هـ/2009م، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع.

211. الفيومي، محمد إبراهيم:

- تاريخ الفلسفة الإسلامية، في الغرب والأندلس ط1، دار الجيل،1997م، بيروت، لبنان.

212. القفاري، ناصر بن عبد الله:

- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية، ج1، دار الرضا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر 1418هـ/1998م.

213. كمال أبو مصطفى:

- جوانب حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1997.

214. لخضر سيفر:

- التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي، ج1، مطبعة أمل للدراسات (د.ت).

215. لخضر عبدلي:

-التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان،ديوان المطبوعات الجامعية،وهران ،1428هـ /2007م.

216. مبارك بن محمد الميلي:

- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تعليق وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

217. المجدوب، عبد العزيز:

- الصراع المذهبي بإفريقيا إلى قيام الدولة الزيرية، تحقيق: علي الشابي، تونس: الدار التونسية للنشر، 1975م.

218. المحرمي، زكريا بن خليفة:

-الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ، ط1-1426هـ/ 2005 م، مكتبة الغبيراء، سلطنة عمان.

219. محمد الطاهر بن عاشور:

- أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،2007،

220. محمد العروسي المطوي:

-السّلطنة الحفصيّة تاريخها السّياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1926.

221. محمد المختار اسكندر:

- المفسرون الجزائريون عبر التاريخ، ج1، دحلب للنشر، الجزائر، (د.ت).

222. محمد المنوني:

- حضارة الموحدين، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ، 1989.

223. محمد بديع موسى:

- تاويل القرآن الكريم، ومذاهب الفرق فيه، ط1، 2008، دار الاعلام، الأردن.

224. محمد بن لطفي الصباغ:

- لمحات في علوم القرآن، واتجاهات التفسير، ط3-1410هـ/1990م، المكتب الإسلامي، بيروت.

225. محمد بن محمد مخلوف،(ت 1360هـ):

-شجرة النور الزكية في طبقات المالكية خرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي (جزآن)، دار الكتب العالمية، ط1، 1424هـ/2003م، بيروت

226. محمد حسن الأعظمي:

- عبقرية الفاطميين، أضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين، منشورات دار مكتبة الحياة، مصر.

227. محمد سليمان الأشقر:

- العقيدة في الله، ط12، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1419هـ/1999م.

228. محمد شيت خطاب:

- قادة فتح المغرب، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر، ط7، 1404هـ/1984م.

- محمد شيت خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، دار القلم بالقاهرة.

229. محمد طمار:

-تاريخ الأدب الجزائري. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2006.

- الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983.

- تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص46.

- المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، الجزائر

230. محمد طه الحاجر:

1403هـ/1983م. بيروت، العربية، النهضة دار ،1ط العربي، المغرب في التشيع – مرحلة

231. محمد عادل عبد العزيز:

- التربية الإسلامية في المغرب (أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1987.

232. محمد علي دبوز:

- تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه ،1963، ج3، ط1، دار أحياء الكتب العربية–الجزائر.

233. محمد فوزي فيض الله وآخرون:

-أهل السنة الأشاعرة، شهادة علماء الأمة وأدلتهم، جمع وإعداد: حمد السنان، وفوزي العنجري، دار الضياء للنشر والتوزيع.

234. محمد كامل حسين:

- طائفة الإسماعيلية، (تاريخها، نظمها، عقائدها)، ط 1 ،1959،مكتبة النهضة المصرية.

235. محمود إسماعيل عبد الرازق:

- الخوارج في بلاد المغرب، في منتصف القرن الرابع الهجري، نشر وتوزيع دار الثقافة، ط2، الدار البيضاء،1406هـ/1985م، المغرب.

236. محمود السيد:

- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2004م.

237. محمود بوعياد:

- جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9هـ/15م، الشركة الوطنية، الجزائر، 1982.

238. مختار حساني:

- تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاقتصادية والثقافية، ج2، دار الحضارة، ط1، 2007.

- الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية،ج1،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع– عين مليلة– الجزائر،2011.

239. مرمول محمد صالح:

- السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983.

240. مصطفى غالب:

- أعلام الإسماعيلية، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دارالثقافة،1984، بيروت، لبنان.

241. مصطفى محمد رمضان:

- تاريخ الحركات الانفصالية في العالم الإسلامي، منتدى الأزبكية، (د.ت).

242. معروف بلحاج بن بنوح:

- العمارة الدينية الإباضية بوادي ميزاب في تاريخ العمارة الإسلامية، تلمسان، 2000.

243. معمر علي يحي:

- الإباضية في موكب التاريخ، ج4، الإباضية في الجزائر، مطبعة الدعوة الإسلامية، مكتبة وهبة، 1399هـ/1979م، القاهرة.

244. منوف عبد العزيز الجحمة:

- رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي، من القرن السادس الى القرن الثامن الهجري، دار السويد، أبو ضبي، الإمارات، ودار الأهلية للنشر، ط1، الأردن،2008 .

245. موسى لقبال:

- دور كتامة في الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1979

246. مؤلف مجهول:

-كتاب تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

247. الميلي، محمد بن المبارك:

- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تحقيق: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، 1993 .

248. ناصر الدين مولود سعيدوني:

- التجربة الأندلسية، مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، السجل العلمي لندوة الأندلس، قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الثالث –الحضارة والعمارة والفنون– مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة،1417هـ /1996م.
- من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي (تراجم ومؤرخين ورحالة وجغرافيين)، ط1، دار الغرب الاسلامي1999.

249. ناصر بن عبد الكريم العقل:

- الخوارج، أول الفرق في تاريخ الإسلام، مناهجهم وأصولهم وسماتهم قديما وحديثا، وموقف السلف منهم، ط1،(1419هـ/1998م) دار اشبيليا للنشر والتوزيع، السعودية.

250. نجيب زبيب:

-الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج1، تقديم:أحمد بن سودة، ط1، 1415هـ/1995م، دار الأمير للثقافة والعلوم، للنشر والتوزيع، بيروت.

251. نويهض، عادل:

- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، مؤسّسة نويهض للثّقافة، بيروت، ط2، 1980.

252. النيفر، محمد توفيق:

- الحياة الأدبية بإفريقية في العصر الفاطمي، تونس 1991.

253. سليمان سليم علم الدين:

- القرامطة نشأتهم وعقائهم حروبهم، ط1، دار نوفل، بيروت،2003 .

254. ولد داداه، محمد:

- مفهوم الملك في المغرب،من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع، دراسة في التاريخ السياسي، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، دار الكتاب المصري،1977م.

255. وهبة الزحيلي:

- أصول الفقه الإسلامي، ج1، دار الفكر، ط1، دمشق،1986.

256. وهين سليمان غاوجي:

- أبو حنيفة النعمان،80هـ/150هـ، إمام الأئمة الفقهاء، ط5-1413هـ/1993م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

257. ويحي هويدي:

- تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1965.

258. يحي علي معمر:

- الاباضية في موكب التاريخ ج1، نشأة المذهب الإباضي، ط1، مطابع دار الكتاب العربي، مكتبة وهبة القاهرة، 1384 هـ/1864م.

259. أ.ف.غوتية:

- ماضي شمال أفريقيا: ترجمة هاشم الحسيني طبعة طرابلس، ليبيا،1970.

260. جورج مارسيه :

-بلاد المغرب، وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، راجعه واستخرج نصوصه: مصطفى أبو ضيف احمد، نشأة الإسكندرية.

261. الفرد بل:

- الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي (من الفتح العربي حتى اليوم)،ترجمة عن الفرنسية: عبد الرحمن بدوي،ط2، بيروت،1981 .

262. الهادي روجي إدريس:

-الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن10 الى القرن12م،ط1 ،نقله الى العربي: حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي،1992،بيروت،لبنان.

263. يوهان فك:

-العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بمصر،1400هـ/1980م، ص175.

ثالثا: المقالات التاريخية:

265 . ابراهيم حركات:

- دور بجاية في الحضاري، الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، السنة الرابعة، صفر- ربيع الأول1394هـ/ مارس- ابريل1974،العدد19، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

266. ابن تاويت الطنجي:

- دولة الرستميين، أصحاب تاهرت، صحيفة معهد الدراسات، مدريد، م5، العدد1، 1377هـ /1957.

267. أبو القاسم درارجة:

- العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، مقال بمجلة بحوث، العدد2، السنة 1994، جامعة الجزائر .

268. اسماعيل العربي:

- سياسة الناصر بن علناس تجاه بلاط المهدية، الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي، والشؤون الدينية، السنة الأولى-عدد خاص ببجاية عبر العصور، السنة الرابعة، صفر-ربيع الأول1394هـ /مارس- أفريل1974م العدد19، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

269. بوخالفة نور الهدى:

- العناصر المكونة لجيش موسى بن نصير في فتح المغرب والأندلس، مقال بمجلة أبحاث في التاريخ والتراث، معهد التاريخ بجامعة وهران، العدد الأول، 1996

270. تالية سعدو:

- الحركة الفكرية بالدولة الرستمية، وإسهام المرأة الإباضية فيها، عصور الجديدة، مجلة فصلية محكمة، يصدرها مختبر البحث التاريخي، تاريخ الجزائر، جامعة وهران، الجزائر.

271. خالد بلعربي:

- ملامح الحركة التعليمية في تلمسان خلال القرن 08هـ/14م، مجلة العلوم الآداب والإنسانية، مجلة أكاديمية محكمة تعني بالدراسات النقدية واللغوية والتاريخية ،جامعة سيدي بلعباس ،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،ع2 ،سنة 2003/2002.

272. رابح بونار:

- تاريخ بني حماد للسان بن الخطيب(ت776هـ)، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، السنة الرابعة، صفر- ربيع الأول 1394هـ/ مارس- ابريل1974، العدد19، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

273. عبد الحميد حاجيات:

- الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد26، جويلية- أوت1975 ، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

274. عبد الحميد خالدي:

- الحياة التعليمية ببجاية، مجلة الثقافة (عدد خاص بالملتقى الخامس للبحث الأثري، والدراسات التاريخية)، سوق أهراس 22-1997/9/26،تصدرها وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر.

275. عبد العزيز فيلالي:

- تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، مجلة الوعي، دار الوعي،العدد3،الجزائر،4أفريل - ماي 2011م.

276. عبد الله عنان:

- مدرسة بجاية الأندلسية، وأثرها في أحياء العلوم بالمغرب الأوسط، مجلة الأصالة، السنة الثالثة، العدد 13، 1973، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

277. عبيد بوداود:

- ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي وتداعياتها، مجلة المواقف، عدد خاص، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر، افريل2008.

278. لقبال موسى:

– مميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي، والشؤون الدينية، السنة الأولى– عدد خاص ببجاية عبر العصور، السنة الرابعة، العدد19، صفر– ربيع الأول1394هـ /مارس– أفريل1974م.

279. لقبال موسى:

– أهداف الدعوة الإسماعيلية، "مجلة المؤرخ العربي،العدد1،المكتبة الوطنية،بغداد،1975.

280. محمد الطالبي:

–الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد26 ، السنة 1975.

281. محمد خرخاش:

– نظام التعليم بالقرويين بين القديم والحديث(قراءة في الإصلاحات التربوية) مجلة الحضارة الإسلامية، وهران 1993 .

282. مروان عبد الملك محمد:

– صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة المورد،مج2، العدد1 ،دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، العراق،2001م.

283. معروف بلحاج:

– الإنتاج الفكري الجزائري في عهد الدولة الرستمية، الفضاء المغاربي مجلة دورية محكمة ،يصدرها مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.

284. المهدي بوعبدلي:

– الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها، الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي، والشؤون الدينية، السنة الأولى–عدد خاص ببجاية عبر العصور، العدد19، السنة الرابعة، صفر–ربيع الأول1394هـ /مارس– أفريل1974م، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

285. نصر الدين خليل:

– أسس المكون الثقافي للحماديين، مجلة دراسات جزائرية يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها،العدد1،جوان1997،جامعة وهران

رابعا: -الرسائل الجامعية:

286. عثمان عبد القادر:

- الموحدون بإفريقية إلى سنة 627هـ،بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الوسيط، جامعة محمد الخامس،الرباط،1991-1992م.

287. بوداعة نجادي:

- الحياة الفكرية في الأندلس على عهد الدولة الموحدية(541هـ-668هـ/1147م-1269م)، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ ،جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان-1430هـ-2009/1431-2010م.

288. رافعي نشيدة:

- الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي 296هـ -362هـ، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة(المغرب الإسلامي الوسيط)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة الجزائر ،2002-2003م.

289. رضا بن النية:

- صنهاجة المغرب الأوسط،من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين،مصر (80هـ-699م/362هـ-973م)، دراسة اجتماعية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ،قسم التاريخ، السنة الجامعية 1426- 1427هـ/2005-2006م.

290. سبع قادة:

- المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران،2003-2004م.

291. سامي محمود محمد أحمد:

- منهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره (كتاب الله العزيز) دراسة ونقد، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، عمادة الدراسات العليا، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن)1423هـ/2002.

292. عاشور بوشامة:

- علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس، رسالة دكتوراه، المعهد الوطني للدراسات التاريخية، جامعة الجزائر،1986.

293. عبد الحفيظ منصور:

- السياسة الداخلية للإمارة الرستمية(160هـ-296هـ/909م-777م)،رسالة ماجستير جامعة قسنطينة ،كلية العلوم الإنسانية ،والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ،1421-2001.

294. عفيفي محمود إبراهيم عبد الله:

- مظاهر الحضارة في بلاد المغرب منذ انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر حتى منتصف القرن السادس الهجري: أطروحة الدكتوراه في التاريخ(مرقونة) قسم التاريخ الاسلامي، كلية الأدب، القاهرة 1980.

295. محمد الشريف سيدي موسى:

- الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري،(13-16م) رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، سنة 2001.

296. محمد بن معمر:

-العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربيين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط القرن السادس الهجريين، شهادة دكتوراه دولة مرقونة، جامعة وهران سنة 2001م،2002م .

297. محمد زلاقي:

- شعر المولديات في المغرب الإسلامي، ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1990 .

298. محمد عليلي:

-الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين2 -3هـ/8-9م،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الأوسط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان2008/2007.

299. مزهودي مسعود:

- جبل نفوسة منذ الفتح الإسلامي الى هجرة بني هلال الى بلاد المغرب(21-442هـ /642- 1053م)،رسالة دكتوراه عير منشورة،جامعة قسنطينة،1996.

300. موسى هيصام:

- الجيش في العهد الحمادي(547-405هـ/1014-1152م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط،كلية العلوم الإنسانية،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2000-2001م.

خامسا: - الملتقيات:

301. محمد الثميني:

- مفهوم الشورى والديمقراطية في التاريخ العربي لدى الرستميين والجماعات المحلية بوادي ميزاب بالجنوب الجزائري، أعمال المؤتمر البرلماني العربي الثاني، الجزائر من 8 إلى 12آذار 1981 م.

سادسا: - المـراجع الأجنبـية:

.302 .Amar DHINA:

- Cites Musulmanes D’orient Et D’occident, Entreprise Edition nationale du livre, Alger, 1984 ..

303. Bekri Chikh:

-le kharijisme Berbere ;quelques Aspects du Royaume Rustumide;Annales de l'instutut d'etudes Oriontale (A.I.E.O),université d'Alger,Tome xv;Alger;1957.

304. Barges (IJ) :

- complément de l’histoire des Beni Zyan ouvrage du cheik mohamed abd’al djalil al-tenessy,paris,ernest le roux-librairie-eduteur(sans date)

305. Charles (A. J) :

-Histoire De L’afrique Du nord , payot , paris , 1952

306. De lacy o’leary-d.d ;

- a short history of the Fatimid khalifa,London, kegan paul, trench,trubner&.co.ltd,new York,e.p dulton &co.1923.

307. Dengel Gérard:

- L'Imamat Ibadite de Tahert (761-909),thèse de Doctorat3éme ,cycle ,Strasbourg; université des sciences Humaines;1977.

308. DHINA Atallah :
- le royaume Abdelouadid à l’époque d’abiu Hammou Moussa ;1er et d’Abou Tachfine,O,P ,U ,Alger(sans Date).
309. G.Marcais:
-Tlemcen les villes d'art, célèbres, édition du tell,algerie,2003.
310. Gaid Mouloud ;
- Histoire de B egaia et de sa region-2eme édition-Mimouni,Alger ;1991 .
311. Général .L. de Beylie ;
- Kalaa des Beni Hammad ,une capitale Berbère de l’Afrique du nord ;au xi siècle ;paris ;Ernest leroux,editeur1909.
312. Hady Roger Idris :
-La Barbarie Oriental sous les zirides xe, XII siècle ,librairie Amérique et orient. Adrien-Maisonneuve ;paris6e.
313. Idris hady roger :
- La berberie oriental sous les zirides ; Xe-XIIe siècle paris,1962,TI .
314. Jean des pois :
- le djebel nefoussa, paris 1935.
315. Le conte de Mas Latrie ;
- relation et commerce de l’afrique septentrionale avec les nations chrétiennes au mayen âge ,Paris-Librairie de Firmin*didot etcir1886 .
316. Lewicki Tadeusz:
-kitabas-sijar d'abou-Abbas Ahmed as-sammahi,extrait de la revue des études islamiques, cahier n°1,imp.arrault,paris;1934.
317. P.M.HOLT:
-The Cambridge ,History of Islam ;vol 2A ;the indian sub-continend south- east asia-africa,and the musulman -west,combridge university press ;1970.،
318. Rachid bourouiba;
-IbnTumart, SNED, Alger ;1982 .
319. Robertson ;
-sana past and présent ;the moslem word ;vol33.
320. Sid Ahmed Bouali :
-« les démêles Merinides Abdelwadides à la veille du grand sièges de Tlemcen », Bullet in de la société de la géographie et d’Archéologie d’oran, l’imprimerie IBN Khaldoun, Tlemcen, 1980. les deux grands sièges de Tlemcen, ENAL, Alger, 1984.

321. Allaoua Amara, Pouvoir ; économie et société dans le Maghreb Hammadide thèse de doctorat; université paris I
Sorbonne ;2002,vol.

فهرس المحتويات

الفصل الثاني

العلوم الدينية في المغرب الأوسط من العهد الرستمي إلى الحمادي

الفصل الثالث

العلوم الدينية في المغرب الأوسط من العهد المرابطي إلى الزياني